



جامعة مؤتة

عمادة الدراسات العليا

الرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري

إعداد الطالبة

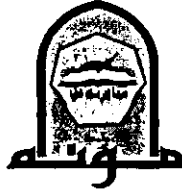
سعاد عبدالله ابو ركب

إشراف

الدكتور فايز القيسي

رسالة مقدمة إلى عمادة الدراسات العليا
استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة
الماجستير في الأدب قسم اللغة العربية وآدابها

جامعة مؤتة، 2005



نموذج رقم (14)

إجازة رسالة جامعية

تقرر إجازة الرسالة المقدمة من الطالبة سعاد عبدالله أبو ركب الموسومة بـ:

الرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري

استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربية.

القسم: اللغة العربية.

التاريخ	التوقيع	
2005/12/26		د. فايز القيسي
2005/12/26		أ.د. صلاح جرار
2005/12/26		أ.د. سمير الدروبي
2005/12/26		د. يوسف القماز

عميد الدراسات العليا
أ.د. أحمد القطامين



الإهداء

أهدي هذه الرسالة إلى زوجي العزيز لقاء ما بذله من عون وتشجيع.

سعاد عبدالله أبو ركب

شكر و تقدير

يسرني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى الدكتور فايز القيسي الذي أحاطني بإشعاع نوره العلمي، شعلة منحني إياها من مكتبته الخاصة، وأخرى أرشدني بها، فرعى هذا البحث منذ أن كان فكرة، إلى أن جاء على هذه الصورة، فأخذ بيدي وقدم لي العون والمساعدة، ولولاه ما كان هذا البحث على هذه الصورة.

كما أتوجه بالشكر الفائق إلى كل من الأستاذ الدكتور صلاح جرار، والأستاذ الدكتور سمير الدروبي، والدكتور يوسف القماز على تفضلهم بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتكرمهم بقراءتها، وإيداء الملحوظات حولها، التي لا شك سوف تضيء لي كثيراً من الجوانب التي لم أتتبه إليها، وتثري قضايا ذات علاقة بها قصر عنها جهدي.

كما أتوجه بالشكر الخالص إلى أساتذتي جميعاً في قسم اللغة العربية وآدابها، الذي أكن لهم كل حب وتقدير وفاء على ما قدموه لي من معونة ونصح وإرشاد لإنجاز هذا البحث.

سعاد عبد الله أبو ركب

فهرس المحتويات

الصفحة	الموضوع
أ	الإهداء
ب	الشكر والتقدير
ج	فهرس المحتويات
و	الملخص باللغة العربية
ز	الملخص باللغة الإنجليزية
1	الفصل الأول: الرسائل الشعرية (مفهومها ونشأتها)
1	1.1 المقدمة
3	2.1 مفهوم الرسائل الشعرية
14	3.1 نشأة فن الرسائل الشعرية
16	4.1 طريقة إرسال الرسائل الشعرية
18	5.1 أسباب ازدهار فن المراسلات الشعرية
30	6.1 السفارة وأثرها في ازدهار فن الرسائل الشعرية
32	7.1 ألوان الرسائل الشعرية
32	1.7.1 المخاطبات والمراجعات
34	2.7.1 المطيرات
37	الفصل الثاني: القضايا الخاصة في الرسائل الشعرية
37	1.2 الاستمناح والطلب
42	2.2 الاستدعاء
46	3.2 العتاب واللوم
49	4.2 الاعتذار
51	5.2 التهنئة
55	6.2 الرثاء والتعازي
58	7.2 الاستعطاف والشفاعة
62	8.2 الفخر
64	9.2 الغزل بالغلان

68	الإهداء والاستهداء	10.2
70	الشكوى	11.2
73	الشكر والثناء	12.2
75	مديح الإخوان	13.2
78	التحذير	14.2
80	التعريض	15.2
84	الاستنجاز	16.2
87	الفصل الثالث: القضايا العامة في الرسائل الشعرية	
87	الجهاد والحرب	1.3
94	المديح السياسي	2.3
101	الهجاء السياسي	3.3
106	رثاء الحكام	4.3
111	الرسائل الشعرية الفكاهية	5.3
115	الوصف	6.3
121	الحكمة	7.3
124	الرسائل الشعرية في الشعوبية	8.3
125	الأحاجي والألغاز	9.3
126	الترحيب	10.3
128	الاستسراح والاستئذان	11.3
130	الإخبار	12.3
130	نظرات نقدية	13.3
142	الفصل الرابع : البناء الفني للرسالة الشعرية	
142	الشكل الخارجي للرسالة الشعرية	1.4
144	الاستهلال في الرسالة الشعرية	2.4
148	توظيف الموروث الثقافي	3.4
160	المحسنات البديعية	4.4
172	الخاتمة	5.4
175	المراجع	

المخلص

الرسائل الشعرية في الأندلس

في القرن الخامس الهجري

سعاد عبد الله أبو ركب

جامعة مؤتة، 2005

تتناول هذه الدراسة ظاهرة الرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري التي انتشرت بين الشعراء الأندلسيين، على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية، حتى أصبحت أحد مظاهر الإشراق الشعري الذي شهده الأندلس آنذاك.

وتهدف هذه الدراسة إلى تحديد مفهوم الرسائل الشعرية وتتبع تطورها وازدهارها وألوانها المختلفة، وبيان أهميتها في الكشف عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية والعسكرية وغيرها، من خلال تحليل الرسائل الشعرية ببعديها الخاص والعام.

وتتكون هذه الدراسة من مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، ففي المقدمة تحدثت عن سبب اختياري هذا البحث ومنهجي في كتابته.

و درست في الفصل الأول الرسائل الشعرية من حيث مفهومها وأسباب ازدهارها وألوانها.

أما الفصل الثاني فقد تناولت فيه القضايا الخاصة ذات الصلة الوثيقة بذات الشاعر مثل الطلب و الاستمناح والعتاب والاعتذار والتهنئة والاستدعاء والمدح والغزل وغيرها.

وتحدثت في الفصل الثالث عن القضايا العامة التي تتعلق بالأحداث السياسية والاجتماعية والأدبية وغيرها مما تفاعل معه الشعراء وتحدثوا عنه.

وناقشت في الفصل الرابع البناء الفني للرسائل الشعرية من حيث الشكل واللغة والأسلوب وتوظيف الموروث الثقافي وغير ذلك.

أما الخاتمة فقد ضمنيتها أبرز النتائج التي توصلت إليها في هذه الدراسة.

Abstract

**The Verses-Letters in Al-Andalus During
The 5th A.H./ 11th Century A.D.**

Su'ad Abu Rukab

Mu'tah University, 2005

This research deals with the verse-letters flourished and spread among a great number of poets belonging to different social backgrounds in Andalucia during the 5th A.H./11th century A.D.

The research comprises an introduction, four chapters and a conclusion. The introduction includes a definition of the research in hand, its aims, and the method being used.

The first chapter defines the concepts of the verses-letters and discusses the factors that had let to their development and flourishing.

The second chapter deals with the personal dimension and presents the main topics that showed how the poets felt in different intuitional situations.

The third chapter discusses the general dimension and presents the most significant public issues that the poets used to write about in their verses-letters.

The fourth chapter tackles the artistic features and lexis of the verses-letters.

In the conclusion the researcher includes the result of his research work.

الفصل الأول

الرسائل الشعرية (مفهومها ونشأتها)

1.1 المقدمة

الحمد لله رب العالمين وأفضل الصلاة وأتم التسليم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن سار على هديه إلى يوم الدين، اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا، إنك أنت العليم الحكيم، وبعد،

فقد ازدهر الشعر في الأندلس في القرن الخامس الهجري ازدهاراً كبيراً، بلغ به أقصى درجات ازدهاره في تاريخ الأندلس الإسلامي، وكان في مقدمة مظاهر هذا الازدهار شيوع الرسائل الشعرية بين الشعراء على اختلاف طبقاتهم الاجتماعية؛ فقد كان الشعراء من الأمراء والوزراء والأعيان وأرباب السيوف وفرسان الكلام يستخدمون الرسائل الشعرية و يتهادون الرقاع الصغيرة التي تحمل عبارات الدعوات والاعتذارات والأهاجي، أو يرفقونها بهداياهم أو يسجلون فيها لمحات من حياتهم، وقد اقتحمت الرسائل الشعرية على النثر كثيراً من أبوابه وموضوعاته الخاصة والعامة.

وعلى الرغم من أهمية هذه الظاهرة الشعرية في الأندلس فإنها لم تحظ بدراسة علمية مستقلة تحدد مفهوم الرسالة الشعرية وأبعادها وأهميتها، أو تقف عند أشكالها وأنماطها، أو تتناول الموضوعات والقضايا التي دارت حولها، أو تناقش بناءها الفني ولغتها وأساليبها وما إلى ذلك، وجل ما نجده حول الرسائل الشعرية إشارات عامة ومختلفة في بعض الدراسات التي تتناول الشعر الأندلسي.

لهذا سعت هذه الدراسة إلى بناء صورة واضحة انقسمات للرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، من خلال تحقيق الأهداف التالية: تحديد مفهوم الرسائل الشعرية لغوياً ونقدياً، وتتبع تطور فن الرسائل الشعرية والكشف عن عوامل ازدهارها ومظاهره المختلفة، وتبيان أهمية الرسائل الشعرية في الكشف عن كثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والسياسية والأدبية وغيرها من مظاهر حياة المجتمع الأندلسي في القرن الخامس الهجري، وتحليل مضامين الرسائل الشعرية

بأبعادها العامة والخاصة، ودراسة الجانب الفني واللغوي لهذه الرسائل، من حيث البناء الفني والأسلوب واللغة وغير ذلك.

وقد جاءت مادة هذه الدراسة في مقدمة وأربعة فصول وخاتمة، تناولت المقدمة أهمية دراسة الرسائل الشعرية وأسباب اختيارها والمنهج العلمي الذي اعتمده الباحث في تناولها، وتناول الفصل الأول مفهوم الرسائل الشعرية وأسباب ازدهارها وألوانها في عصر الدراسة.

وبسط الفصل الثاني القول في القضايا الخاصة ذات العلاقة الحميمة بذات الشاعر وانفعالاته وعواطفه ومشاعره الذاتية التي تناولها الشعراء.

أما الفصل الثالث فقد تناول القضايا العامة التي دارت حولها الرسائل الشعرية، وهي قضايا ومسائل تتصل بالأحداث السياسية والعسكرية والاجتماعية والأدبية وأعلامها التي تفاعل معها الشعراء وعبروا عنها في رسائلهم الشعرية.

ولعله من المفيد الإشارة هنا إلى أن تقسيم مضامين الرسائل الشعرية إلى قسمين: قضايا خاصة وقضايا عامة بحسب أغراضها وموضوعاتها لا يعني الحرفية؛ ذلك أن وشائج القربى بينهما قوية.

وجاء الفصل الرابع في الحديث عن البناء الفني للرسائل الشعرية وما يتصل بذلك من توظيف الموروث الثقافي والديني في الرسائل، إلى جانب استخدام الألوان البلاغية المختلفة التي تسهم في توفير جماليات التعبير.

وقد سلكت الدراسة في معالجة الموضوعات والقضايا التي اشتملت عليها مسلك المنهج العلمي القائم على البحث والتحليل والتعليل، والمستفيد من معطيات المناهج الأدبية المختلفة، مثل المنهج التاريخي والفني والنفسي وغيرها.

وبعد، فإنني أرجو أن أكون قد أسهمت في هذا الجهد المتواضع بشيء فيه خدمة التراث العربي الإسلامي في الأندلس، وأني لأرجو أيضاً من أساتذتي الكرام الذين نظروا في هذا العمل الذي لا يخلو من هنات وزلات أن يصفحوا عما فيه من قصور، وأن يلاحظوه بعين الرضا الكليّة عن كل عيب، وإلا فحسبي أن بذلت به جهدي وقدر استطاعتي، والله أسأل التوفيق والسداد في القول والعمل.

2.1 مفهوم الرسائل الشعرية:

إن تحديد مفهوم الرسائل الشعرية يقتضي الرجوع إلى المعاجم العربية والوقوف عند الجذر الثلاثي لهذه الكلمة، فلفظة "رسالة" اسم مأخوذ من المادة اللغوية (رسل). أما المعنى اللغوي لها فهو: (القطيع من كل شيء) أو جماعات الإبل أو (قطيع الإبل يرسل بعد قطيع)، ويقال: (أرسلوا إبلهم إلى الماء أرسالا أي قطعاً)⁽¹⁾. وقد تطور مفهوم لفظ رسالة من الاستعمال الحسي إلى الاستعمال المعنوي، فقد ذكر ابن منظور أن الإرسال يعني التوجيه والاسم الرسالة أو الرسالة، ثم تطور هذا المفهوم للفظ رسالة وانطلق من المجال اللغوي ليبدل على كل كلام يرسل به من بعيد.⁽²⁾

وقد ارتبط لفظ رسالة في البداية بديوان الرسائل، إذ كانت ترسل منه الرسائل إلى أماكن متعددة ووجهات مختلفة ويتولى كتابة الرسائل كاتب متخصص يُعين من قبل الحاكم.⁽³⁾

وقد استقر في أذهان النقاد ومؤرخي الأدب أن الرسالة هي ما ينشئه الكاتب في نسق فني جميل ويبعث به إلى طرف آخر⁽⁴⁾، ويؤكد ذلك قول أبي الوليد بن عامر الحميري⁽⁵⁾ في حديثه عن رسالة خاطب بها أباه، حيث يقول: "فخاطبت أبي - وقاه

(1) انظر : اللسان، العين، مادة "رسل" .

(2) القيسي، فايز : أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، عمان، ط 1، 1998 م، ص 77 .

(3) انظر: ابن الأبار ، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي، (ت 658 هـ / 1259م)، الحلة السیراء، 2ج، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط 2، 1958 م، ج 2 ص 373 .

(4) القيسي، أدب الرسائل، ص 78 .

(5) هو أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن حبيب الحميري، ولد بأشبيلية من أسرة ذات جاه، وأخذ عن علمائها، فتفتقت قريحته الأدبية في سن مبكرة، قتلته المعتضد عام (440 هـ / 1048 م) وهو ابن تسع وعشرين سنة . وله كتاب البديع في فصل الربيع (ابن سعيد، علي بن موسى، (ت 586 هـ / 1190 م) المغرب في حلى المغرب، 2ج، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ج 1، ط 1، ج 2، ط 3، ج 4، ط 4، ص 250) .

الله بي - برسالة فيها بعض أصناف هذه الأوصاف أسأله إباحة الخروج لي فبلغني
ألمي " (1)، وقد جاءت الرسالة نثراً في نسق فني جميل يصف فيه الحميري منظر
الربيع.

وفي الأندلس لم يعد مصطلح الرسالة مقتصرأ على الرسائل النثرية، بل امتد ليشمل
الرسائل الشعرية، حتى أصبحت هذه الرسائل تجاري الرسائل النثرية في الأهمية، فكان
كبار القوم يستخدمون الرسائل الشعرية ويتهادون الرقاع الصغيرة تحمل عبارات
الدعوات، والاعتذارات، والأماجي، أو يرفقونها بهداياهم، أو يسجلون فيها لمحات من
حياتهم كلها منظومة شعراً، يشبهون فيه أنفسهم بالنجوم والزهور، حتى أصبحت حياتهم
كلها شعراً صرفاً. (2)

و أشار أبو الحكم بن حزم الإشبيلي (3) إلى أن المراسلات كانت تجري بين الشعراء
شعراً ونثراً، حيث يقول (4) :

وبيننا فقرَ يجري المزاحُ بها كالغنج في أعين مرضى بها حورُ
نثراً ونظماً من الآداب بينهما سحرُ البلاغة منظومٌ ومنتثرُ

وقد استخدم الشعراء عدداً من المصطلحات للدلالة على القصائد الشعرية التي يتم
تبادلها بين الشعراء، منها لفظ رسالة، فقد كتب أبو بكر بن عمار (5) قصيدة شعرية بعث
بها إلى ابن زيدون وأطلق عليها اسم رسالة، حيث يقول:

(1) الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر (ت 440 هـ/1048 م)، البديع في فصل
الربيع، حققه وقدم له : إبراهيم علي كردي، دار سعد الدين، دمشق، ط 1، 1997 م، ص (32-33).

(2) أنظر: إيمانو غرسيه غمس، الشعر الأندلسي، ترجمة حسين مؤنس، ط3، مكتبة النهضة
المصرية، القاهرة، 1969 م، ص 46.

(3) هو أبو الحكم عمرو بن مذحج بن حزم الإشبيلي، أحد شعراء القرن الخامس الهجري، جرت
بينه وبين ابن بسام مراسلات شعرية، وقد أثنى عليه ابن بسام. (ابن سعيد، المغرب 243 ؛
ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني (ت 542 هـ/1147م) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة
ق4، ج8، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة - بيروت، 1997، ق2، م2، ص596.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص 596.

(5) هو ذو الوزارتين محمد بن عمار، شاعر مشهور، أصله من قرية شلب، وقد صحب المعتمد
بن عباد منذ صباه وقتل على يديه إثر خيانتته ومحاولته الاستيلاء على مرسية،

يا برق أد رسالتي تفديك نفسي من رسول⁽¹⁾

وأطلق ابن زيدون على قصائده الكثيرة التي كان يرسلها إلى أبي الحزم بن جهور - حاكم قرطبة - رسائل حيث يقول: ⁽²⁾

أفي العدل أن وافتك تترى رسائلي فلم تترك وضعا لها في يدي عدل
إن هذا البيت يتضمن إشارة صريحة من الشاعر إلى استخدام لفظة رسالة للدلالة
على القصائد التي ترسل إلى طرف آخر.

وقد استخدم الشعراء الأندلسيون مرادفات أخرى للدلالة على الرسائل الشعرية،
مثل لفظة "كتاب"، فهذا أبو عامر بن شهيد⁽³⁾ يصف رسالة كان قد كتب بها إلى
جماعة أثناء مرضه:

هذا كتابي وكف الموت تزعجني عن الحياة وفي قلبي لكم ذكرك⁽⁴⁾

(ت599هـ/1202م) (ابن الأبار: الحلة السيرة ج2 ص 131، ابن بسام، الذخيرة ق2 م1
ص 368، الضبي: احمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1202م) بغية
الملتصم، دار الكاتب العربي، 1967 م، ص 13، ابن خاقان: الفتح بن محمد بن عبيد الله
الشهير بابن خاقان، (ت 529هـ/1134م)، قلاند العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق
عليه: حسين يوسف خريوش، ط الأولى 1998 م، مكتبة المنار، ص 253)
⁽¹⁾ ابن بسام: الذخيرة ق1 م1 ص 426 .

⁽²⁾ ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله (ت 463 هـ/1070م)، ديوان ابن زيدون
ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، دار النهضة المصرية للطبع والنشر، القاهرة،
1957 م، ص 267 .

⁽³⁾ هو الوزير أبو عمر أحمد بن عبد الملك بن شهيد (ت 426 هـ/1034م)، وهو أول من
سمي بذي الوزارتين، وكان من أهل الأدب البارع، وله قوة بديهة، له ديوان مطبوع .
(الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي، (ت 488هـ/1095م) جذوة المقتبس
في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة، 1966 م، ص 131؛ الوائلي،
عبد الحكيم الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، دار أسامة للنشر والتوزيع - عمان، ط1،
2001 م، ص 179) .

⁽⁴⁾ ابن شهيد الأندلسي، أبو عامر أحمد بن عبد الملك (ت 426 هـ/1034م)، ديوان ابن
شهيد الأندلسي، جمعه وحققه: يعقوب زكي، راجعه محمود علي مكي، دار الكاتب العربي،
القاهرة، ص 107 .

كما ذكر ابن زيدون بأنه سئم المراسلة بالكتب، ويتمنى التحدث إلى محبوبته مشافهة، يقول مناجياً محبوبته ولادة (1):

متى ينوب لساني في شرحه عن كتابي

كما أشار الشعراء إلى تسمية الرسائل الشعرية بالرقاع، وأكدوا على أنها تأتي نظماً، فهذا أبو الحكم الإشبيلي يقول مراجعاً عن شعر ورد إليه: (2)

أتى النظم كالنظم الذي تزدهي به عروس من الجوزاء إكليها البدر
تحلت لنا منه بخطك رقعة هي الروضة الغناء كللها الزهر
تحير ذهني في مجاري صفاته فلم أدر شعراً ما به فهت أم سحر

وهذا ابن خفاجة يشير إلى كثرة توالي الرقاع الشعرية عليه بقوله في رسالة شعرية: (3)

توالت رِقَاعُكَ تترى به وشكري لها موكباً موكباً

كما أطلق الشعراء على الرسائل الشعرية لفظ "مُهْرَق" وهي تعني "الصحيفة البيضاء يُكتب فيها" (4)، وقد أشار إلى هذه التسمية الشاعر أبو بكر محمد بن أحمد بن رُحَيْم (5) بقوله مراجعاً عن رسالة شعرية بعث بها أحد إخوانه: (6)

زارني من سماء فِكْرِكَ رَوْضٌ مِثْلَ ما واصلَ الحبيبُ الزَّيَّارَةَ
مُهْرَقٌ جاءَ في ثيابِ عَرُوسٍ أصبَحَ المَجْدُ تاجَهُ وَسِوَارَةَ

(1) ابن زيدون، الديوان، ص 149 .

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 2، ص 590 .

(3) ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي (ت 533 هـ/1235م)، ديوان ابن خفاجة، تحقيق الدكتور سيد غازي، منشأة المعارف، ط 2، 1979 م، ص 118 .

(4) اللسان، مادة "هرق"

(5) أديب بليغ شاعر ونائر، من أهل بيت وزارة، عمل في خدمة المرابطين وكان مقدماً مطاعاً في دولتهم . (ابن خاقان، القلائد، ص 337 ؛ الضبي، البغية، ص 52 ؛ ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 417) .

(6) ابن خاقان، القلائد، ص 365 .

كما اصطاح الشعراء على تسمية المراسلة الشعرية بالمخاطبة، كما أوردوا لفظ "خطاب" في بعض رسائلهم الشعرية، يقول الأعمى التطيلي (1)، مخاطباً (2):

إليك أبياتاً من الشعر قلتها بودي لو أني لهنّ كتابُ
فإن تتقبلها وتلك مطيبي فيا من رأى خطباً ثناه خطابُ

لقد ورد في هذه الرسالة مصطلحان يدلان على الرسالة وهما "خطاب" و"كتاب".

ومن المرادفات أيضاً للفظ رسالة كلمة (الطرس) وقد استخدمها الشعراء كثيراً في رسائلهم الشعرية، ومن ذلك أبيات لابن خفاجة واصفاً لكتاب أتاها (3) :

أطرسك أم نغرّ تبسم واضح ولفظك أم روض تنفس نافع

كما أشار أبو الحسن بن الجدي (4) إلى استخدام كلمة (الطرس) للدلالة على الرسالة بقوله (5) :

وراجع ولو في صفحة الماء راقماً وطالع فيكفيني من الطرس عنوانُ

ومن المصطلحات التي أطلقها الشعراء على رسائلهم الشعرية، لفظة (الصحيفة) فقد بعث أبو مروان بن شماخ (6) رسالة إلى أحد أصدقائه ضمنها لفظ صحيفة، حيث يقول :

(1) هو أحمد بن عبد الله بن هريرة القيسي، أبو العباس شاعر أندلسي نشأ في أشبيلية له قصيدة على نسق مرثية ابن عبدون في بني الأفضس، ت (525 هـ/1130م)، (ابن بسام : الذخيرة، ق2، م2، ص728 ؛ ابن سعيد : المغرب، ج2، ص451).

(2) الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة، ت (525 هـ/1130م)، ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت 1989 م، ص 11 .

(3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 79.

(4) هو أبو الحسن بن محمد بن الجدي، ترجم له ابن بسام ودعاها أبا الحسين يوسف بن محمد وقال : لولا معاقرة العقار لمأ ذكره البلاد وطبق نظمه ونثره الهضاب والوهاد، (ابن بسام : الذخيرة، ق2، م2، ص556، ابن سعيد : المغرب، ج1، ص340) .

(5) ابن سعيد : المغرب، ج1، ص340 .

(6) هو أبو مروان عبد الملك بن شماخ، من مدينة أشبيلية، إلا أنه تركها بعد أن أحملته فأجبرته للبحث عن المجد في غيرها من المدن . (الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، ص 178) .

لماً وضعتُ صحيفتي في بطن كف رسولها
قبلتها لتمسها يمينك عند وصولها⁽¹⁾

كما وردت لفظة صحيفة في رسالة شعرية لأبي حاتم الحجاري⁽²⁾ مطلقاً هذه التسمية على رسالة شعرية وردته من أحد أصدقائه⁽³⁾:

وقد أتتني وبعد البطء ما وردت صحيفة لم أنم منها على غرر

ومما تجب الإشارة إليه أن المصطلحات التي أطلقت على الرسائل الشعرية هي نفسها التي استخدمت للدلالة على الرسائل النثرية، ومن ذلك ما ورد في رسالة لأبي بكر بن عبد العزيز⁽⁴⁾ يقول فيها: "أما الود - أعزك الله - فمقيم، والعهد كريم، والإخاء مخيم لا يريم، لكني أخبرك عن حال مختلة، ونفس معتلة،..... بما وقفت عليه من كتابك، واستطلعت من خطابك."⁽⁵⁾

كما جاء أيضاً لفظ صحيفة للتعبير عن الرسالة النثرية، فقد ورد في رسالة لأبي الوليد الحميري على لسان الأزهار قوله: "..... وصلت إلينا بيعة أشتري بها من سعى فيها وفغر عن فيها (خسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين)، ولو استحق الورد إمامة، أو استوجب خلافة، لبادر بها أبأؤنا،..... وأما من عقد تلك البيعة، وكتب تلك الصحيفة، فلم ير له قط صورة ولا تلا من ذمة سورة...." ⁽⁶⁾.

ونخرج مما تقدم إلى القول إن الأندلسيين نقلوا المصطلحات التي تدل على الرسائل النثرية مثل: رسالة، وكتاب، وخطاب، وطرس، وصحيفة، إلى ميدان الشعر

(1) ابن بسام: الذخيرة، ق1، م2، ص827.

(2) فرد من أفراد العصر وشاعر متصرف في النظم والنثر... لجأ إلى قرطبة حين انقرضت أيام ملوك الطوائف واتخذ الطب مهنة. (ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص 652 - 666؛ ابن سعيد، المغرب ج2، ص 36).

(3) ابن بسام: الذخيرة، ق3، م2، ص770.

(4) هو أبو بكر بن عبد العزيز، محمد بن عبد الملك اللخمي الإشبيلي المعروف بابن المرخي، اشتهر بالكتابة، وكان محدثاً، سكن قرطبة واختص بأمرها المرابط (ت 536 هـ/1141م)، (ابن بسام: الذخيرة، ق2، م2، ص 533؛ ابن سعيد: المغرب، ج1، ص307؛) .

(5) ابن بسام: الذخيرة ق2، م2، ص542.

(6) الحميري: البديع في فصل الربيع، ص65.

واستخدموها للدلالة على القصائد والمقطوعات الشعرية التي ينظمونها ويرسلونها إلى الآخرين.

فالرسائل الشعرية هي نصوص شعرية، يتبادلها الشعراء فيما بينهم متفاوتة في الطول متعددة في الأغراض، وتشتمل على الخطاب والجواب معاً.

أما الرد على هذه الرسائل فيأتي إجابة أو مراجعة والمراجعة بمعنى المراسلة الشعرية⁽¹⁾، وتعني أيضاً نظم القصائد والمقطوعات بطريقة مماثلة لقصيدة أخرى في الغرض والوزن والقافية بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظ⁽²⁾، إما في بيت واحد أو عدة أبيات أو قصائد طويلة، وتشير هدى بهنام إلى أن الأجوبة تشبه المراجعة عند الرد على القصائد بأن ينقد المعنى الوارد في قصيدة السائل لأنه لا يناسب الحالة الموصوفة، أو يجيب عن الرسالة بأبيات تلائم الحالة الموصوفة⁽³⁾.

ومما هو جدير بالذكر في هذا المجال أن بعض هذه المراجعات تأتي شبيهة بالمعارضة الشعرية إذ يراجع الشاعر بجواب واصفاً فيه الرسالة التي وردت إليه، عارضاً لمضمونها، ذاكراً لعدد أبياتها، مبرزاً لمهارته في النظم، ملزماً نفسه اتباع الوزن والقافية وعدد الأبيات. ومن ذلك أن ابن الدباغ⁽⁴⁾ كتب إلى المعتمد بن عباد⁽⁵⁾ - عندما أهين في مجلسه - برقعة في العتاب هي :

(1) مطلوب: أحمد، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان، بيروت، ط 1، 2001 م، م 2، ص 366.

(2) مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، ص 366 .

(3) بهنام : هدى شوكة، النقد الأدبي في كتاب نفح الطيب، دار الرائد العربي، بيروت، ط 2، 1984 م، ص 166 .

(4) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن الدباغ، نشأ في سرقسطة، وتقل كثيراً، وقد اشتهر بالبلاغة والفصاحة، عمل كاتباً في سرقسطة ثم في أشبيلية لدى المعتمد بن عباد. (ابن بسام، الذخيرة، ق 3، م 1، ص 251؛ ابن خاقان، القلائد، ص 314 - 372؛ ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 144) .

(5) هو محمد بن عباد يكنى أبو القاسم، ملك أشبيلية، بويغ له بالإمارة بعد أبيه المعتضد سنة إحدى وستين وأربعمائة، وكان شاعراً مشهوراً ولم يك، في ملوك الأندلس قبله أشعر منه وقد توفي سنة (488هـ/1095م)، (ابن بسام الذخيرة، ق 2، م 1، ص 41؛ ابن الأبار،

يُهَانُ بِحَمَصٍ عَزِيزُ الرَّجَالِ وَيُعْرَى إِلَيْهِمْ قَبِيحُ الْفَعَالِ
وَيُعْرَى ذُوو النَّقْصِ مِنْ أَهْلِهَا بِنَطِيخِ أَعْرَاضِ أَهْلِ الْكَمَالِ

فوق المعتمد على ظهر رفعتَه بهذين البيتين:

شعرت فجننت بعين المحال وما زلت ذا خطلٍ في المقال
متى عز في حمص غير العزيز أو ذل غير الذميمة الفعالي⁽¹⁾

فقد جاءت هذه الرسالة الشعرية التي اتخذت شكل توقيع في مضمون رسالة ابن الدباغ مع التزام الشاعر المجابو بعدد الأبيات والوزن والقافية، وأحياناً لا يكتفي الشعراء بذلك بل يشيرون في أجوبتهم إلى عدد أبيات الرسالة الواردة إليهم؛ فهذا الفتح بن خاقان يبعث إلى القاسم ابن السقاط⁽²⁾ برقعة هي: ⁽³⁾

عسى روضة تهدي إليّ أنيقةً تُدبِّجُ أسطراً على ظهر مُهْرَقِ
أحلي بها نحري علاءً وسؤدداً وأجعلها تاجاً بهياً بمفرقي

وقد كانت رسالة الفتح بن خاقان دافعاً قوياً من أجل المراجعة، فهو قد بدأها بالتمني والطلب على ابن السقاط بأن يهدي له صحيفة، وأي صحيفة تلك إنها صحيفة مدبجة شعراً، وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على شدة تعلق الشعراء بهذه الرسائل.

الحلة، ج2، ص 52؛ المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن التجيبي (ت647هـ/1249م)، المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة 1994م، ص93.

(¹) ابن بسام الذخيرة، ق3، م1، ص253.

(²) هو أبو القاسم بن السقاط المالقي، نسبة إلى مالقة وهو من ولاية مالقة، (ابن سعيد، المغرب، ج1، ص428؛ ابن خاقان، القلائد، ص505؛ عماد الدين الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد بن عبد الله، المعروف بالعماد الكاتب، (ت597هـ/1191م)، خريدة القصر وجريدة العصر، ق4، تحقيق عمر الدسوقي وعلي عبد العظيم، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - مصر، ق4، ج2، ص449).

(³) ابن خاقان، القلائد، ص513.

وقد كان جواب ابن السقاط على هذه الرسالة بيتين من الشعر، يشير فيهما إلى عدد أبيات هذه الرسالة، وما تحمله من مشاعر وأحاسيس، وما تتضمنه من عبارات الشوق واللهفة :

أتنتي من شخص العلاء تحيةً كراد الضحى في رونقٍ وتألقي
سُطيران في مغزاهما أمن خائفٍ وسلوة مشغوفٍ وأنس مشوقٍ
ومما يلفت النظر في رسائل الأهاجي التي كان الشعراء يتبادلونها أنها تتضمن مقطوعات متعددة، ومن ذلك ما بعث به أبو محمد بن حزم إلى أبي المغيرة بن عبد الوهاب⁽¹⁾ إثر مهاجاة بينهما :

تبغ سواي امرءاً يبتغي سبابك، إن هواك السباب
فإني أبيت طلاب السفاه وصنت محلي عما يعاب

وأقول:

كفاني ذكر الناس لي وما أثري وما لك فيهم يا ابن عمي ذاكراً
عدوي وأشياعي كثيرٌ كذاك من غدا وهو نفاع المساعي وضائرٌ
فوقع له أبو المغيرة على ظهر رقعته: "قرأت هذه الرقعة العاقبة فحين استوعبتها أنشدتني:

نحنح زيدٌ وسنعل لما رأى وقع الأسلُ

فأردت قطعها وترك المراجعة عنها، فقالت لي نفسٌ قد عرقت ذكاءها تالله لا قطعتها إلا يده، فأثبت على ظهرها ما يكون سبباً لصونها وقلت :

نعقت ولم تدر كيف الجواب وأخطأت حتى أتاك الصواب
وأجريت وحدك في حبة لغير قرى فأتتك الذناب

وأقول :

وغاصبٍ حقٍ أوبقته المقادر " يذكرنى حاميم والرمح شاجرٌ "

(1) هو أبو المغيرة عبد الوهاب بن حزم، كتب عن عدة من الملوك، ونال حظاً عريضاً من دنياهم، وشجر الأمر بينه وبين ابن عمه أبو محمد بن حزم، وجرت بينهما هنات ظهر فيها أبو المغيرة وبكته حتى أسكته. (الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، ص 313 - 314) .

ألم تتعلم يا أبا الظلم أنني
 برغمك ناه منذ عشر وأمر
 تذلل لي الأملاك حرّ نفوسها
 وأركب ظهر النسر والنسر طائر
 وأبعث في أهل الزمان شوارداً
 تألفهم وهي الصعاب النوافر⁽¹⁾

من الملحوظ أن كل رسالة من الرسالتين السابقتين قد جاء في شكل مقطوعتين شعريتين، فقد جاءت الرسالة الأولى على البحر المتقارب، أما الرسالة الثانية فجاءت على البحر الطويل، وقد التزم أبو المغيرة بن حزم النهج نفسه الذي أتبعه أبو محمد في الوزن والقافية .

كما أن أبا المغيرة قد التزم مضمون ما جاء به أبو محمد بن حزم في المقطوعتين، فمضمون الرسالة في المقطوعة الأولى هو الهجاء أما المقطوعة الثانية فمضمونها الفخر ومديح الذات، وقد أتبع أبو المغيرة النهج نفسه في جوابه على الرسالة .

كما أجاب ابن خفاجة على شعر ورد إليه بقوله⁽²⁾ :

ومعرض لي بالهجاء وهجره
 جاوبته عن شعره في ظهره

وبجوابه هذا أشار إلى أنه أجاب عن الهجاء على ظهر الرقعة .

ويمكننا القول إن الرقاع التي يأتي الجواب فيها موقعاً على ظهر الرقعة نفسها، يكون ذلك في مواضع الإهانة والتحقير، ومضمونها على الأغلب الهجاء، وهناك العديد من الأمثلة تدعم هذا الرأي وتعززه⁽³⁾ .

ومما تجب الإشارة إليه أن تقاليد تبادل الرسائل الشعرية تقتضي وجوب الرد على الرسائل الشعرية المرسلة حتى إننا نجد في بعض الرسائل أن الطلب بالرد على الرسالة يأتي ضمن الأبيات المرسلة، وأحياناً نرى أن بعض الشعراء قد لا

(1) المقري، أحمد بن محمد التلمساني (ت 1041 هـ / 1631م)، نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب، 8ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت، 1968 م، 1م، ص 80؛ ابن بسام، الذخيرة، ق 1، م 1، ص 165 .

(2) ابن خفاجة، الديوان، ص 352 .

(3) انظر على سبيل المثال (ابن بسام؛ الذخيرة، ق 3، م 1، ص 253؛ ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 371) .

يتسنى له الإجابة على الرسالة لانشغاله بأمر آخر فبيعت له المرسل برسالة أخرى تذكره بوجوب الرد، وتطلب منه الجواب على الرسالة السابقة، ويمكن التمثيل على ذلك برسالة بعث بها أبو محمد بن عبدون⁽¹⁾ لأبي العلاء⁽²⁾، فتخلف أبو العلاء لشغلٍ عرض له فخطبه ابن عبدون برسالة أخرى منها هذه الأبيات⁽³⁾:

نصيبي من الدنيا مودة ماجد	أهيمُ به سراً وأخدمه جهرا
له الخير إن يأذن أقل غير عادل	وإن يَأبَ أسكت عنه لا طالباً عذرا
خطبتُ إليه من هواه عقيلةً	وأعطيت من شكري واغل به مهرا
فأطرق لم ينبس بحرف ولم يعد	إليّ جواباً منه نظماً ولا نثرا
وما الصمتُ في هذا المكان بسنة	فإني لم أخطب مودته بكرا

٢٣٣٨٢٢

ومما يدل أيضاً على وجوب إحضار الرد حتى مع حضور الشخص نفسه استجابة للدعوة أن الحسن بن الغليظ⁽⁴⁾ كتب إلى ابن السراج المالقي⁽⁵⁾ يقول:

يا من أقلبُ طرفي في محاسنه	فلا أرى مثله في الناس إنسانا
لو كنت تعلم مالاقيت بعدك ما	شربت كأساً ولا استحسنيت ريحانا

(١) أبو محمد عبد المجيد بن عبدون الفهري ، أديب وشاعر ، من أهل مدينة يابرة ، استوزره بني الأفضس إلى انتهاء دولتهم (ت 527هـ/1132م) . (ابن خاقان : القلائد، ص417، ابن بسام ، الذخيرة، ق 2، م2، ص(668-727) .

(٢) هو العلاء زهر بن عبد الملك بن زهر الأيادي ، فيلسوف عصره وحكيمة توفي عام (525هـ/1130م) . (ابن دحية ، أبو الخطاب عمر بن حسن) ت 633هـ/1235م (المطرب من أشعار أهل المغرب تحقيق إبراهيم الايباري وحامد عبد المجيد ، وأحمد بدوي ، راجعه طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة، 1997، ص 203 .

(٣) ابن عبدون، ديوان عبد المجيد بن عبدون الأيبري (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه، إعداد وتحقيق سليم التتير، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1، 1988 م . ص 132-133 .

(٤) هو صاحب ابن السراج ومنادمه، جرت بينه وبين ابن السراج مراسلات ومكاتبات ، وهو من شعراء المائة الخامسة . (ابن سعيد، المغرب، ج2، ص425) .

(٥) هو عبد الله بن السراج من أهل مالقة ، قال ابن بسام عنه أنه شاعر بني حمود . (ابن سعيد ، المغرب، ج2، ص434 ؛ الحميدي، الجذوة، ص61) .

فجاء من حينه وقال : " أردت مجاوبتك فخفت أن أبطئ فصنعت الجواب في الطريق". (1)

ومن ذلك أيضاً ما ورد في أخبار ابن عمار عندما كتب إليه الوزير أبو مروان عبد الملك بن رزين⁽²⁾، يدعوهُ إلى حضور مجلس أنس ، فعندما وصلتته الرقعة تأخر عن الحضور واعتذر بعذرٍ مختل المعاني والفصول ، فعمل أحد الحاضرين تأخره بتأخر الجواب ؛ "لأن الوصول بلا جواب إجحالٌ لأدبه ، وإخلالٌ لمنزله في الشعر ورتبه". (3)

ونتوصل مما سبق إلى حتمية الإجابة على الرسائل الشعرية ؛ إذ لا يمكن أن يبعث المرسل برسالة إلا وهو في انتظار الجواب .

3.1 نشأة فن الرسائل الشعرية وتطوره :

لقد ظهر فن الرسائل الشعرية في الأندلس في بدايات العصر الأموي على شكل توقيعات شعرية من الملوك وقد انتشرت هذه التوقيعات فيما بعد على شكل رسائل شعرية، فقد روي أن بعض الوفود من قریش كتب إلى الإمام عبد الرحمن الداخل يستعظم حظه منه، ويطلب إليه زيادة نصيبه من المال، فوقع على ظهر رقعة أبياتاً منها : (4)

شتان من قام ذا امتعاض مُنتَضِي الشفرتين نَصْلاً
فجاب قفراً وشق بحرراً مُسَامِياً لَجَةً وَمَحْلاً

(1) ابن بسام ، الذخيرة، ق1، م2، ص877 ؛ المقري، نفع الطيب، م3، ص399.

(2) هو أبو مروان عبد الملك بن رزين بن هذيل بن رزين، صاحب مملكة السهلة، وقد أخذ ولايتها عن والده، ولما توفي عام (496 هـ/1102م) ولي بعده ابنه . (ابن سعيد، المغرب ج2، ص428 ؛ ابن خاقان، القلائد، ص157 ؛ ابن دحية، المطرب ج39 ؛ ابن بسام ، الذخيرة، ق3، م1، ص109 ؛ العماد الأصفهاني، الخريدة ق4، ج2، ص308-312).

(3) ابن خاقان ، القلائد، ص159، المقري ، ؛ ابن دحية، المطرب، ص39 ؛ نفع الطيب، م1، ص668 .

(4) ابن الأيثار ، الحلة، ج2، ص39-40 .

فشاد مجداً وبز ملكاً
ثم دعا أهله جميعاً
فجاء هذا طريد جوع
فنال أمناً ، ونال شبعاً
ألم يكن حقّ ذا على ذا
أعظم من منعم ومولى

وعلى الرغم من أن هذا الفن كان في القرون الأولى من الوجود العربي الإسلامي قليل الشبوع والانتشار فقد سجلت لنا كتب الأدب بعض الرسائل المتبادلة بين الشعراء ، ومنها رسالة بعث بها محمد بن أبي عبده (1) إلى صديقه ابن عبد ربه يقول فيها:

أعدّها في نصابيها جزاعاً
قلوب يستخف بها التصابي
فأجاب ابن عبد ربه بأبيات منها :

فقد فضت خواتمها نزاعاً
إذا سكبت لها طارت شعاعاً
وأن يعصى العذول وأن تطاعا
متى تكشف قناعك للتصابي

وقد جاءت الأبيات على بحر الوافر كما التزم ابن عبد ربه البحر الذي جاءت عليه الرسالة الأولى وقافيتها، غير أنه لم يلتزم بعدد الأبيات .

وكتب القاضي منذر بن سعيد البلوطي (3) إلى أبي علي القالي البغدادي بهذين البيتين يستعير منه كتاباً: (4)

(1) هو محمد بن عبيد الله بن أبي عبده ، أديب شاعر من أهل بيت أدب ورياسة . (الحميدي ، جذوة المقتبس، ص66) .

(2) الحميدي ، جذوة المقتبس، ص66.

(3) هو أبو الحكم منذر بن سعيد ، يُعرف بالبلوطي ، نسبة إلى موضع قريب من قرطبة يقال له فحص البلوط، وقد كان عالماً فقيهاً وأديباً بليغاً وخطيباً على المنابر أيام الحكم المستنصر . (الحميدي ، جذوة المقتبس، ص348) .

(4) المقرئ ، نفح الطيب، م2، ص20 .

بحق ريم مهفهف وصدغه المتعطف
ابعث إلي بجزء من الغريب المصنف

فأجاب أبو علي بعد أن قضى حاجته بثلاثة أبيات هي :

وحق در تألق بفيك أي تألق
لأبعثن بما قد حوى الغريب المصنف
ولو بعثت بنفسي إليك ما كنت أسرف

ويبدو لنا أن الشاعرين في هاتين الرسالتين الشعريتين كأنما يتحدثان حديثاً نثرياً، لولا التزام الوزن والقافية، كما أننا نرى أن هذا الفن التوجه بالطلب من خلال رسالة شعرية قد ظهر في هذه الفترة .

ومن هنا نقول إن هذه الرسائل ورسائل شعرية أخرى قيلت في مواقف شتى، مثل الدعابة والفكاهة، ورسائل الدعوة إلى مجالس اللهو وغيرها، كانت نواة لفن المراسلات الشعرية فيما بعد، الذي كُتب لها بعد ذلك الذيوع والانتشار.

4.1 طريقة إرسال الرسائل الشعرية:

لقد كان الشعراء يحملون رسائلهم الشعرية رسلاً من الشعراء والكتاب والخدم والجواري وغيرهم ممن يتميزون بالذكاء والفتنة والمعرفة ، وكانت مهمتهم نقل نقل تلك الرسائل وإحضار الإجابات عليها ، يقول ابن حزم الأندلسي :

رسولك سيف في يمينك فاستجد حُساماً ولا تضرب به قبل صقله (1)

وقد رأينا الحسن بن الغليظ وابن السراج قد استخدمتا بينهما رسولاً شاعراً يحمل رسائلهما، وقد ذكر أبو علي أنه أرسل إلى ابن السراج رسالة شعرية مع رسوله، فألفاه سكران فكتب الرسول إليه رسالة أولها (2):

يا صديقي شُغلتُ عنك بخطبٍ لم يكن لي بتركه من سبيل

(1) ابن حزم الأندلسي ، أبو علي بن أحمد بن سعيد ، طوق الحمامة في الألفة والآلاف، ضبط

نصه وحرر هوامشه ، الطاهر أحمد مكي ، دار المعارف - القاهرة ، 1985، ص11 .

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص871 .

وقد أشار إلى هؤلاء الرسل بعض الشعراء منهم المعتضد بن عباد (1) في رسالة كتب بها إلى أبيه محمد بن إسماعيل بن عباد (2)، حيث يقول (3):

وما هزني إلا رسولك داعياً

فقلت: أمير المؤمنين مُجابُ

كما أشار إلى هؤلاء الرسل ابن زيدون عندما قال (4):

فهلا عدتني - إذ لم تعود

بشخصك - بالكتاب أو الرسول

كما أشار الراضي بن المعتمد (5) إلى الرسول في رسالة شعرية بعث بها إلى أبيه

معتذراً: (6)

بعثتُ برقعتي هذي رسولاً

صغير السنّ ليس له حويلُ

وكان قد بعث برقعته هذه مع ابنه الصغير.

على أنه لم يكن الرسل وحدهم الطريقة المستخدمة لتبادل الرسائل، فقد عمل الأندلسيون على تدريب الحمام الزاجل، واستخدامه لنقل الرسائل وتبليغها، وقد أشار ابن حزم إلى ذلك بقوله " وإني لأعرف من كانت الرسول بينهما حمامة مؤدبة" (7)

(1) هو أبو عمرو عباد بن محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي، ثاني أمراء الدولة العبادية

بإشبيلية. وولي بعد وفاة أبيه سنة (439هـ/1047م)، وقد اتسم حكمه بالعدل وحسن التدبير ،

(انظر: المراكشي ، المعجب، ص 89 ؛ ابن دحية، المطرب، ص 12؛ ابن بسام ،

الذخيرة، ق 2، م 1، ص 23) .

(2) هو محمد بن إسماعيل بن عباد اللخمي القاضي، أبو القاسم " وكان القاسم بن حمود قد

اصطنعه بعد مهلك أبيه إسماعيل ورد عليه ميراثه من قضاء بلده، فخانه تخون الأيام،

وصده عن إشبيلية بلده لما قصده من قرطبة مفلولاً . (ت 433هـ/1041م) (انظر : ابن

الأبار، الحلة، ص 34 - 39) .

(3) ابن الأبار ، الحلة، ج 2، ص 46 .

(4) ابن زيدون ، الديوان، ص 191 .

(5) الراضي بالله يزيد ملك رندة، ابن الملك الشاعر المعتمد بن عباد، وكان أبوه ولاء الجزيرة

الخضراء وضم إليه رندة الغراء، وقد حاصره فيها المرابطون وقتلوه حين اغتصبوا الملك

من أبيه. (الوائلي، موسوعة شعراء الأندلس، ص 131 - 132) .

(6) ابن الأبار ، الحلة ، ج 2، ص 72 .

(7) ابن حزم ، طوق الحمامة، ص 11 .

كما ورد عن المعتصم بن صمادح أنه بعث إلى إحدى زوجاته برقعة طيرها إليها
في جناح حمامة وكتب فيها (1):

وَحَمَلْتُ ذَاتَ الطُّوقِ مِنِّي تَحِيَّةً تَكُونُ عَلَى أَفْقِ المَرِيَةِ مَجْمَرًا
تُبَلِّغُ مِنِ وُدِّي إِلَيْكُمْ رَسَائِلًا بِأَعْبَقٍ مِنْ نَشْرِ العَبِيرِ وَأَعْطَرَا

5.1 أسباب انتشار فن المراسلات الشعرية :

تعد روابط الصداقة القوية التي كانت تربط بين الشعراء وأقرانهم من أكثر
الدواعي لنظم الرسائل الشعرية، فنرى ابن زيدون يتذكر أيامه الجميلة ببلنسية مع
صديقه الوفي أبي عبد الله بن عبد العزيز (2)، فيكتب إليه رسالة شعرية منها هذه
الآبيات: (3)

أَفْضِيضُ مَسْكَ أُمِ بِلَنْسِيَّةٍ لِرِيَاها نَمِيمٌ
بِلَدِّ حَبِيبٍ أَفْقُهُ لِفَتْىٍ يَحُلُّ بِهِ كَرِيمٌ
إِنْ عِيلَ صَبْرِي مِنْ فِرَاقِكَ فَالعَذَابُ بِهِ أَلِيمٌ

كما وصفت لنا المصادر الأندلسية كثيراً من مظاهر الصداقة والإخاء والمودة
بين الشعراء، وقد ذكر ابن بسام في معرض حديثه عن أبي علي الحسن بن الغليظ و
ابن السراج المالقي واصفاً صداقتهما، حيث يقول: " فقد كان صاحبه الكثير الاتصال
به والمنادمة له " (4)، ومن يعود إلى المصادر الأندلسية يجد أنه قد دارت بينهما كثيراً
من المراسلات الشعرية في مضامين شتى، منها الدعوة إلى مجالس الأُنس، ومن
ذلك الرسالة التي بعث بها الحسن بن الغليظ إلى صديقه الوفي ابن السراج (5) :

يَا خَلِيلًا صَفَا وَكَدَّرَ يَوْمِي هَلْ إِلَى الطَّيِّبِ فِي غَدٍ مِنْ سَبِيلِ ؟

(1) ابن الأبار ، الحلة، ج2، ص84 ، ابن خاقان : القلائد، ص156.

(2) هو الوزير الكاتب محمد بن مروان بن عبد العزيز، وزير لبني عبد العزيز أمراء بلنسية،
وبعد أن ملك ابن ذي النون بلنسية، استخلف عليها أبا عبد الله هذا، ثم انتقل أمرها بعد وفاته

إلى ابنه أبي بكر . (انظر : ابن الأبار، الحلة، ج2، ص129) .

(3) ابن زيدون، الديوان، ص 201 - 202

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص870.

(5) ابن بسام، المصدر نفسه، ق1، م2، ص871 .

وَأَسْقَى مِنْ رَيْقِهِ الْمَعْسُولِ

لَوْ تَرَانِي أَسَارِقُ اللَّحْظَ خَلِّي

لَوْ خَلَوْنَا إِذْ نَ شَفَيْتُ غَلِيلِي

يَا خَلِيلًا مِثْلَهُ نَصَبَ عَيْنِي

كما كتب ابن السراج إلى صديق لهما عندما كانا في ذلك المجلس برسالة شعرية

منها هذان البيتان (1) :

فِي مَنْزِلِ طَيْبِ الثَّرَى حَسَن

هَلْ لَكَ فِي الشَّرْبِ يَا أَبَا الْحَسَنِ

بِوَاكِفٍ مِنْ مِيَاهِهِ هَتَنِ

أَرْجَاؤُهُ لَا تَزَالُ دَائِرَةً

ولم تقف المراسلات الشعرية بين الأصدقاء عند حد الدعوة إلى مجلس الأُنس، فقد

استخدمها الشعراء في الطلب والاستهداء، والتهنئة بقدم المولود أو بالزواج، كما

استخدمها الشعراء أيضاً في التهنئة بالقدوم من السفر، فقد كتب رفيع الدولة بن

صمادح (2) إلى الفتح بن خاقان يهنئه بقدومه من السفر (3) :

فَجَاءَتْ بِكَ الْأَمَالُ وَاتَّصَلَ الْأُنْسُ

قَدِمْتَ أَبَا نَصْرِ عَلَى حَالٍ وَحِشَةٍ

وَفَازَتْ عَلَى يَأْسٍ لِبَغِيئَتِهَا النَّفْسُ

وَقَرْتَ بِكَ الْعَيْنَانَ وَاتَّصَلَ الْمُنَى

وَمِنْ رَأْيِهِ فِي كُلِّ مَظْلَمَةٍ شَمْسٌ

فَأَهْلًا وَسَهْلًا بِالْوَزَارَاتِ كُلِّهَا

فمن خلال تلك الرسائل الشعرية الإخوانية يتم تبادل معاني المودة والصدقة التي

تسهم في توثيق العلاقات بين المتخاطبين.

أما السبب الثاني من أسباب ازدهار فن المراسلات الشعرية فهو شيوع ظاهرة

التشرد والترحال وعدم الاستقرار التي عانى منها كثير من أبناء المجتمع الأندلسي؛

فقد تعرض المجتمع في الأندلس لاهتزازات عنيفة في القرن الخامس الهجري أهمها

فتنة قرطبة التي أدت إلى سقوط الخلافة، وتنازع ملوك الطوائف على البلاد، إضافة

(1) ابن بسام، المصدر نفسه، ق1م1، ص2، ص874.

(2) هو أبو يحيى رفيع الدولة ابن المعتصم بن صمادح كان كاتباً متقدماً وشاعراً مجيداً ولم يكن

ببني صمادح أشعر منه . (انظر: ابن الأبار، الحلة ج2ص92، ابن بسام، الذخيرة ق1م2

ص737؛ ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد بن خاقان(ت529 هـ/1134م)، مطمح

الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد علي شوابكة، مؤسسة

الرسالة، بيروت، ط1، 1983 م، ص222-223).

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1م2، ص838.

إلى دخول المرابطين في أواخر هذا القرن، وما أحدثه ذلك من أثر كبير على المجتمع بشكل عام، ومن ذلك ما حدث في بلنسية من استيلاء مظفر ومبارك⁽¹⁾ عليها بعد فتنة قرطبة، فقد خلا لهم الجو فسودا نفسيهما على الرعية وانغمسا في أنواع من الترف والبذخ وعظمت الجباية على الرعية حتى بلغت مائة وعشرين ألف دينار في الشهر، وقد أدى ذلك إلى تساقط الرعية وجلائها أولاً بأول، كما قربوا العبيد من شتى أقطار الأندلس وزهدوا في الأحرار وأبنائهم ممن طراً منهم عليهم.⁽²⁾

إن هذا الاضطراب السياسي والاجتماعي أدى إلى الترحل طلباً للرزق، فهذا عبد الله بن صارة الشنتريني⁽³⁾ تضيق به الحال، وجوب بلاد الأندلس باحثاً عن عمل، ثم يستقر في أشبيلية، ويعمل في الوراقة على كساد سوقها، وفيها يقول⁽⁴⁾:

أما الوراقة فهي أنكد حرفة أوراقها وثمارها الحرمان
شبهت صاحبها بصاحب إبرة تكسو العراة وجسمها عريان

كما اتخذ الشعراء من رسائلهم الشعرية وسيلة لبلوغ غاياتهم و الوفود على أحد أمراء الطوائف ، أو عرض خدمتهم عليهم ، وقد نجد منهم من يرفض خدمة هؤلاء

(1) مبارك ومظفر هما عبدان وليا أولاً وكالة الساقية ببلد بلنسية عام (401هـ/1010م)؛ ثم أمرا على بلنسية بعد هروب وزيرها عبد الرحمن بن يسار . (انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص13).

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص13-21، و أحداث الفتنة في المصدر نفسه، ق1، م1 ص35 وما بعدها .

(3) هو عبد الله بن محمد بن صارة الشنتريني، نزل أشبيلية وسكنها وتعيش فيها بالوراقة، وأكثر من التطوف في بلاد الأندلس، وعرف بجودة شعره (ت517هـ/1123م)، (انظر: ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص834، ابن خاقان : القلائد، ص809 . ابن دحية : المطرب، ص79، الضبي، بغية الملمس، ص338، ترجمة رقم 896) .

(4) ابن بسام : الذخيرة، ق2، م2، ص835 .

الملوك كما فعل ابن شرف مع المعتضد بن عباد ، إذ أرسل المعتضد بن عباد في طلبه فرفض ابن شرف خدمته ، وقد جاء ذلك في رسالة شعرية ، منها قوله⁽¹⁾ :

أَنْ تَصِيدَ غَيْرِي صَيْدَ طَائِرَةٍ أَوْ سَعْتَهَا الْحَبَّ حَتَّى ضَمْنَهَا الْقَفْصَ
لَكَ الْمَوَائِدَ لِلْقَصَادِ مِثْرَعَةً تَرَوِي وَتَشْبَعُ لَكِنْ بَعْدَهَا غَصَصَ

وقد يكون الترحل خوفاً من الحاكم وهروباً من بطشه، إذ قد تحدث بعض الأمور التي تثير غضب الحاكم على الشاعر أو الأديب بشكل عام فيهرب إثر ذلك؛ كما حدث مع ابن الحداد⁽²⁾ فقد استوطن المريّة وأكثر من مديح بني صمادح، ومع ذلك طولب عندهم وقبض على أخيه ففر هارباً إلى مرسية⁽³⁾ ومنها كتب عدة رسائل، ومنها رسالة شعرية يعتذر فيها عن خروجه من المريّة، ويفتتحها بالشكوى من الزمن، حيث يقول⁽⁴⁾ :

الدهرُ لا ينفكُ عن حدثانه والمراء منقادٌ لحكم زمانه

فدع الزمان فاتنه لم يعتمد بجلاله أحداً ولا بهوانه

كما يمكن أن يكون سبب الترحل طلب العلم وهذا ما حدث لابن الفرضي⁽⁵⁾ ، فقد ارتحل إلى بلاد المشرق طلباً للعلم، ومن تلك البلاد كتب إلى أهله برسالة شعرية تفيض شوقاً إليهم وحنناً لفراقهم، يقول في مطلعها:

(1) ابن بسام ، الذخيرة ، ق4 ، م1 ، ص 182 .

(2) هو محمد بن أحمد القيسي أبو عبد الله، المعروف بابن الحداد، أصله من وادي آش، سكن المريّة وهرب منها بسبب مطالبة المعتصم بن صمادح توفي سنة (480 هـ/1087م) ، (ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص691 ؛ ابن خاقان، المطمح، ص336 ؛ ابن سعيد : المغرب، ج2، ص143) .

(3) مدينة بالأندلس، وهي قاعدة تدمير، بناها الأمير عبد الرحمن بن الحكم، وتقع على ضفة نهر، (الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، (ت723 هـ/1323م)، الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2، 1984 م، ص539) .

(4) ابن الحداد، أبو عبد الله بن الحداد الأندلسي (ت480 هـ/1087م) ، شعر ابن الحداد، تحقيق

منال منيزل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1985م، ص93 .

(5) هو أبو الوليد عبد الله بن محمد المعروف بابن الفرضي صاحب تاريخ العلماء والرواة للعلم بالأندلس الذي ذيل عليه ابن بشكوال بكتاب الصلة وله أيضاً كتاب المؤلف والمختلف، قتل

مضت لي شهور منذ غبتم ثلاثة وما خلنتني أبقي إذا غبتم شهرا

ومنها:

أعلل نفسي بالمنى في لقائكم واستسهل البر الذي جبت والبحرا

ويؤنسني طي المراحل عنكم أروح على أرض وأغدو على أخرى⁽¹⁾

كما يعد اهتمام ملوك الطوائف بالشعر وتقديرهم له سبباً من أسباب ازدهار فن المراسلات الشعرية وانتشاره، فقد كان لهم الفضل الأكبر في تطور هذا الفن حيث اهتموا بالشعراء ومنحوهم الهبات والصلوات، وأغدقوا عليهم الأموال، وأجروا لهم الرواتب، كما خصصوا لهم يوماً من أيام الأسبوع لا يدخل فيه عليهم سواهم⁽²⁾، ينشدون عليه أشعارهم وينالون الجوائز والهدايا، التي لا يمكن أن يحضى بها إلا الشاعر المتميز، فهذا ابن جاح البطليوسي⁽³⁾ وهو من الشعراء الجوالين يصل إلى إشبيلية وينشد المعتمد قصيدته التي أولها:

قطعت يا يوم الندى أكبادي وحرمت عن عيني لذيد رقادي

فيوليه المعتمد بفضلها رئاسة الشعراء⁽⁴⁾.

كما "كان المعتمد بن صمادح يعقد المجالس بقصره للمذاكرة، ويجلس يوماً في كل جمعة للفقهاء والخواص، فيتناظرون بين يديه في كتب التفسير والحديث، ولزم حضرته فحول من الشعراء".⁽⁵⁾

في الفتنة البربرية (400هـ/1009م). (الضبي، بغية الملتمس، ص334؛ ابن دحية، المطرب، ص132؛ المقرئ، نفع الطيب، م2، ص129؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص614)

(1) المقرئ، نفع الطيب م2، ص132؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص615.

(2) انظر: المقرئ، نفع الطيب م4، ص244.

(3) هو ابن جاح البطليوسي الأمي شاعر مشهور، منتج يقصد الملوك بالمدايح، (الحميدي، جذوة المقتبس، ص405).

(4) المقرئ، نفع الطيب، م4، ص244.

(5) ابن الأبار، الحلة، ج2، ص82.

ولما كانت قرطبة تمثل المركز الثقافي الوحيد (1) زمن الخلافة الأموية فقد أدى سقوطها إلى تعدد العواصم السياسية والمراكز الثقافية، إذ انقسمت الدولة الواحدة إلى ممالك متعددة متفرقة متناحرة، كل مملكة تطلب التوسع على حساب جاريتها، وتنشد الشهرة والخلود لنفسها، فقد عمل ملوك الطوائف على جذب الشعراء وتعيين الوزراء ذوي القدرات العالية في الأدب، هذا بالإضافة إلى كون هؤلاء الملوك من الشعراء، يهتمون بالشعر ويقدرونه من أمثال المعتضد بن عباد، وابنه المعتمد بن عباد بالإضافة إلى المعتصم بن صمادح والمتوكل على الله بن الأقطس. ولما كان أثر الشعر قوياً على النفوس، فقد نظم الملوك في - بعض الأحيان - رسائلهم شعراً فهذا المعتمد بن عباد يكتب إلى يوسف بن تاشفين -أمير المرابطين في المغرب - ما نصه: (2)

بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
حالت لفقدكم أيامنا فعدت سوداً وكانت بكم بيضاً ليالينا

وقد كان في تفرق ملوك الطوائف ازدهار للأدب بشكل عام، إذ نفقوا سوق العلوم وتباروا في المثوبة على المنثور والمنظوم، فما كان أعظم مباهاتهم إلا قول "العالم الفلاني عند الملك الفلاني والشاعر الفلاني مختص بالملك الفلاني" (3) ولم يكن اهتمام الملوك منصباً على شعراء البلاط فقط، إذ رأينا مجموعة من الشعراء يستغنون عن الارتحال وذلك بإرسال قصائدهم إلى الملوك مكتوبة منتظرين أن تأتيهم الصلات إلى منازلهم، فهذا ابن شرف⁴ يبعث إلى المعتضد بن عباد بخمس قصائد من شعره مع رقعة خاطب بها الوزير أبا الوليد بن زيدون نقبتس منها قوله:

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص33 .

(2) المقري، نفع الطيب، م3، ص191 .

(3) المقري، المصدر نفسه، م3، ص190 .

(4) هو أبو عبد الله محمد بن أبي سعيد بن شرف الجذامي، له مصنفات عديدة منها "أبكار الأفكار" و"أعلام الكلام" نشأ في القيروان ورحل إلى الأندلس بعد خرابها على يد بني هلال وتردد على ملوك الطوائف، توفي سنة (460هـ/1067م)، (ابن دحية، المطرب، ص66، ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص169-245، جذوة المقتبس، ص405) .

"...وقد رفعت إلى حضرته الرفيعة خمس أبناء عرب، تخدمهن وليدة ذات حسن وأدب خصصت بالخمس القرائض خير الملوك، وبالوليدة برّ الحرّ المملوك وهنّ وإن زدن على أربع الشرع واحدة، فليست في دين الشعر بزائدة، ولما جاز أكثر من أربع لخير الأنام، اقتدينا بذلك في خير الكرام" (1). وقد بعث له المعتضد مع الجواب ثلاثين مثقالاً وطلب منه الحضور عنده.

وانتشرت ظاهرة إرسال القصائد للملوك والوزراء فهذا عبادة القزاز (2)، يكتب قصيدة في مدح المعتمد بن عباد ثم يرفعها إلى أبي بكر الخولاني (3) طالباً منه توصيلها إلى ممدوحه، فيقول مخاطباً أبا بكر " فلك الفضل في توصيل ذلك إليه، وتقبيل الكريمتين - عني - يديه فإن نجح السعي وساعد السعد، فمن عندك أرى ذلك، فأنت المشارك المشكور على اهتبالك، ولولا حوائج جرت علي، فقصت جناحي، وسلبت ما لديّ، لأمضيت عزمي وكنيت مكان نظمي" (4).

وتكشف هاتان الرسالتان عن أن الشعراء يقدمون الاعتذار عن عدم قدرتهم على الوفود على الممدوح والمثول بين يديه لأسباب مختلفة، منها بعد المسافة أو الانشغال بأمر ما.

كما بعث ابن الحناط: (5) رسالة إلى المظفر بن الأفطس مستجدياً إياه مادحاً له،

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص173.

(2) هو أبو عبد الله محمد بن عبادة المعروف بابن القزاز من مشاهير الشعراء والأدباء الذين عرفوا في المرية في عصر المعتصم بن صمادح في القرن الخامس الهجري، أبدع في فن الموشحات، (ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص801، ابن سعيد، المغرب، ج2، ص134).

(3) هو أبو بكر الخولاني الباجي، من أهل باجة، سكن إشبيلية وهو من الأدباء الشعراء المشهورين في عصر ملوك الطوائف، (الضبي، بغية الملتمس، ص517؛ الحميدي، جذوة المقتبس، ص39).

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص802.

(5) هو محمد بن سليمان أبو عبد الله البصير، يعرف بابن الحناط كان متقدماً في البلاغة والأدب والشعر، مدح الملوك والرؤساء، كان يناوئ ابن شهيد ويعارضه (ت430هـ/1038م) تقريباً (الضبي، بغية الملتمس، ص77، ابن سعيد، المغرب، ج1، ص121؛ ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص437؛ العماد الأصفهاني، الخريدة، ق4، ج2، ص223).

فجاءت الصلوات أكثر مما كان يتوقع، فبعث برقعة أخرى شاكرًا له على كرمه وحسن عطائه، حيث يقول (1):

كُتِبَ عَلَى الْبَغْدِ مُسْتَجِدِيًّا لِعَلْمِي بِأَنَّكَ لَا تَبْخُلُ
فَجَاءَ الرَّسُولُ كَمَا اشْتَهَى وَقَدْ سَاقَ فَوْقَ الَّذِي آمَلَ
وَمَا كَانَ وَجْهَكَ ذَاكَ الْجَمِيلُ لِيَفْعَلَ غَيْرَ الَّذِي يَجْمَلُ

ونخرج مما سبق إلى القول إن الشعراء كانوا يبعثون قصائدهم إلى الملوك لينالوا عليها الصلوات، وكان إجزال العطاء لهم سبباً في ازدهار فن الرسائل الشعرية.

على أن بعد المسافة لم يكن وحده الدافع إلى كتابة تلك الرسائل، فهناك مراسلات كثيرة جرت بين الشعراء على الرغم من وجودهم في مدينة واحدة، ولعل تلك العادة ناشئة من أن للشعر مفعولاً قوياً في نفوس الناس يفوق مفعول الكلمة التي تبث مشافهة، (2) فحبهم للشعر وتقديرهم للأثر الذي يتركه في النفس، هو ما دفع ولادة بنت المستكفي (3) إلى أن تكتب إلى ابن زيدون:

ترقب إذا جنَّ الظلام زيارتي فأني رأيت الليل أكرم للسر
وبي منك ما لو كان بالبدر ما بدا وبالليل ما أدجى وبالنجم لم يسر (4)
وتأثير الشعر على النفس هو ما دفع ببعض الشعراء إلى طلب الشعر على البديهة، فقد قال المعتمد بيتاً هو: (5)

وهويتُ سألبة النفوس عزيزةً تختال بين أسنة وبواتر

(1) ابن سعيد، المغرب، ج، 1، ص 123.

(2) انظر: إحسان عباس وآخرون، دراسات في الأدب الأندلسي، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2، 1978م، ص 165.

(3) هي ولادة بنت محمد بن عبد الرحمن الناصري الملقب بالمستكفي، أميرة، وشاعرة وناقدة، بصيرة بالأساليب الشعرية، وقد كان شعرها يتسم بالسلاسة والرصانة وامتانة التركيب، و جعلت من منزلها ملتقى للأدباء والشعراء، توفيت قريباً من سنة 484هـ/1091م. (المقري، نفح الطيب م4، ص 206).

(4) المقري، نفح الطيب، ج4، ص 206.

(5) انظر: القصة والأبيات: الأزدي، علي بن ظافر الأزدي، بدائع البدائنه، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، صيدا - بيروت، 1992م، ص 113.

ثم تعذر عليه إتمام القصيدة، فبعث إلى أبي الوليد النحلي البطليوسي⁽¹⁾ برقعة مكتوب فيها هذا البيت وطلب من رسوله عدم مفارقتة إلا ومعه الجواب، فكتب النحلي فور وقوع الرقعة بين يديه قصيدة منها :

راقت محاسنها ورق أديمها فكاد تبصر باطناً من ظاهر

وتمايلت كالغصن بللة الندى يختال في ورق الشباب الناضر

ومما سبق يظهر لنا أن اهتمام المعتمد بن عباد بالشعر وحنوه عليه قد دفع النحلي إلى إتمام القصيدة في نفس الوقت.

ومن الأسباب التي أدت إلى تطور هذا الفن ازدهاره انتشار ظاهرة عقد مجالس اللهو والأنس وسط المتنزهات والرياض، فقد كان الشعراء يبعثون برسائلهم الشعرية إلى أصدقائهم لحضور مجالسهم والتنزه بصحبتهم وقضاء أوقات الفراغ معهم، فقد كتب ذو الوزارتين عيسى بن لبون⁽²⁾

إلى ابن اليسع⁽³⁾ عندما كان في مجلس أنس مع الوزراء والكتاب وابن اليسع غائب عنه : (4)

لو كنت تشهد يا هذا عشتينا والمزن يسكب أحياناً وينحدر

(1) هو أحد شعراء المعتمد بن عباد، قال فيه ابن بسام : " كان باقعة دهره، ونادرة عصره... وكان يضحك من حضر، ولا يكاد يبتسم هو إذا نذر " (ابن بسام، الذخيرة ق2، م2، ص 809) .

(2) هو لبون بن عبد العزيز بن لبون، من وزراء المأمون بن ذي النون، رأس بمربيطر من أعمال بلنسية، ثم تولى عنها لعبد الملك بن رزين وقد كان موصوفاً بتجويد الشعر، (ابن خاقان، القلائد ، ص289 ؛ ابن الأبار، الحلة ، ج2، ص169 ؛ ابن سعيد، المغرب ، ج2، ص376) .

(3) هو أبو الحسن علي بن اليسع، صاحب جزيرة لورقة، ذكر الفتح أنه كان كلفاً بالخمير، أعان بني عباد على فتح مرسية بقيادة أبي بكر بن عمار، ثم تولى إدارتها نيابة عن المعتمد وبقي حتى ثار عليه أهلها وخلصوه، (ابن خاقان، القلائد، ص493 ؛ ابن الأبار، الحلة ، ج2، ص172-176 ؛ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص87) .

(4) ابن خاقان، القلائد ، ص293 ؛ ابن الأبار، الحلة ، ج2، ص169 .

والأرض مصفرة بالمزن كاسيةً أبصرت تبراً عليه الدر ينتثر

لقد جاءت هذه الرسالة في وصف منظر الأرض، الذي أثار إعجاب ابن لبون مما دفعه إلى الكتابة إلى صديقه واصفاً له جمال الطبيعة أجمل وصف، فالأرض تبرٌ يكسوها المزن كأنه الدر.

إن الطبيعة الأندلسية فاتنة وخلابة، قصدها الشعراء وأكثروا وصفها بما فيها من نواوير وزهور، وقد وصفها أبو عبيد البكري⁽¹⁾ بأنها " شامية في طيبتها وهوائها، يمانية في اعتدالها واستوائها، هندية في عطرها وذكائها، أهوازية في عظم جبايتها، صينية في جواهر معادنها، عدنية في منافع سواحلها"⁽²⁾

ويعد ابن خفاجة من أكثر الشعراء وصفاً لطبيعة الأندلس وتغنياً بجمالها، وقد شبهها بجنة الخلد لشدة إعجابه بها، حيث يقول⁽³⁾ :

يا أهل أندلسِ لله دَرُكُمْ ماءً وظلٌّ وأنهارٌ وأشجارٌ
ما جنةُ الخلدِ إلا في ديارِكُمْ وهذه كُنْتُ لو خَيْرْتُ أختارُ
لا تتقوا بعدها أن تَدْخُلُوا سَقَرًا فليسَ تَدْخُلُ بَعْدَ الْجَنَّةِ النَّارُ

وقد تبادل الشعراء كثيراً من الرسائل في وصف منظر الربيع أو المطر أو غيرها من مناظر الطبيعة الأندلسية الخلابة، وكتاب " البديع في فصل الربيع " غاصّ بمثل تلك المراسلات، ومن الرسائل الشعرية التي تقدم وصفاً لمنظر الربيع رسالة أبي الوليد إسماعيل عندما كتب إلى أبيه⁽⁴⁾:

فالأرض في بردة من يانع الزهر تزري إذا قستها بالوشي والحبر
قد أحكمتها أكفُ المزنِ واكفةً وطرزتها بما تهمني من الدررِ
تبرجت فسبت منها العيون هوىً وفتنةً بعد طولِ السترِ والخفرِ

(1) هو أبو عبيد عبد الله بن أبي زيد عبد العزيز البكري، كان من أهل اللغة والأدب والمعرفة الواسعة بمعاني الأشعار والغريب والأنساب والأخبار، (ت 487 هـ/1094م) (ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 232).

(2) المقرئ، نفح الطيب، ج 1، ص 126.

(3) ابن خفاجة، ديوان ابن خفاجة، ص 364.

(4) الحميري، البديع في فصل الربيع، ص 33؛ المقرئ، نفح الطيب، م 3، ص 427.

إن هذه الرسالة الشعرية تكشف عن أن منظر الربيع كان دافعاً إلى المراسلة بين الشعراء.

ومن أسباب ازدهار هذا الفن أيضاً كثرة الشعراء الجوالين الذين يطوفون بلاد الأندلس طلباً للتكسب، ونيل الصلات، وقد أدت هذه الظاهرة إلى نشوء رسائل الشفاعات وازدهارها، فكان الشاعر بحاجة إلى توصية من أحد المشهورين حتى يبلغ مأمله⁽¹⁾، ومن الأمثلة على ذلك الرسالة الشعرية التي بعث بها ابن زيدون إلى المظفر بن أبي الأفطس في الشفاعة لأحد أصدقائه، منها هذه الأبيات: ⁽²⁾

وَمُسْتَشْفَعُ بِي بِشَرَّتُهُ -على ثقة- بالنجاح الأتم
وقدماً أقلت المسيء العثار وأحسنت بالصّفح عمّا اجترّم
وعندي لشكرك نظم العقود تناسق فيها اللآلى التّوم

ومن الشعراء الجوابين أبو زكريا الجلماني⁽³⁾ فقد جاب بلاد الأندلس مستجدياً بشعره ومن قصائده التي رفعها إلى المأمون بن ذي النون قوله من جملة أبيات: ⁽⁴⁾

خَبَرْتُ مَلُوكَ الْأَرْضِ شَرْقاً وَمَغْرِباً فلم أرَ كالمأمون في الشرق والغرب
مقالة معضود اللسان بقلبه ولا خير في قول يكون بلا قلب

ومن الشعراء الجوالين أيضاً ابن شرف القيرواني فقد أكثر من التردد على ملوك الطوائف، ومدحهم يقول فيه ابن بسام ".....لم يزل على ملوك الطوائف يومئذ يتطوّف ويتنقل في الدول من منزل إلى منزل، ومن بلد إلى بلد، إلا حضرة المعتضد، فإنه كان يُخاطبُهُ وينشده:

أحبك في البتول وفي أبيها ولكني أحبك من بعيد" ⁽⁵⁾

(1) عباس، إحسان عباس، تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة بيروت، ط2، 1971 م. ص86.

(2) ابن زيدون، الديوان، ص416.

(3) هو أبو زكريا محمد بن زكي الجلماني كان سكناه بأشبونة وهو من جلمانية وكان متجولاً في الأقطار الأندلسية مستجدياً بالأشعار، (ابن سعيد، المغرب، ج1، ص378

(4) ابن سعيد، المغرب، ج1، ص378.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص181.

وهكذا فعل ابن شرف مع ممدوحيه في الأندلس، " فكان يزف إليهم القصائد والمدائح، طمعاً في نيل أعطياتهم وهباتهم، فيجزلون له العطاء، حتى وهو بعيد عنهم وفي بلاط غيرهم ...". (1)

ومن الشعراء الجوابين أيضاً الأديب أبو محمد بن مالك القرطبي (2)، فقد تجول كثيراً طلباً للرزق ثم استقر في المرية تحت ضنك العيش مع عدة مدائح رفعها لأمرها ابن صمادح، فلما كان يوم عيد أنشده شعراً منه هذه الأبيات (3):

مضى الفطر والأضحى ولا نيل يقتضى فلم أخفقت وحدي إليك مطالبي

وكم عفت قدماً من جزيل مواهب وقد خطبتني من جميع الجوانب

سأرحل عنكم دون زاد لبلة وتلك لعمرى سبة في العواقب

كما نجد أن الظروف الخاصة التي كان يمر بها بعض الشعراء كانت تدفعهم إلى استخدام الرسائل الشعرية، فهذا ابن زيدون حين هرب من السجن وأضحى يتجول في متنزهات الزهراء، قد أعجب بمنظر الربيع فتذكر محبوبته ولادة، واشتاق إليها فكتب إليها بقصيدته المشهورة التي مطلعها (4):

إني ذكرتك بالزهراء مشتاقاً والأفق طلق ومرأى الأرض قد راقا

فالرسالة هي الوسيلة الوحيدة أمام ابن زيدون للتعبير عن حبه وشوقه إلى محبوبته، ولعل تعلقه بعمله الديواني من أحد الأسباب التي دعت إلى نظم الرسالة الشعرية، هذا بالإضافة إلى انتمائه لعالم الملوك والأمراء وما للكتابة من أهمية في حياتهم اليومية (5).

(1) الكيلاني، حلمي إبراهيم الكيلاني، ابن شرف القيرواني (حياته وأدبه)، مؤسسة البلم للناشر والتوزيع، عمان - الأردن، 1998 م.

(2) هو الوزير أبو محمد عبد الرحمن بن مالك القرطبي، كان شاعراً وأديباً، عمل أمير المسلمين يوسف بن تاشفين، ولابنه علي من بعده. انظر ترجمته في (ابن بسام، ق1، م2، ص 739؛ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص117؛ ابن خاقان، القلائد، ص500).

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص739-741.

(4) ابن زيدون، الديوان، ص139.

(5) إحسان عباس وآخرون، دراسات في الأدب الأندلسي، ص162.

يا ملكاً عظمته العُربُ والعجمُ وواحداً وهو في أثوابه أممٌ
إنا وردناك والأقطارُ مظلمةٌ والبدرُ يُرجى إذا ما التختُ الظلمُ⁽¹⁾

وعلق أحد الباحثين على هذين البيتين بقوله " فالشاعر - كما نلاحظ - بنى رسالته بناءً فيه من الجلالة والتعظيم والتفخيم ما لا يخفى ، فقد اختار حرف النداء "يا" للدلالة على بعد مكانة الأمير ، وفي تكرير لفظ "ملك" دلالة على العظمة والشمولية في الملك وفي كل من لفظتي "وردنا ، والبدر" ما يوحي بأن الأمير مصدر السقي والري والحياة والنور ، فهو كهف الغرباء وملاذ الأدباء وسراج الأمراء"⁽²⁾، وقد كتب المعتمد إليهم مرحباً بقدمهم بقوله⁽³⁾ :

أهلاً بكم صحبتكم نحوي الديمُ إن كان لم يتبجح لي بكم حلمٌ
حثوا المطيَّ ولو ليلاً بمجهلةٍ فلن تضلوا، ومن بشري لكم علمٌ

ويرى بعض الباحثين أن هذه التحايا الشعرية كانت "مدخلاً موفقاً لمهمة السفير، فهي بحكم تأثيرها العاطفي، وإقناعها المنطقي أحياناً، أكثر جدوى من المداولات السياسية المحضة، ولئن كانت لا تغني عن تلك المداولات دائماً، فإنها خير ممهد لها"⁽⁴⁾.

أما عند الرجوع إلى الوطن فيجب كذلك الاستئذان للمغادرة، وقد كان يطلق عليه الاستسراح، ومن ذلك أن ابن عمار قد زار المعتصم في إحدى سفراته، ثم طال به المقام، فاشتاق بلده، فكتب إلى المعتصم مستسرحاً⁽⁵⁾:

(1) ابن خاقان ، القلائد،ص 62 .

(2) حسن حيدر ، المجالس الشعرية في الأندلس في عصر ملوك الطوائف ، رسالة ماجستير، جامعة مؤتة، ص 189.

(3) المعتمد بن عباد ، أبو القاسم محمد بن عباد المعتمد على الله (ت 488هـ/1095م)، ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية جمعه وحققه حامد عبد المجيد وأحمد بدوي ، راجعه طه حسين ، مطبعة دار الكتب المصرية القاهرة ، 1997، ص 60 .

(4) الهرامة، عبد الحميد عبدالله، القصيدة الأندلسية (خلال القرن الثامن الهجري الظواهر، والقضايا والأبنية)، ج2، دار الكاتب، طرابلس، ط2، 1999م، ج1، ص 178 .

(5) ابن خاقان، القلائد ، ص 155 ؛ ابن الأبار، الحلة ، ج2، ص 85 ؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص 204 .

يا واضحا فَضَحَ السحابِ يَجُودُ في معنى السَّماحِ
ومطابقاً يَأْتِي وجوه الجد من طرق المِزاحِ
أسرفت في برِّ الضيافِ فُجِدَ قليلاً بالسراحِ

فراجعه المعتصم:

يا فاضلاً في شكره أصل المساء مع الصباح
هلا رفقت بمهجتي عند التكلم في السراح ؟
إن السماح ببعدهم والله ليس من السَّماحِ

وأحياناً نجد المراسلات تتم عند تنقل السفراء في البلاد، كما كتب أبو عبيد الله
البكري إلى ابن السقاء⁽¹⁾ وزير ابن جهور وقد خرج رسولاً إلى باديس بن حبوس⁽²⁾
مادحاً له في بيتين من الشعر هما⁽³⁾ :

كذا في بروج السعدِ ينتقلُ البدرُ ويحسنُ حيثُ احتلَّ آثاره القطرُ
وتقتسمُ الأرضُ الخطوطَ فبقعةً لها وافرٌ منها وأخرى لها نزرُ

هذه مجاملة لطيفة من الشاعر، تبين مكانة السفير ومنزلته بين القوم.

7.1 ألوان الرسائل الشعرية:

لقد تفنن الشعراء الأندلسيون في إخراج الرسائل الشعرية فظهرت في لونين هما:

1.7.1 المخاطبات والمراجعات :

ويقصد بها المراسلات الشعرية التي تتم بين الشعراء وذلك بأن ينظم أحد الشعراء
قصيدة ويبعث بها إلى شاعر آخر، فيرد هذا الأخير عليه بقصيدة أخرى مراعيًا فيها

(1) هو أبو الحسن إبراهيم بن محمد بن حبي المعروف بابن السقاء، كان وزير الدولة الجمهورية،
وقد قتل على يدي عبد الملك بن جهور ت (455هـ/1063م). (ابن بسام، الذخيرة، ق4،
م1 ص238 وما بعدها).

(2) هو باديس بن حبوس بن ماكس بن زيري الصنهاجي، الملقب بالمظفر صاحب غرناطة، من
ملوك الطوائف بالأندلس، وكان من أهل الحزم ت(465هـ/1072م) (ابن عذارى
المراكشي، المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س.
كولان و إ. ليفي بروفنسال، دار الثقافة - بيروت، ط3، 1983م، ص262) .

(3) ابن الأبار، الحلة ج2 ص186 ؛ ابن بسام، الذخيرة، ق، م1، ص237 .

وزن رسالة المخاطب وقافيتها، مع حرصه على إظهار التفوق على مخاطبه من الناحية الفنية، ويطلق على هذا النوع من المراسلات الشعرية المساجلات الشعرية⁽¹⁾.

ومن المخاطبات الشعرية ما كتب به ذو الوزارتين أبو عامر بن مسلمة⁽²⁾ إلى صديقه ابن زيدون معاتباً إياه متودداً إليه:⁽³⁾

تَبَاعَدْنَا عَلَى قُرْبِ الْجَوَارِ	كَأَنَّا صَدَنَّا شَحَطَ الْمَزَارِ
تَطَّلَعُ لِي هَلَالُ الْهَجْرِ بَدْرًا	وَصَارَ هَلَالٌ وَصَلَّكَ فِي سَرَارِ
وَشَاعَ شَنِيعُ وَصَلَّكَ لِي وَهَجْرِي	فَهَلَّا كَانَ ذَلِكَ فِي اسْتِتَارِ
أَيَجْمَلُ أَنْ تُرَى عَنِّي صَبُورًا	وَأَصْبِحُ مُوَلَعًا دُونَ اصْطِبَارِ

فأجابه ابن زيدون:

هَوَايَ - وَإِنْ تَنَاءتْ عَنْكَ دَارِي -	كَمَثَلِ هَوَايَ فِي حَالِ الْجَوَارِ
مَقِيمٌ لَا تَغْيِرُهُ عَوَادِ	تُبَاعَدُ بَيْنَ أَحْيَانِ الْمَزَارِ
رَأَيْتُكَ قَلْتِ "إِنَّ الْهَجْرَ بَدْرٌ"	مَتَى خَلْتِ الْبُدُورَ مِنَ السَّرَارِ؟
وَرَابِكُ أَتَنِي جَلْدٌ صَبُورٌ	وَكَمْ صَبْرٍ يَكُونُ عَنِ اصْطِبَارِ

نجد أن ابن زيدون قد التزم في رده وزن رسالة ابن مسلمة وقافيتها، فجاءت المقطوعتان على بحر الوافر، كما أشار ابن زيدون إلى المعنى الوارد في المقطوعة الأولى ووجه إليه عتاباً شديداً، فقد قال أبو عامر في المقطوعة الأولى إن ابن زيدون يهجره هجراً كاملاً أما وصاله فهو ناقص، ويعترض ابن زيدون على هذا المعنى بقوله إن البدور لا بد أن تتعرض للنقصان في أواخر الشهر، وأنت تقول إن هلال الهجر صار بدمراً مكتملاً.

(1) مطلوب، أحمد مطلوب، معجم مصطلحات النقد العربي القديم، م2، ص368.

(2) هو محمد بن عبد الله بن محمد بن مسلمة، أبو عامر وزير وأديب سكن أشبيلية وألف

كتاب "حديقة الارتياح في وصف حقيقة الراح" (ابن خاقان، القلائد ص 203؛ الحميدي،

جذوة المقتبس، ص65؛ الضبي، بغية الملتبس، ص90؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص105.

(3) ابن زيدون، الديوان، ص204.

وهناك بعض المخاطبات الشعرية التي تقود إلى تبادل عدد أو سلسلة من الرسائل الشعرية، وذلك بأن يرسل الشاعر رسالة ثم يأتي الرد عليها، ثم يبعث برسالة أخرى منتظراً الرد عليها، ومن ذلك ما حدث بين المعتمد بن عباد والشاعر ابن اللبانة، فقد بعث المعتمد إلى ابن اللبانة بعشرين مثقالاً وقطعة من قماش وكتب معها: (1)

إليك النزر من كف الأسير فإن تقبل تكن عين الشكور
تقبل ما يذوب له حياءً وإن عذرت حالات الفقير

فرد ابن اللبانة صلته وكتب معها أبيات منها:

أنا أدري بفضلك منك إني لبست الظل منه في الحرور
غني النفس أنت وأن ألفت على كفيك حالات الفقير

فراجع المعتمد أيضاً برسالة شعرية منها:

رد بري بغياً علي، وبراً وجفا فاستحق لوماً وشكراً
عاف نزري إذ خاف تأكيد ضري فاستحق الجفاء إذ عاف نذراً

فراجع ابن اللبانة برسالة شعرية منها:

أيها الماجد السميدع قدراً صرفي البر إنما كان برا
حاش لله أن أجيح كريماً يتشكى فقراً وكم سدّ فقراً

2.7.1 المطيرات المعميات :

وتتمثل بأن ينظم الشاعر قصيدة ويشير فيها إلى بيت أو بيتين من الشعر رامزاً إلى كل حرف من حروفه باسم طائر، ويبعث بها إلى طرف آخر لفك رموزها والرد على ذلك في رسالة شعرية، وقد تتغير الرموز بتغير القصائد، ويعد هذا النوع من الشعر رياضة ذهنية، يظهر فيه الشعراء براعتهم في نظم الشعر وقدرتهم على حل الأحاجي والألغاز، هذا بالإضافة إلى أن فيها نوعاً من التسلية، وقد اقتصر خوض غمار هذا الفن في القرن الخامس الهجري على شاعرين هما المعتمد بن

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 102-104.

عباد ووزيره ابن زيدون، باستثناء قصيدة واحدة لأبي طالب بن مكي⁽¹⁾ بعث بها إلى ابن زيدون، ولم يرد هذا اللون من الرسائل الشعرية عند غيرهم من الشعراء وقد مات بموتهما⁽²⁾.

ومن تلك المطيرات رسالة بعث بها ابن زيدون إلى المعتمد بن عباد، وقد مدحه ببيت شعر معمى في هذه الرسالة، نقّبتس من الرسالة الشعرية بعض الأبيات التي ورد فيها اللغز:

وإفك نَظْمٍ لِي فِي طَيْهِ مَعْنَى مَعْمَى اللَّفْظِ مَسْتَوْرٌ
مَرَامُهُ يَصْنَعُ مَا لَمْ يَبِيحْ بِالسَّرِّ قُمْرِيٌّ وَعَصْفُورٌ
وَبَلْبُلٌ ثُمَّ يَكْرُ اللِّذَا تَقَدَّمَ، فَالْفَظُّ مَكْرُورٌ

ومنها:

وَتَمَّ فاعَلَمَ أَنَّ مَوْضُوعَهَا حَرْفٌ لِفَصْلِ اللَّفْظِ مَقْدُورٌ
وَفِي الَّذِي عَمِيَتْ نُصْحٌ لِمَنْ حُدَّ مِنَ الْأَعْدَاءِ مَشْكُورٌ

وقد فك المعتمد اللغز بالبيت التالي:

أنتَ إِنْ تَغْزُ ظَافِرُ فَلْيُطِغْ مَنْ يُنَافِرُ⁽³⁾

كما كتب الوزير أبو طالب بن مكي قصيدة معماة بأسماء الطيور، فأجابه ابن زيدون مضمناً حل اللغز في نهاية الرسالة الشعرية:⁽⁴⁾

أَيُّهَا الْمُرْسِلُ أَطْيَارَ الْمَعْمَى لِامْتِحَانِي
هَآكِ كِي تَزْدَادُ فِي الْآدَابِ عِلْمًا بِمَكَانِي

(1) هو محمد بن مكي بن أبي طالب بن مختار القيسي، يكنى أبا طالب، ولي أحكام الشرطة و الأحباس وأمانة الجامع، وكان محموداً فيما تولاه من أحكامه، وله حظ وافر من الأدب، (ت 474 هـ/1081م). (ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت 578 هـ/1182م)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري (القاهرة)، دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ج 3، ص 808.

(2) أنظر: ابن زيدون، الديوان، ص 616-618.

(3) ابن زيدون، الديوان، 616 - 618.

(4) ابن زيدون، الديوان، ص 595.

قَدْ أَتَتْنَا الطَّيْرُ تَشْدُو بَعْضُ أُنْبِيَاتِ الْأَغَانِي
"يَا بَعِيدَ الدَّارِ مَوْصُولًا بِقَلْبِي وَلِسَانِي
رُبَّمَا بَاعَدَكَ الدَّهْرُ، فَأَذْنَتَكَ الْأَمَانِي "

و يشير ابن زيدون في هذا الرد إلى تسمية هذا اللون من الرسائل الشعرية بالمعمى، كما يتضح أن الهدف منه التمرين العقلي بقوله " لامتحاني "، ففي هذه الرسائل اختباراً لقدرة الشاعر على فك الرموز والكشف عن موهبته العقلية، ومهارته الشعرية في النظم، فجاء رد ابن زيدون بأن هاك الجواب كي تعرف قدرتي ومكانتي في العلم.

فاللغز صعبٌ لا يستطيع أن يجيب عليه إلا صاحب القدرة والذكاء المتميز، ولاشك أن تلك الرموز كانت معروفة لدى هؤلاء الشعراء دون غيرهم.

الفصل الثاني

القضايا الخاصة في الرسائل الشعرية

تتمثل القضايا الخاصة في تلك الرسائل التي يستخدمها الشاعر في التعبير الفني عن ذاته وانفعالاته وعواطفه بشيء من الاستقلال الذاتي، كما تتمثل في تلك الرسائل التي يستخدمها الشاعر في ترجمة ذاته والكشف عن استجابة نفسه لكثير من المواقف المتعلقة بشخصيته وإخوانه وأصدقائه وغير ذلك؛ أي تلك الرسائل التي تدور حول موضوعات وقضايا يكون للذات الشاعرة دور كبير فيها، ومن أهم هذه الموضوعات:

1.2- الاستمناح والطلب:

الشعرية يعد الاستمناح والطلب من الأغراض المهمة التي تناولها الشعراء في رسائلهم الشعرية، ويمكن تقسيمه إلى عدة أنواع، منها:

أ- الاستجداء: يعد الاستجداء نوعاً من أنواع الطلب، ومنه الاستجداء الواضح الصريح و الاستجداء بالتلميح.

ومن الاستجداء الصريح رسالة بعث بها ابن دراج القسطلي⁽¹⁾ إلى أحد الحكام يطلب منه العون والمساعدة، حيث يقول: ⁽²⁾

ماذا تقول لأفراخٍ بذِي مرخٍ حُمِر الحواصل لا ماءً ولا شجرًا
ما أوضح العذرَ لي لو أنهم عذروا وأجملَ الصبرَ بي لو أنهم صبروا
لكنهم صغروا عن أزمةٍ كبرت فما اعتذاري عمَّنْ عذره الصغرُ

فجعل الشاعر من أطفاله وسيله للاستجداء، فاستعان ببيت الحطيئة لايصال الصورة إلى الممدوح.

(1) هو أحمد بن محمد بن دراج أبو عمر الكاتب المعروف بالقسطلي، شاعر مشهور وعالمًا بأمور النقد توفي حوالي (421هـ/1030م). (الضبي، البغية، ص158؛ الحميدي؛ الجذوة، ص110؛ الديوان، ص8).

(2) ابن دراج القسطلي، أحمد بن محمد، (ت 421هـ/1030م)، ديوان ابن دراج القسطلي، حققه وقدم له وعلق عليه محمود علي مكي، منشورات المكتب الإسلامي، دمشق، ط1، 1961م، ص547.

ومن هذا النوع من الاستجداء رسالة شعرية كتب بها أبو بكر بن الدوس⁽¹⁾ بعد
ترفع عن الاستجداء بالشعر _ إلى المعتصم بن صمادح، حيث يقول: ⁽²⁾

إليك أبا يحيى مَدَدَتْ يَدَ المَنَى وقدماً غَدَّتْ عن جُودِ غيرِكَ تُقْبِضُ
فكانت كنور العينِ نام مع الدُّجى فلَمَّا دَعَاهُ الصَّبْحُ لَبَّاهُ يَنْهَضُ

ونجد الاستجداء بالتلميح، في قول ابن عبدون مخاطباً الوزير أبا الحكم عمرو بن
مذحج بن حزم بأبيات، منها قوله ⁽³⁾:

أبا حكمِ أبلغِ سلامَ فمِي يَدِي أباي حَسَنٍ وارْفُقْ فكلتاها بحرُ
ولا تنسَ يُمنَاكَ التي هي والندى رضيعا لبانٍ لا اللجينُ ولا التبرُ

ب- أما النوع الثاني وهو التقدم بطلب شيء مادي ملموس ولا يدخل
هذا في باب الاستمناح والاستجداء دائماً، وهو طلب صريح مثل قول أبي
عامر بن الفرَج⁽⁴⁾ وقد كتب به إلى الفضل بن حسداي⁽⁵⁾ يطلب منه
دواء⁽⁶⁾

إن كان عندك شيء من الدِّيَاخِيلُون

(1) هو محمد بن أغلب بن أبي الدوس البياسي ، من حسانات بياسة في علوم العربية وقد ولع

بالتنقل والتغرب ، وقد أقام في خدمة المعتصم بن صمادح بالمرية (ت 511

هـ/1117م). (ابن سعيد، المغرب، ج2، ص72؛ ابن خاقان، المطمح، ص 300)

(2) ابن خاقان، القلائد ص622؛ ابن خاقان، المطمح، ص301.

(3) ابن عبدون، الديوان، ص 136.

(4) هو ذو الوزارتين أبو عامر بن الفرَج، كان من بيت رياسة، وهو وزير المأمون بن ذي النون

ملك طليطلة ثم وزير ابنه القادر. (ابن سعيد، المغرب، ج2، ص 303-304؛ ابن بسام،

الذخيرة، ق3، م1، ص103-104؛ ابن خاقان، المطمح، ص186-187؛ ابن الأبار، الحلة،

ج2، ص171).

(5) كان أبوه يوسف من بيت أشرف اليهود أما ابنه أبو الفضل فقد أسلم وأحسن إسلامه بعد أن

أحب جارية مسلمة ، وبرع في البلاغة والشعر والأدب وأحكم علم اللسان. (ابن سعيد ،

المغرب، ج2، ص441؛ ابن دحية ، المطرب، ص196؛ ابن بسام ، الذخيرة، ق3، م1، ص

(457

(6) ابن بسام ، الذخيرة ق 3م 1 ص 486.

فابعث به تتعوض منه بشكر ثمين

ومن رسائل الطلب أيضاً أن أبا بكر ابن القبطرونة⁽¹⁾ كتب إلى المنصور بن الأفتس⁽²⁾ يستجدي بازياً، حيث يقول: ⁽³⁾

يا أيها الملك الذي أبأوه شم الأنوف من الطراز الأول
حليت بالنعم الجسام جسيمة عنقي فحل يدي كذاك بأجدل
وامنن به ضافي الجناح كأنما حذيت قوائمه بريح شمال

ونجد أحياناً الطلب لشيء غير مادي كما اعتدناه، فهذه بثينة بنت المعتمد بن عباد⁽⁴⁾ في أثناء وقوعها في الأسر بعد سقوط أشيلية بيد المرابطين ، تكتب إلى أبيها رسالة شعرية تطلب منه الموافقة على زواجها من ابن التاجر الذي اشتراها ، تقول فيها ⁽⁵⁾:

اسمع كلامي واستمع لمقالتي فهي السلوك بدت من الأجياد
لاتنكروا أني سببت وأنني بنت لملك من بني عبأد

ومنها تتحدث عما حدث لها بعد الأسر، في محاولة منها سرد حكايتها على شكل أقصوصة:

قام النفاق على أبي في ملكه فدنا الفراق ولم يكن بمراد
فخرجت هاربة فحازني امرؤ لم يأت في إعجاله بسداد
إذ باعني بيع العبيد فضمني من صانني إلا من الأتقاد

(1) كتب للمتوكل بن الأفتس ولابن تاشفين وتوفي بعد سنة (520 هـ/1126م). (الوائلي،

موسوعة شعراء الأندلس ص 44)

(2) هو المنصور عبدالله بن الأفتس بن سلمة، وهو أول ملوك بني الأفتس، وصارت بعده إلى

ابنه المظفر بن الأفتس. (ابن سعيد، المغرب، ج1، ص 364).

(3) المقري، النفع، م4، ص313.

(4) هي بثينة بنت المعتمد بن عباد، وبنت اعتماد الرميكية ، كانت من جملة من سبي وقت

زوال ملك أبيها ، عند دخول المرابطين ، وكانت بثينة على نحو من الجمال والنادرة ونظم

الشعر. (المقري ، نفع الطيب، م4، ص284).

(5) المقري ، نفع الطيب ، م4، ص284.

وأرادني لنكاح نجلٍ طاهرٍ حسن الخلاق من بني الأنجاد
ومضى إليك يسوم رأيك في الرضا ولأنت تنظر في طريق رشادي
فعساك يا أبتى تعرفني به إن كان ممن يرتجى لوداد
وعسى رميكية الملوك بفضلها تدعونا باليمن والإسعاد
فأجاب المعتمد على رسالتها قائلاً:

بنيتي كوني به برّةً فقد قضى الدهر بإسعافه

لقد كانت رسالة بثينة بنت المعتمد تحكي ترجمة ذاتية قصيرة " وقد بلغت هذه الشاعرة من البراعة في الشعاعرية والصفاء في الأسلوب المهدب الرقيق مبلغاً استطاعت فيه أن تتقل قصة واقعية من أكثر القصص في التاريخ أسي" (1) ويمكن أن نلمس في هذه الرسالة الشعرية حرية التراسل "المراسلة" سواء كان ذلك للفتيات الجوارى أو السجناء، كما نلمس مدى عفة هذه الفتاة ومدى حرصها على نسبها، فلم تقبل الزواج إلا بعد موافقة أبيها وبعد عقد النكاح، على الرغم من الظروف الصعبة التي كانت تمر بها.

ج - طلب المودة والصدقة (اختطاب الود):

يعد لوناً من ألوان الطلب، لكنه طلب لتقريب القلوب، وتمتين روابط المودة بين الأصدقاء والإخوان. ومن هذا اللون من الطلب نجد رسالة شعرية كتب بها أبو العلاء بن زهر إلى ابن عبدون يخطب فيها وده، حيث يقول (2):

نصيبي من الدنيا مودةً ماجدٍ أهيمُ به سرّاً وأخدمهُ جهراً
له الخيرُ إنْ يَأذنْ أقلَّ غيرِ عاذلٍ وإنْ يَأبْ أسكتْ عنه لا طالباً عذراً
خطبتُ إليه من هواه عقيلةً وأعطيتُ من شكري وأغلُّ به مهراً
فإن زفّها دوني إلى كلِّ خاطبٍ فلم يرَ مثلي لا وفاءً ولا برا

(1) علي، سلمى سلمان علي، المرأة في الشعر الأندلسي "عصر الطوائف" رسالة جامعية، بغداد، 1986، ص 227.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 228 - 229.

وتكشف لنا هذه الرسالة عن سلوك رفيع كان الأندلسيون يتبعونه، وهو طلب الصداقة بالاستئذان.

ومن ذلك رسالة أخرى كتب بها ابن بسام إلى الوزير أبي بكر بن عبد العزيز خاطباً وده، يقول منها (1):

فجنتك خاطبٍ ودٍ فلا تردُّ أبا بكرٍ من قد خطب

وإن لم يكن أفقنا واحداً فينظمنا شملُ هذا الأدب

وكتب ابن عبد العزيز إلى بعض من طلب وده بقوله (2):

أخاطب ودٍ من أخٍ لكٍ عنده إنابةً مخلوع العنان إذا لبى

تغياً إذا ما شئت ظلَّ ظلوعه ظليلاً وردُّ من وده شيباً (3) عذبا

هـ - طلب الجواب على الرسائل الشعرية :

أشرنا في ما تقدم إلى أن كثيراً من الشعراء الذين كانوا يوجهون رسائلهم الشعرية إلى الآخرين، كانوا يتطلعون إلى الإجابة على رسائلهم شعراً أيضاً، ويبدو أن ذلك يعود إلى رغبتهم في امتحان مقدرة المخاطبين على إجابتهم، ومن ذلك الرسالة الشعرية التي بعث بها المعتمد بن عباد إلى الحصري (4)، وكان قد بعث له بثلاثين مثقالاً، وأدرج قطعة من شعر طيها، معترفاً من نزرها، راغباً في قبولها، فلم يجاوبه الحصري، فكتب إليه المعتمد معاتباً إياه على عدم إجابته على رسالته، ومعبراً عن رغبته في الجواب، حيث يقول: (5)

(1) ابن بسام ، الذخيرة، ق 2، م 2، ص 539.

(2) ابن بسام ، المصدر نفسه، ق 2، م 2، ص 554.

(3) الشبم : العذب البارد (اللسان : مادة " شبم ").

(4) من الشعراء الطارئین على الأندلس مدة ملوك الطوائف. (ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص

.66).

(5) المعتمد بن عباد ، الديوان ، ص 91.

قُلْ لِمَنْ قَدْ جَمَعَ الْعِلْمَ وَمَا أَحْصَى صَوَابَهُ
كَانَ فِي الصُّرَّةِ شَعْرًا فَتَنْظَرْنَا جَوَابَهُ
قَدْ أَثْبَنَّاكَ فَهَلَّا جَلَبَ الشَّعْرُ ثَوَابَهُ

وكتب ابن زيدون إلى ولادة يؤكد عليها بضرورة الرد على رسالته حيث يقول (1):

وفي الجواب مَنَاعٌ لَوْ شَفَعَتْ بِهِ بِيضَ الْأَيْدِيِ الَّتِي مَازَلْتُ تُوَلِّينَا
عَلَيْكَ مِنِّي سَلَامٌ اللَّهُ مَا بَقِيَتْ صَبَابَةٌ بِكَ تَخْفِيهَا فَتَخْفِينَا

وتكشف هاتان الرسالتان عن مدى اهتمام الشعراء بالمراجعة على رسائلهم الشعرية.

وقد نجد بعض الأدباء، يتوجه بالطلب إلى أحد مصنفي الكتب لإدراج أخباره ضمن الكتاب الذي يقوم بإعداده ، ومن ذلك أن أبا العباس أحمد بن قاسم (2) لما بلغه جمعُ ابن بسام لكتاب الذخيرة ، خاطبه بقوله (3) :

يَا مَنْ تَكَلَّفَ جَمَعَ الْمَجْدِ فِي وَرَقٍ أَنَا أَنَادِيكَ جَهْرًا غَيْرَ تَعْرِيزِ
ذَهَبَتْ عَصْرُكَ يَا مَنْ شَعْرُهُ ذَهَبٌ بِالْمَذْهَبَاتِ فَاتْبِعْنَا بِتَفْضِيضِ
فَشِبَهُ تَبَرَّكَ مَتَلَّوْا بِفَضَّتِنَا جُمَانَ خُودٍ عَلَى لِبَاتِهَا الْبِيضِ

2.2- الاستدعاء:

لقد كان للمجالس الأدبية التي تعقد في الرياض والمنتزهات، أوفى قصور الملوك والأمراء أكثر من هدف أهمها النقد الأدبي، ومطارحة الشعر وقرضه، أو السمر والمجون، والغزل بالغلطان، وما إلى ذلك من أمور تبعث السرور في النفس، وتزيل عنها الهموم.

(1) ابن زيدون ، ديوان ابن زيدون ورسائله، ص 148.

(2) هو أحمد بن قاسم بن عيسى أبو العباس المَقْرِي، وهو المعروف بأبي العباس الأقليشي نسبة إلى أقليش من أعمال طليطلة ، وهو كاتب وشاعر ، (ابن بسام ، الذخيرة، ق1، م2، ص905؛ الحميدي ، الجذوة، ص142؛ ابن سعيد ، المغرب، ج1، ص109).

(3) ابن بسام، الذخيرة ق 1، م 2، ص905.

وقد وصف لنا الشعراء تلك المجالس، وما يدور فيها من طرب ولهو، فهذا ابن خفاجة يكتب إلى أبي إسحاق بن ميمون، مستدعياً إياه لحضور مجلس أنس، وقد أعد لذلك المجلس فراخ حمام وعنباً، يقول في ذلك (1) :

وأرَهْفَتَهُ من حواشي الكلام	بما حَزَّتَهُ من شريف النظام
يَهْزُ بِهِ الشيخ عطفِي غلام	تعال إلى الأتس في مجلس
تَجَرَّرُ فيه زيول الغمام	رطيب النَّسيم كأن الصَّبَا
يهشُ فيلقاهم بالسَّلام	يكادُ سروراً بأضيافه

هذه صفات المجلس الجديد الذي أعده ابن خفاجة لصديقه، فهو يمتاز بلطافة الجو، ورقة النسيم ورطوبته، حتى كأنما يهش مُبتسماً لاستقبال أضيافه، أما من يشملهم ذلك المجلس فهم ثلثة من الشعراء والأدباء.

و ينتقل الشاعر بعد هذا الوصف إلى ذكر ما أعد لهذا المجلس من طعام وشراب:

وعندي لمثلك من خاطب	بنات الحمام وأُمُّ المدام
وصفراء طَلَّقتُ بنتاً لها	وما للكرام ومأتى الحرام

ونجد أبا بكر بن القبطورنة يستدعي إلى مجلس، ويصف لصديقه ما أعد لهذا المجلس من طعام وشراب، ثم يعتذر عن عدم الزيادة في الاحتفال لهذا اليوم خوفاً من اللوم، حيث يقول (2):

دَعَاكَ خَلِيكَ واليومُ ظلُّ	وعارضُ خدِّ الثَّرى قد بَقَل
لِقَدْرَيْنِ فاحا وشَمَامَةً	وإبريقِ راح، ونعمَ المحلِّ
ولو شاء زادَ ولكِنَّهُ	يَلامُ الصديقُ إذا ما احتفل

ولعل من بين أسباب انتشار مجالس اللهو والمجون؛ شيوع القلق النفسي بين الناس، ذلك القلق الملازم دائماً للاضطرابات النفسية السياسية، فليس للناس قرار،

(1) ابن خفاجة، الديوان، ص 245.

(2) ابن خاقان، القلائد 437؛ ابن سعيد، المغرب ج 1، ص 368؛ العماد الأصفهاني، الخريدة،

ق 4، ص 417.

خاصة هؤلاء المسؤولين عن الإمارات سياسياً واجتماعياً فدعوا من أجل ذلك إلى مجالس الشراب، يقيمونها، ويدعون الناس إليها. (1)

وقد تعددت دوافع الرسائل الشعرية في الاستدعاء فنجد الدعوة إلى حضور مجالس الأُنس واللّهو والطرب وشرب الخمرة، ومن ذلك قول أبي الوليد محمد بن عبد العزيز المعلم (2) مخاطباً أبا عامر بن مسلمة: (3)

يا ابن الكرام السادة الخُصِ قولاً بلا إفك ولا خُرسِ
ماذا ترى في القصفِ متكنّاً مع رنةِ الطنبُورِ والرقصِ
أهل العراق على مذاهبها لا تلقَ فيهم غيرَ مرتخصِ

كما يمكن أن يرافق انعقاد مجالس اللّهو والمجون، عقد ندوات أدبية في الرياض والمنتزهات، لمدارسة الشعر والأدب، ومناقشة بعض القضايا النقدية، ويتم الاستماع إلى بعض الأخبار والقصص، وتدار خلال ذلك أكؤس الراح، ويُستمع لأغاني الطرب، فمجلس اللّهو حافل بصنوف اللّهو والترف والطرب، يقول ابن المعلم:

فَلَعَلَّنِي أَشْفِي بِرِيقَتِهَا من عارضٍ في الصدرِ كالغصصِ
وألذُّ عند سماعِ مُبْهَجِهَا من طيبِ الأخبارِ و القصصِ

فأجابه أبو عامر بن مسلمة بأبيات منها:

يا جهبذاً قال بالرَّخْصِ القصفُ عندي غايةُ الفُرْصِ
مع ماجدٍ حلّو شمائلُهُ ذي حُنْكَةٍ للهو والقنصِ
في مجلسٍ قد طاب مجلسُهُ خالٍ من التكديرِ والنَّغصِ

(1) أنظر: شلبي، سعد إسماعيل، البيئة الأندلسية وأثرها في الشعر (عصر ملوك الطوائف)، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، ص 429.

(2) هو محمد بن عبد العزيز بن المعلم، أديب شاعر، يروي عنه ابنه عبد العزيز، وهو من شعراء المائة الخامسة. (الحميدي، الجذوة، ص 70؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص 112).

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص 124.

وتكشف لنا الأبيات السابقة عن أن الهروب من مشاكل الحياة اليومية، ومحاولة نسيان الهموم، والترويح عن النفس، كانت تدفع الشعراء للذهاب إلى مجالس اللهو والشراب.

ونجد الدعوة أحياناً لحضور مجلس في منزل أحد الشعراء يحضره كبار القوم، ومن الأمثلة على ذلك رسالة شعرية كتب بها أبو الحكم بن مذحج إلى أبي محمد بن عبدون، حيث يقول (1)

زرنى فديتك يا زعيم الناس نترى بدوراً من كبار أناس
أنت الهزبرُ وهم جآذر جاسم قد خيموا من منزلي بكناس
يا راضعاً درّ المكارم قف بنا ما في وقوفك ساعةً من باس"

وفي أغلب حالات الدعوة نجد المستدعي يركز على وسم المدعو بقول الشعر ونظمه.

وقد نجد الدعوة لحضور مجلس أحد الملوك، فهذا المعتمد يدعو مجموعة من الشعراء إلى مجلسه، برقعة مكتوب فيها: (2)

حَسَدَ القَصْرُ فيكم الزهراء ولعَمري وعَمركم ما أساء
قَدْ طَلَعْتُمْ بها شُموساً صَبَاحاً فَاطْلُغُوا عِنْدَنَا بُدُوراً مَسَاءً
وهذا المتوكل يدعو ابن عبدون على إثر خمرة كان بعثها إليه، حيث يقول (3):
قَدْ وصلتُ تلكَ التي زففتها بكرأ وقد شابت لها ذوائبُ
فهُبِّ حتى نستردَّ ذاهباً من أنسنا إن أُستردَّ ذاهبُ

ينجلي التأكيد على الحضور في رسالة المتوكل هذه في أبهى صورته، حيث استخدم الشاعر لفظة " فهُبِّ " وما تحمل من كل معاني السرعة؛ للتأكيد على استرداد ما ضاع عليهم من وقت دون لهُو ومجون، و يؤكد ذلك شدة تعلق الملوك وشعرائهم باللُهو والمجون ربما يكون ذلك صورة واضحة لما وصل إليه العرب في الأندلس من الترف والبذخ والحضارة والتطور.

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص592.

(2) المقري، النفع، م1، ص624 - 625.

(3) ابن الأبار، الحلة، ج2، ص107.

ونجد ظاهرة الاستدعاء منتشرة انتشاراً كبيراً بين الشعراء، فهذا ابن زيدون يكتب إلى أبي عامر مستدعياً⁽¹⁾ :

أبا المعالي نحن في روضة فانقل إلينا القدم العالية
أنت الذي لو تُشترى ساعة منه بدهر لم تكن عالية

نستدل من هذه الرسالة على أن ابن زيدون كان مع جماعة من الأصدقاء، لقوله "نحن"، كما أن مجلسهم كان في روضة لإشارته إلى ذلك، وقد استخدم الشاعر عبارات التبجيل والتفخيم، فصديقه لا يعلو عليه أحدٌ، والأوقات معه لا تقدر بثمن.

3.2 العتاب واللوم:

كان لا بدَّ للعلاقات الاجتماعية القوية، والروابط الأخوية الودية، أن يتخللها تموجات عاطفية سواء كانت عتاباً أو لوماً أو اعتذاراً، وقد تفاوتت درجات العتاب من العتاب الرقيق إلى اللوم الشديد والعتاب الحاد، "والعتاب وإن كان حياة المودة، وشاهد الوفاء، فإنه بابٌ من أبواب الخديعة، يُشرعُ إلى الهجاء، وسببٌ من أسباب القطيعة والجفاء، وإذا قلَّ كان داعية الألفة، وإذا كثرَ خَسُنَ جانبه، وثقلَ صاحبه"⁽²⁾، وقد عُرِفَ أن من استبقاه المودة عتاب الإخوان، فكما قال الشاعر :⁽³⁾

إذا ذهب العتابُ فليس ودٌّ ويبقى الودُّ ما بقي العتابُ

(1) ابن زيدون، الديوان، ص229.

(2) ابن الأثير، نصر الله بن محمد، ضياء الدين، (ت637 هـ/1239م)، كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تحقيق: نوري القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي، جامعة الموصل، (د،ط)، (د،ت)، ص71.

(3) ابن عبد ربه، أبي عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر - القاهرة، ط2، 1956 م، ج2 ص310.

و قال الجزار السرقسطي (1) في عتاب بعض الإخوان : (2)

وإني لأستبقي صديقي وإن جفا وأرضى بما يأتي به وهو غاضب
ولست على ما قد جناه معاقباً وإن غاضني شرُّ الرجال المعاقبُ
بلى، ربما أوليته عتب مشفقٍ وليس بمستبقيك من لا يعاتبُ

ومن رسائل العتاب الشعرية رسالة كتب بها المعتصم بن صمادح إلى ابن عمار معاتباً له على جفائه، حيث يقول: (3)

وزهدني في الناس معرفتي بهم وطول اختباري صاحباً بعد صاحب
فلم تُرني الأيامُ خلاً تُسرني مباديه إلا ساعني في العواقبِ
ولا قلت أرجوه لدفعِ ملمةٍ من الدهرِ إلا كان إحدى المصائبِ

وقد كانت لهذه اللهجة العتابية الشديدة عظيم الأثر في نفس ابن عمار حتى وصفها بقوله:

ثلاثة أبيات وهيئات إنما بعثت إلى حربي ثلاث كتائب
وكيف يلذ العيش من عتب سيدٍ وما لذتي يوماً على عتبِ صاحبِ

ويرسل ابن النبي (4) رسالة عتاب إلى أصدقائه بعد أن ردت له الریح إلى ميورقة، ويبدو أن أصحابه قد ابتعدوا عنه يقول:

(1) أبو بكر بن يحيى بن محمد الجزار السرقسطي، لُقّب بالجزار نسبة إلى مهنة الجزارة، وهو من شعراء القرن الخامس الهجري، وقد تعلقت نفسه بقول الشعر فبرع فيه (أنظر: ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 444؛ المقرئ، النفح، م 4، ص 152؛ ابن بسام، الذخيرة، ق 3، م 2، ص 905).

(2) الجزار السرقسطي، أبو بكر يحيى بن محمد المعروف بالجزار السرقسطي، روضة المحاسن وعمدة المحاسن وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المصير، صنعه أبي عبد الله بن مطروح السرقسطي، تحقيق منجد مصطفى بهجت، 1988، ص 90.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 403-404.

(4) هو أبو جعفر أحمد بن عبد المولى النبي، نسبة إلى قرية بنة من قرى بلنسية، قال فيه ابن خاقان " هو شاعرٌ مطبوع النظم نبيله.... أليف غلمان وحليف كفر لا إيمان، ما نطق متشرعاً، ولا رق متورعاً، ولا اعتقد حشراً ولا صدق بعثاً ولا نشراً ". (ابن خاقان، القلائد، ص 868؛ ابن سعيد، المغرب، ج 2، ص 357).

أحببتنا الألى عتبوا علينا فأقصرنا وقد أزف الوداع
لقد كنتم لنا جدلاً وأنساً فهل في العيش بعدكم انتفاع
أقول وقد صدرنا بعد يومٍ أشوق بالسفينة أم نـزاع
إذا طارت بنا حامت عليكم كأن قلوبنا فيها شرعاً⁽¹⁾

هذه مشاعر إنسان مخلص أبقى على الصداقة، لكنه عتب على أصدقائه بسبب ابتعادهم عنه، إذ كان ابتعادهم لأسباب سياسية.

أما إذا مرض الشاعر، ولم يعده صديقه القريب إلى قلبه، فإن العتاب سيكون أكثر وقعاً في النفس، وأكثر إيلاماً، فهذا أبو بكر بن سعيد البطليوسي، وقد أصابه مرض ألزمه الفراش، لا يجد زيارة من أعز أصدقائه، فيكتب إليه معاتباً مذكراً إياه بالحديث الشريف في شرف زيارة المريض، حيث يقول⁽²⁾:

نكون بحمص ثلاثين يوماً وأصبح منك القصي الجنبيا
وهبك تناسيت حرّ الوفاء ولم تر لي في وداد نصيبا
فهلارعت جزيل الثواب وعدت العليل وزرت الغريبا
وتدرى الحديث وماذا عليه عائد ذي السقم حتى يؤوبا
ولكنها شيمة للزمان أن لا صديقا وأن لا طيبا

وكتب الراضي إلى أبيه يعاتبه عتاباً رقيقاً، وقد رفع أخوته وأقعدته، حيث يقول⁽³⁾:

أعيزك أن يكون بنا خمول ويطلع غيرنا ولنا أفول
حناتك إن يكن جرمي قبيحاً فإن الصفح عن جرمي جميل
لست بفرعك الزاكي وماذا يرجى الفرغ خاتته الأصول

ومن العتاب ما يرقى إلى اللوم الشديد، فهذا ابن زيدون يكتب معاتباً ابن جهور وقد أطال في مدحه ثم عتب عليه لسجنه إياه، يقول⁽⁴⁾:

قل للوزير وقد قطعت بمدحه عمري فكان السجن منه ثوابي

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 2، ص 612؛ ابن خاقان، المطمح، ص 373

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 2، ص 768.

(3) المقرئ، النفع، م 4، ص 251

(4) ابن دحية، المطرب، ص 168.

لم تعد في أمري الصواب موقفاً هذا جزاء الشاعر الكذاب

وقال ابن اللبانة معاتباً ناصر الدولة-مبشر بن سليمان العامري ملك ميورقة - حيث يقول (1) :

سلام على المجد يندى بليلاً
سلام وكنت أقول السوداع
أخاف عليه انصداع الصفاة
جرحتُ لديك وكنت البريء
أنت زلة منك محبوبة
تلقيت منها سواد الخطوب
ولو لم أكن ماضي الشفرتين

ويعتذر عن رحيله بقوله :

ولولا مقامي بين العداة
لما كنت أوتر عنك الرحيلة
سعوا لي عندك في عثرة
ولا علم لي فكنت المقيلا

ونرى مدى لهفته للرحيل :

أفر بنفسي وإن أصبحت
ميورقة مصرأ وجدواك نيلا

4.2- الاعتذار :

يرى ابن الأثير أن اشتقاقه من المحو، كأنك محوت آثار الموجدة من القلب، من قولهم : اعتذرت المنازل، إذا درست (2). و" بعد الاعتذار آية من آيات الوفاء والصدقة والمودة بين المتراسلين ". (3) ومن رسائل الاعتذار رسالة شعرية كتب بها الأعمى التطيلي إلى بعض إخوانه (4)

عداني أن أزورك صرّف دهر
أحّ فما أطيق له احتيالا
ومعذرة بسير نبات صدري
إليك بها اختصاراً واحتفالا

(1) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص 79-80.

(2) ابن الأثير، كفاية الطالب، ص 83.

(3) القيسي، أدب الرسائل، ص 102.

(4) الأعمى التطيلي، الديوان، ص 245.

وهمٌ من همومٍ لو توخى طريق الرِّيح كان لها عقالا
فقد اعتذر الشاعر عن عدم قدرته على زيارة أصحابه، إذ تكالبت عليه صروف
الدهر ونوائبه، ولم يُعد باستطاعته مجاملة أصدقائه ومؤانستهم.

ونجد ابن أبي الخصال⁽¹⁾ يعتذر لأحد أصدقائه عن استبطاء المكاتبة بقوله⁽²⁾:

ألم تعلموا والقلبُ رهنٌ لديكمُ يخبركم عني بمضمره بعدي
ولو قبلتني الحادثاتُ مكانكمُ لأنهبته فكري وأوطأتها خدي
ألم تعلموا أنني وأهلي وواحدي فداءً ولا أرضى بتفديةٍ وحدي

ومن رسائل الاعتذار الشعرية ما كتب به المعتمد بن عباد إلى يوسف بن
تاشفين عند جوازه إلى الأندلس في المرة الثانية بعد معركة الزلاقة، حيث يقول⁽³⁾

يا بعيداً وإن دنا كم تمنيت قربكا
أنت حسبي من المنى ليتني كنت حسبكا

لقد تأخر المعتمد عن أداء حق الضيافة لبطالة كان منغمساً فيها ، فكتب بالبيتين
السابقين معذراً عن تغيبه عن لقائه.

وكتب ابن عمار إلى أبي مروان بن رزين: ⁽⁴⁾

لقاوك النججُ لو أعقبته سفري ووجهك الصبحُ لو أقبلته نظري
وقصرك البيتُ لو أنني قصدتُ به حجِّي ويمناك منه موضعُ الحجرِ
لم تكن عنك عناني سلوةً خطرتُ على فوادي ولا سمعي ولا بصري
لكن عدتني عنكم خجلةً عرضتُ كفاني العذر فيها بيت معذري
" لو اختصرتم من الإحسان زرتكمُ والعذب يهجرُ للإفراط في الخصر "

⁽¹⁾ هو محمد بن مسعود أبو عبد الله بن أبي الخصال، متقدم في اللغة والآداب والكتابة والخطابة
والشعر، له مؤلفات منها " ظل الغمامة وطوق الحمامة " و"سراج الأدب " توفي مقتولاً عام
540 هـ/1145م، (ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص786؛ المطرب، ص 187؛ الضبي،
البيغية، ص 131؛ ابن خاقان، القلائد، ص 518)

⁽²⁾ ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص785، ابن خاقان، القلائد، ص 527.

⁽³⁾ ابن الأبار، الحلة، ج2، ص 80.

⁽⁴⁾ ابن بسام، الذخيرة ق2، م1، ص400-401.

وقد علق ابن بسام على تضمينه البيت الأخير وهو للمعري بقوله: وما قيل في العجز عن الشكر، بكثرة البر أحسن من بيت المعري هذا، وقد تضمنه بيت ابن عمّار أحسن تضمين⁽¹⁾. ومن الاعتذار عن نزر الصلة ما كتب به رفيع الدولة إلى ابن اللبانة⁽²⁾ :

المجد يخجل من لقياك في زمنٍ ثناءً عن واجب البرّ الذي علما

فدونك النرز من مصفٍ مودته حتى توفر أيام المنى السلما

ومهما يكن من أمرٍ ، فقد كتب الشعراء الأندلسيون رسائل الاعتذار بمناسبة كثيرة منها الاعتذار عن عدم اللقاء ، أو الاعتذار عن زيارة مريض أو الاعتذار عن نزر الصلة ، و ينم الاعتذار عن سلوك رفيع وخلق سام اتسم به أبناء الأندلس.

5.2- التهئة:

تعد التهئة من المناسبات العامة التي تكون سبباً لاتصال أبناء المجتمع مع بعضهم ببعض، وإقامة الروابط الودية، وكانت الرسائل الشعرية إحدى وسائل الاتصال وطرقه بين الأفراد، وخاصة عند بعد المسافة، وقد أكد النقاد على وجوب اعتماد المعاني السارة والأوصاف المستطابة فيها، وأن يستكثر فيها من التيمز للمهناً، ويتجنب ذكر ما في سمعه تنغص له، ويستحسن فيها أن تستفتح بقول يدل على غرض التهئة، فإن موقع ذلك حسن من النفوس⁽³⁾.

وقد اقام المجتمع الأندلسي كثيراً من الاحتفالات في مناسبات شتى، مثل الزواج وقدم المولود وختان الصبيان وما إلى ذلك من مناسبات، وكان للشعراء دورهم البارز فيها، يقدمون قصائدهم للتهئة والتبريك، فالمجتمع الأندلسي من المجتمعات المتكاتف ذات العلاقات الودية والصدقات الأخوية، ومما يؤكد ذلك الرسائل التي

(1) ابن بسام، المصدر نفسه ق 2 ، م 1، ص 401.

(2) ابن بسام، المصدر نفسه ق 1 ، م 2، ص 738.

(3) القرطاجني، أبو الحسن حازم القرطاجني (ت 684 هـ/ 1285م) منهاج البلغاء وسراج

الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي - بيروت، ط2،

1981م، ص 352-353.

وجهت في تلك المناسبات وهي من العادات الخسنة، التي حثنا عليها ديننا الحنيف، وحافظ عليها المجتمع بجميع طوائفه.

ونستطيع أن نقف على بعض العادات الشائعة في بلاد الأندلس في القرن الخامس الهجري من خلال قراءة بعض الرسائل الشعرية، ومنها على سبيل المثال الرسالة الشعرية التي بعث بها الجزائر السرقسطي إلى زهير العامري (1) عند احتفاله بزواجه، يقول الجزائر السرقسطي مهنتاً: (2)

اليوم حلي عاطل العلياء اليوم جرّ الدهرُ ذيلَ بهاء
اليوم توجت العُلا وتبرجت عند المنى في حلة السراء
أوفى الزمانُ بعهدَه لزفافه خيرُ النساءِ لسيد الخلفاء

ونستطيع القول إن زواج الملوك والأمراء كانت مناسبة يشارك فيها جميع فئات الشعب وطوائفه، لتقديم التهاني، وقد يصعب على بعضهم الحضور إلى مكان الاحتفال، فيقدم التهنة من خلال الرسائل النثرية أو الشعرية.

وقد أشاد الجزائر السرقسطي في رسالته السابقة بصفات الزوج والزوجة وتماتلها في السيادة والرفعة وتطابقهما، حيث يقول:

زُفت إلى بدر العلا شمس الضحى فتوسطا فلكي سناً وسناء
كفاً عُلا وسيادة قد أُلِّفاً ومن السعود تآلف الأكفاء
وتطابقاً روحاهما فتمازجا مثل امتزاج الماء بالصهباء

ثم يدعو لهما باليمن والسعادة:

باليمن والإقبال والسراء وسعادة موصولة بنماء

(1) هو أبو القاسم العامري، حكم المريّة بعد وفاة أخيه خيران العامري سنة (419 هـ/1028م)، وكانت علاقته طيبة مع جيرانه في مالقة وغرناطة، واشتبك مع قوات باديس وقتل عام (429 هـ/1037م) (ابن بسام، الذخيرة ق 1 م 1 ص 656؛ ابن الخطيب، لسان الدين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت 776 هـ/1374م) الإحاطة في أخبار غرناطة، 4م، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1974م، م 1، ص 517؛ ابن عذارى المراكشي، البيان المغرب، م 3، ص 169).

(2) الجزائر السرقسطي، روضة المحاسن، ص 81-87.

طلعت بأفلاك السعود نجومها فانجاب ليل الحزن والغماء
لله عرساً يا خليفة أنها لمسيرة بمآتم الأعداء

ويشير إلى إقامته للولائم والأفراح، ودعوته للمجتمع الأندلسي كله:

صنع خلعت به على كل الورى حلاً من السراء والنعماء
لبست به الأيام برد جمالها وتبرجت في حلة الخيلاء
لما رفعت موججاً نار القرى فيه لدان وافد ولاء
لباك منثالين في عدد الدبى زمر يضيق بهن كل فضاء

كما أشار إلى الفرح والسرور الغامرين اللذين أحسن بهما الشعب عامة، فقد أدى هذا الاحتفال البهيج إلى اجتماع الشعب لتناول الطعام، مع كثرة أعدادهم، وهذا تعبير عن اهتمام الأمير بهم :

حتى إذا حلوا الندي وأينعت لهم رياض البشر والإدناء
كرعوا لحوض المكرمات كأنما فازوا بعدن قبل وقت جزاء
إن يكثرُوا عدداً فقد أوسعتهم صدراً تضيق له فلا البيداء

ونلمس عند قراءة هذه الرسالة الشعرية أن الشاعر يصف هذا الاحتفال وصفاً دقيقاً يشي بأنه قد شارك في حضوره، إلا أنه من المحتمل أن يكون قد سمع الأحاديث عن ذلك اليوم فنسج قصيدته وبعث بها إلى الممدوح لينال عليها جائزته المنتظرة.

وقد عبر أبناء الأندلس عن صدق محبتهم لإخوانهم من خلال تقديم التهئة في تلك المناسبات، فهذا أبو عامر بن الفرغ يهنئ أحد إخوانه بقدم العيد، ويتمنى من الله أن يجمعه به، حيث يقول (1):

أهنئ بالعيد من وجهه هو العيد لو لاح لي طالعا
وأدعو إلى الله سبحانه بشمل يكون لنا جامعاً

(1) المقرئ، نفح الطيب، م3، ص409.

كما هنا الشعراء إخوانهم بالشفاء من المرض، فتبادلوا مشاعر المودة والإخلاص، ومنها رسالة شعرية بعث بها أبو الخطاب التجيبي (1) يهنئ المتوكل بن الأفتس بالشفاء من المرض وتتضمن الرسالة بيتين هما(2):

نهنيكم بل نحن فيكم نهناً فباسمك يرعانا الإله ويكلاً
وأنت الذي أحللتنا جنة المنى فنحن بما شئنا بها نتبوا

كما قدم الشعراء أيضاً التهاني بالخروج من الأسر، فهذا ابن الحناط يعبر عن فرحته الغامرة بخروج المظفر بن الأفتس من الأسر، حيث يقول : (3)

ولما أقال الله عثرتك التي قضى الله فيها بالنجاة وقدرها
تهللت الدنيا وأشرق نورها وأقبل سعدٌ كان بالأمس أدبراً

وقد استخدم الشاعر ألفاظاً تدل على معاني السرور والسعادة "تهللت، أشرق، أقبل، نورها، سعد "

ومن رسائل التهئة الشعرية الرسالة التي بعث بها جهور بن محمد بن جهور إلى المنصور ابن أبي عامر يهنئه بتوليته الإمارة، حيث يقول : (4)

متع الله سيدي بالسرور وتولاه من جميع الأمور
وهنيئاً له بعزة دهرٍ تتوالى بظل تلك القصور

كما كان النصر والظفر في المعركة دافعاً لنظم رسائل التهئة، فقد كتب ابن زيدون إلى المعتمد بن عباد بعد أن عاد منتصراً من بعض حروبه، حيث يقول : (5)

أيُّها الظَّافِرُ أبشِرْ بالظفر واجتَلِ التأييدَ في أبهى الصُّورِ

(1) أبو الخطاب هو : عمر بن أحمد بن عبد الله بن عطيون التجيبي الطليطلي كان جيد صناعة، أبي النفس، غير متكسب بالشعر، وكان في جلة الفضلاء الذين وفدوا على المتوكل بن الأفتس = صاحب بطليوس، وجال على ملوك الطوائف (أنظر : ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص 773؛ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص16).

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص777.

(3) ابن بسام، المصدر نفسه، ق1، م1، ص445.

(4) ابن الأبار، الحلة، ج2، ص33.

(5) ابن زيدون، الديوان، ص514 - 518.

وَتَفِيئاً ظِلُّ سَعْدٍ تَجْتَنِي فِيهِ مِنْ غَرَسِ الْمَنَى أَحْلَى الثَّمَرِ
 وَرِدِ الصَّبْحِ فَكَمْ مُسْتَوْحِشٍ غَرَضِ مِنْكَ إِلَى أُنْسِ الصَّدْرِ
 كَانَ مِنْ قُرْبِكَ فِي عَيْشٍ نَدٍ عَطْرِ الْأَصَالِ وَضَاحِ الْبُكْرِ

وقد استخدم الشاعر أداة النداء "أيها" وهي لنداء القريب، تعبيراً لقرب الممدوح إلى قلبه، وهي تشير إلى القرب المعنوي لا القرب المادي. كما عبر الشاعر عن السعادة بذلك النصر، فلا حاجة لهم إلى السكر أو الاستماع لأغاني الطرب، فحسبهم ذكر المعتمد، وسماع أخباره:

قُلْ لِسَاقِينَا يُحَرِّزُ أَكُوسَةً وَلشَادِينَا "يَصِلُ قَطْعَ الْوَتْرِ"
 حَسْبُنَا سَكْرٌ جَنَّتُهُ ذَكَرٌ دُونَهُ السُّكْرُ الَّذِي يَجْنِي السُّكْرُ

ويصور انتصار الممدوح في المعركة بقوله:

حِينَ صَمَّمْتَ إِلَى أَعْدَائِهِ فَانْتَحَتَهُمْ مِنْكَ صَمَاءُ الْغَبْرِ
 فَاضَ غَمْرٌ لِلنَّدَى مِنْ فَوْقِهِمْ كَانَ يُرْوِي شَرْبَهُمْ مِنْهُ الْغَمْرُ
 سَبَقَ النَّاسَ فَصَلَّى مِنْكَ مَنْ إِنْ رَأَى آثَارَهُ الزُّهْرَ اقْتَفَرُ

تكشف لنا الرسائل السابقة عن أن الشعراء لم يتركوا مناسبة سعيدة، إلا شاركوا فيها بقصيدة شعرية، تؤكد عمق مشاعرهم نحو الطرف الآخر ويلاحظ الدارس أيضاً أن أغلب هذه الرسائل كانت موجهة إلى الأمراء والملوك، مما يجعلنا نؤكد أن وراء تلك التهاني مآرب لا تخفى.

6.2 الرثاء والتعازي

عبر الأندلسيون عن مؤاساتهم لإخوانهم، بتقديم التعازي في رسائل شعرية وهي تتم عن إحساس صادق بالمصائب، وتصور لواعج النفس المتصدعة بوقع الفجيعة تصويراً دقيقاً⁽¹⁾، وهذه العاطفة الصادقة، لا تكون إلا في الرسائل الشعرية الموجهة إلى الإخوان، ولا نجد ذلك في الرسائل الشعرية الموجهة إلى الملوك والأمراء، وقد اتخذت رسائل التعازي والرثاء طابعاً خاصاً؛ إذ طغت عليها نبرة الحزن، كما حفلت بتقديم العبرة والعزاء من خلال مصائب الغير.

(1) القيسي، أدب الرسائل في الأندلس، ص 294.

ومن الأمثلة على الرسائل الشعرية في التعزية، بيتان من الشعر كتب بهما أبو القاسم بن الجد⁽¹⁾ إلى الوزير الفقيه أبي القاسم الهوزني⁽²⁾ يعزيه عند وفاة أخيه، حيث يقول: ⁽³⁾

لا بدّ من فقدٍ ومن فاقدٍ هيهات ما في الناس من خالدٍ
كن المعزّي لا المعزى به إن كان لا بدّ من الواحد

يؤكد الشاعر أن الموت سنة الحياة، وأن الخلود مستحيل، وفي الرسالة محاولة لتخفيف ألم المصيبة ووقعها في النفس، وتقترب هذه الرسالة من رسالة شعرية أخرى، تحمل المضمون نفسه بعث بها ابن أبي الخصال معزياً أحد أصدقائه، حيث يقول: ⁽⁴⁾

إني أعزبك لا إني على ثقةٍ من البقاء ولكن سنة الدين
فما المعزى بباقي بعد صاحبه ولا المعزى وإن عاشا إلى حين

كما قدم التعزية أبو جعفر اللمائي⁽⁵⁾ إلى صديقه أبي جعفر بن عباس⁽⁶⁾ بوفاة أبيه، حيث يقول: ⁽⁷⁾

(1) هو محمد بن عبد الله بن يحيى بن فرج بن الجد الفهري، أخو الحافظ أبي بكر بن الجد، كان من أهل التقنن في المعارف والآداب والبلاغة، تسلم مقاليد الفتوى في لبله، توفي سنة 515 هـ/1121م. (ابن دحية، المطرب، ص190؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص285؛ المراكشي، المعجب، ص237؛ ابن سعيد، المغرب ج1 ص341) .

(2) هو أبو الحفص عمر بن الحسن الهوزني، يكنى أبو القاسم، وتشير المصادر إلى أنه سعى في فساد دولة بني عباد عند أمير المسلمين يوسف بن تاشفين أخذاً بثأر أبيه الذي قتله المعتمد بن عباد، توفي (512 هـ/1118م) (ابن سعيد، المغرب ج1، ص240) .

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص314.

(4) ابن بسام، المصدر نفسه، ق3، م2، ص798.

(5) هو أحمد بن أيوب، عمل كاتباً لدى علي بن حمود، تولى تدبير ملكه، (ت465 هـ/1072م) بمالقة. (ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص617؛ لسان الدين بن الخطيب، الإحاطة، م1، ص240-243؛ الضبي، البغية، ص520؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص446) .

(6) هو أبو جعفر أحمد بن عباس الكاتب، عُرف بالمال والبخل والعُجب والكتابة، وقد كان السبب في المعركة التي حدثت بين باديس وزهير العامري، وفيها أُسرٍ وقُتل (ابن بسام،

الذخيرة، ق1، م2، ص643)

(7) ابن بسام، الذخيرة ق1، م2، ص619.

ستسبح عيني عليه دماً إذا ما العيون سَفَحْنَ الدموعا

فقد كان غصني به ناعماً وروضي أنيقاً ودهري ربيعاً

ويرى ابن رشيقي أنه ليس بين الرثاء والمديح فرق، إلا أن يخلط بالرثاء شيء يدل على أن المقصود به ميت، مثل "كان، أو "عدمنا به كيت وكيت". (1)

ويمتزج الرثاء بالتهنئة أحياناً، ونجد ذلك في تهنئة الحاكم الجديد وتقديم التعزية والرثاء للحاكم الراحل، ومن الرسائل الشعرية في هذا المجال، الرقعة الشعرية التي بعث بها ابن زيدون إلى أبي الوليد بن حزم يعزیه بوفاة والده، ويهنئه بولاية الحكم، في أبيات منها: (2)

إساءة دهر أحسن الفعل بعدها وذنوبُ زمانٍ جاء يتبعهُ العذْرُ
فلا يتهنُّ الكاشحون؟ فما دجا لنا الليلُ إلا ريثماً طلع الفجرُ
وإن يكُ ولى جهورٌ فمحمداً خليفتهُ العدلُ الرضى وابنه البرُّ
لعمري لنعم العلقُ أتلفهُ الردى فبان، ونعم العلقُ أخلفه الدهرُ

ومن رسائل الرثاء رسالة بعث بها أبو عامر بن شهيد _عندما تزايد سقمه، وغلب عليه الفالج، مع شدة ضغط الأنفاس وعدم الصبر_ إلى أبي محمد بن حزم يرثي فيها نفسه (3)، ويشكو ما ألمَّ به، يقول: (4)

ولما رأيتُ العيشَ ولى برأسه وأيقنتُ أن الموتَ لا شك لاحقي
تمنيتُ أني ساكنٌ في غيابةٍ بأعلى مهب الريح في رأس شاهق
أذر سقيطَ الحَبِّ في فضلِ عيشةٍ وحيداً وحسي الماءِ ثني المفالقِ

ويختم رسالته الشعرية بكتابة وصيته إلى ابن حزم بأن يؤبنه ويذكر صفاته الحميدة، إذ إن في ذلك مما يبعث الراحة في نفسه :

فلا تنسَ تأبيني إذا ما فقدتني وتذكر أيامي وفضل خلاتني
فلي في ادكاري بعد موتي راحةً فلا تمنعوننيها علالة زاهق

(1) ابن رشيقي، العمدة، ج2، ص805.

(2) ابن زيدون، الديوان، ص 523 - 530.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص328.

(4) ابن شهيد، الديوان، ص133-134

وَأني لأرجو الله فيما تقدمت ذنوبي به مما درى من حقائقي

نلمس في أبيات ابن شهيد السابقة صدق العاطفة وحرارتها وقد عبر عن حزنه الشديد أصدق تعبير، وهذا يوافق رأي حازم القرطاجني في الرثاء، إذ إنه يرى أنه يجب أن يكون شاجي الأقاويل مُبكي المعاني مثيراً للتباريح، وأن يكون بألفاظ سهلة مألوفة، وأن يستفتح بالدلالة على المقصد (1).

في ضوء مما تقدم يمكننا القول إن الرسائل الشعرية التي كانوا يبعثونها لتعزيه الإخوان والأصدقاء الأعزاء، الذين تربطهم علاقات ودية، تحمل مشاعر صادقة، وتعبر عن إحساس صاحبها و فجاجته بالمصاب فقدمت -نيابة عنه- العزاء ممزوجاً بنغمة من الحزن على عكس الرسائل الشعرية في التهئة؛ إذ لا نرى فيها صدق العاطفة، ويمكن أن يكون السبب في ذلك أن أغلب رسائل التهئة الشعرية كانت موجهة إلى الحكام والوزراء وهدفها الرئيس كسب ود الحاكم.

7.2 الاستعطاف والشفاعة :

يتمثل شعر الاستعطاف بما "يبثه الشاعر إلى شخص ما لاستمالة قلبه، واستدراار عطفه، أملاً بعبوه عنه، وتخليصه من ضروب الإعانات والحرمان الذي يعانيه" (2). وقد عده عبد العزيز عتيق بنفس معنى الاعتذار، إذ يقول: الاستعطاف "فن قديم من فنون الشعر، ويقال له الاعتذار" (3) إلا أنه يختلف عن الاعتذار فقد يستعطف الشاعر، أو يطلب الرحمة، دون أن يعتذر عما بدر منه من أخطاء، أو نسب إليه من ذنوب، كل ذلك رغبة في عدم الاعتراف بالخطأ، أو أملاً في نسيان الجرم الذي رمى به زوراً. ويحذر ابن رشيقي الشاعر من قول شيء يحتاج أن يعتذر منه، فإن اضطره المقدار إلى ذلك، وأوقعه فيه القضاء، فليذهب مذهباً لطيفاً، وليقصد مقصداً عجبياً، وليعرف كيف يأخذ بقلب المعتذر إليه، وكيف يمسح أعطافه ويستجاب

(1) حازم القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 351.

(2) أسعد، محمد جاسر جبالي، الاستعطاف في الشعر الأندلسي "عصر ملوك الطوائف"، رسالة ماجستير، جامعة النجاح، نابلس، ص 8.

(3) عتيق، عبد العزيز عتيق، الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت، 1976م،

رضاه؛ فإنَّ إتيان المعتذر من باب الاحتجاج وإقامة الدليل خطأ، لا سيما مع الملوك وذوي السلطان. (1)

وقد جاءت قصائد الاستعطاف على شكل رسائل شعرية، والمستعطف قد يكون حاكماً أو صديقاً أو محبوباً، على أن أغلب رسائل الاستعطاف الشعرية جاءت في استعطاف الحكام.

ومن رسائل الاستعطاف رسالة بعث بها ابن عمار إلى المعتد عندما قام هذا الأخير بسجنه، حيث يقول (2):

سجايك إن عافيت أئدى واسمح وعذرك إن عاقبت أجلي وأوضح
وإن كان بين الخطتين مزية فأنت إلى الأدنى من الله أجنح

يثنى الشاعر في هذه الرسالة على المعتد ويمدح سجايه، ليرقق قلبه ويستدر رحمته، ثم يحمل على الوشاة والحاسدين الذين كانوا السبب في سجنه راجياً منه عدم الاستماع لكلامهم:

حنانيك في أخذي برأيك لا تطع عداتي ولو أثنوا علي وأفصحوا
فإن رجائي أن عندك غير ما يخوض عدوي اليوم فيه ويمرّخ

ويذكر المعتد بولائه السابق، وخدماته الكثيرة:

ولم لا وقد أسلفت وداً وخدمة يكران في ليل الخطايا فيصبح
ويلجأ إلى التقليل من ذنبه، عسى أن يكون سبباً في تخفيف العقوبة، أو خلاصاً مما هو فيه:

وهبني وقد أعقت أعمال مفسد أما تفسد الأعمال ثمت تصلح
أقلني بما بيني وبينك من رضى له نحو روح الله باب مفتح

فهو لا ينكر وقوعه في الذنب، بل يرجو المعتد الصفح.

وعف على آثار جرم سلكتها بهبة رُحِمى منك تمحو وتمصح
ويؤكد الشاعر على دور الوشاة في تضخيم الأمور، في محاولة من الشاعر لتبرئة نفسه مما نسب إليه من وشايات لم يقترفها :

(1) ابن رشيقي، العمدة، ج2، ص854.

(2) المراكشي، المعجب، ص113.

ولا تستمع زور الوشاة وإفكهم
فكل إناء بالذي فيه يرشح
سيأتيك في أمري حديثٌ وقد أتى
بزور بني عبد العزيز موشحٌ

ويرجو منه أن لا يجعله مصدراً لشماتة الأعداء :

كأني بهم لا درّ الله درّهم
أشاروا تجاهي بالشّمات وصرحوا

ويجعل الشاعر أمله معقوداً بالنجاة، مهما كان جرمه، وطريقته في الاستشفاع
محببة إلى النفس، إذ يؤكد على حبه وإخلاصه وولائه لحاكمه :

ويهنئه إن مت السؤلُ فإنني
أموتُ وبني شوقٌ إليه مبرحٌ

يقول ابن الأبار "وكل ما صدر عن ابن عمار في نكبة فمن حرّ كلامه، وكفى بهذه
القصيدة حُسن براعة، ولطف ضراعة".⁽¹⁾

ومن رسائله الشعرية في طلب الشفاعة، قصيدته التي بعث بها إلى الراضي
يطلب شفاعته عند أبيه، حيث يقول⁽²⁾ :

يا أيها الراضي وإن لم تلقني
من صفحة الراضي بما أدريه
هَبْكَ احتجبت لوجه عذر بين
بذل الشفاعة أي عذر فيه
سهل على يدك الكريمة أحرفاً
في من أسرت فتنتني تفديه

وابن عمار في قصائد الاستعطاف يبين مكانته العظيمة في الدولة وموقعه الرفيع،
ويشير إلى عدم القدرة على الاستغناء عن خدماته، مذكراً بأيام السعادة التي قضاها
إلى جانب المعتمد، متشوقاً إليها، عاقداً الأمل بالرجوع إلى سابق حاله، منكرراً
لأسباب القطعية، راجياً الصفح والعفو، و نجده ذلك واضحاً في رسالته الشعرية التي
بعث بها إلى المعتمد عندما نفاه المعتضد إلى سرقسطة، و مطلعها⁽³⁾ :

علي، وإلا ما بكاء الغمام
وفي وإلا ما نياح الحمائم

(1) ابن الأبار، الحلة، ج2، ص154.

(2) ابن الأبار، المصدر نفسه، ج2، ص151.

(3) المراكشي المعجب، ص103.

أما ابن زيدون فقد زج به أبو حزم في السجن بسبب وشايات الحاسدين كما أشار في عدد من رسائله التي استعطف بها الأمير، إلا أن أبا الحزم لم يستمع إليه وصم أذنيه عن سماع شكواه، وإلى ذلك يشير ابن زيدون بقوله(1):

أفي العدل أن وافتك تترى رسائلي فلم تترك وضعاً لها في يدي عدل
وقد افتتح قصيدته هذه بطلب الرحمة، فهو صاحب حق مهضوم وقد سجن ظلماً
وافترأء، دون وجه حق، وقد ضاق به الصبر، وطفح الميزان، وأن لكل المخلوقات
أن تبكيه، حيث يقول(2):

ألم يأن أن يبكي الغمام على مثلي؟
ويطلب ثأري البرق منصلت النصل
وهلاً أقامت أنجم الليل ماتماً

لتندب في الآفاق ما ضاع من تتلي

وقد سار الشاعران "ابن زيدون، وابن عمار" على منوال واحد من حيث التذكير بفعل الحاسدين والوشاة، يقول ابن زيدون (3):

كان الوشاة وقد منيت بإفكهم أسباط يعقوب وكنت الذيباً
فالشاعر لم يقترف إثماً عظيماً، ولم يرتكب فاحشة لا تغتفر، وإنما هي نزوة من نزوات الشباب، وكان حرياً بأبي الحزم أن يغفرها ويعفو عنه، يقول(5):

ولو أنني واقعتُ عمداً خطيئةً لما كان بدعاً من سجايك أن تملي
فلم أستثر حرب الفجار ولم أطع مسيلمة إذ قال : إني من الرسل
ومثلي قد تهفو به نشوة الصبا ومثلك من يعفو ومالك من مثل

ويعقد الشاعر الأمل على زوال تلك الغمة، في رسالة شعرية بعث بها إلى ابن برد الأصغر، حيث يقول (1):

(2) ابن زيدون، الديوان، ص 267.

(2) ابن زيدون، المصدر نفسه، ص 261.

(3) ابن زيدون، الديوان، ص 330.

(5) ابن زيدون، المصدر نفسه، ص 269.

إن قسا الدهرُ فللماء من الصخرِ انبجاسُ
ولئن أمسيتُ محبوساً فللغيثِ احتباسُ
يلبّدُ الوردُ السبنتي وله بعدُ امتراسُ
فتأملُ كيف يغشى مقلةَ المجدِ النعاسُ
ويفتُ المسكُ في التربِ فيوطأ ويُداسُ

يمكن للدارس أن يلمس في هذه الرسالة إحساساً بالعظمة، يرافقها أملاً في الخلاص مغلفاً بشيء من الاعتداد بالنفس والأنفة والكبرياء.

ومهما يكن من أمر فقد فاضت قصائد الاستعطاف بعواطف اليأس والرجاء، والألم والأمل، كما حشد الشعراء فيها مواهبهم الشعرية، وانفعالاتهم العاطفية، وقد تميز شعرهم بالصدق العاطفي لحرصهم الأكيد على التأثير في المستعطف.

ومن رسائل الشفاعة رسالة شعرية كتب بها أبو بكر الخولاني المنجم خاطب بها بعض الحكام يشفع للقلمندر⁽²⁾، وقد أخذ سكران، يقول أبو بكر⁽³⁾:

إن درءَ الحدودِ بالشبهاتِ لحديثُ رواه كلُّ الثقاتِ
ما أراهُ إلا تناولَ تفاحاً فنمّتَ عليه في الطرقاتِ

ومنها يطلب له العفو :

اعفُ عنه وأعفه من ثمانين تدمي أعطافه المائسات
وأقل ذنبه وعثرته فهو بمرأه من ذوي الهيئات

وتتفق قصائد الشفاعة والاستعطاف في محاولة كسب ود المستعطف وطلب المغفرة والعفو، إلا أن قصائد الشفاعة لا تكون لصاحب الذنب وإنما لصديق له يشفع له عند المستعطف.

8.2 الفخر:

(1) ابن زيدون ، المصدر نفسه ، ص 276.

(2) هو أبو الأصبع، عبد العزيز البطلبوسي، وكان طبيباً مستهتراً بالخمير، وكان يقول: أنا أولى الناس بأن لا يترك الخمر على علم بمقدار منفعتها. أمر المظفر بن الأفطس بقطع لسانه لكثرة أذيته، (ابن سعيد، المغرب، ج 1، ص 369)

(3) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 4 ، م 1 ، ص 357.

هو المدح نفسه، إلا أن الشاعر يخص به نفسه وقومته (1)، ولا يأتي الفخر منفرداً في الرسائل الشعرية ، بل نراه ممزوجاً بالمضامين الأخرى ، فقد يرسل الشاعر برسالة شعرية يهجو فيها شخصاً ما وفي أثناء ذلك نجده يمزج الهجاء بالفخر والاعتداد بالنفس ، وقد نجده -الفخر - في رسائل العتاب ورسائل المديح. ومن الرسائل الشعرية في الفخر الرسالة التي كتب بها المتوكل إلى أخيه المنصور بن الأفتس وقد علم أنه قدح فيه بمجلسه ، حيث يقول (2):

ولي خُلُقٌ في السَّخَطِ كالشَّرِي طُعْمَةٌ

وعند الرضا أحلى جنىً من جنى النحل

وإني وإن كنت الأخير زمانه

لآت بما أعيب الصناديد من قبلي

وما أنا إلا البدرُ تنبُحُ نورَه

كلابُ عدأ تآوي اضطراراً إلى ظلِّي

فقد كتب المتوكل رسالته في عتاب أخيه لكنه مزجها بالحديث عن نفسه، والاعتداد، بها فخلقه كالعلقم في حالة الغضب أما عند الرضا فهو أحلى جنىً من جنى النحل، كما أنه قادر على القيام بما أعجز الرجال الصناديد، وهذه كانت ردة فعل الشاعر عند بلوغه خبر الإساءة إليه؛ لذلك برزت في الأبيات نبرة من الغضب والسخط.

ومن الفخر قول أبي محمد بن حزم يخاطب قاضي الجماعة بقرطبة ابن بشر، (3) يقول منها (4) :

أنا الشمسُ في جوِ العلوم منيرةٌ ولكنَّ عيبي أن مطلعِي الغرب

(1) ابن الأثير، كفاية الطالب، ص 67؛ ابن رشيقي، العمدة، ج 2، ص 798.

(2) ابن الأبار ، الحلة ، ج 2، ص 105.

(3) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن أحمد بن سعيد بن بشر ، كان عالماً بارعاً متقناً في

العلوم ، ولاه علي بن محمود قضاء الجماعة سنة 407هـ/1016م ، وتوفي عام

422هـ/1030م. (الضبي ، البيغية، ص 359؛ الحميدي ، الجذوة ، ص 270).

(4) ابن بسام الذخيرة ، ق 1 ، م 1 ، ص 173؛ المقرئ ، نفح الطيب ، م 2 ، ص 81.

وقد انتشرت هذه الظاهرة في طبقة الخاصة، ودارت معانيهم في تلك الرسائل حول وصف محاسن الغلمان المادية، ووصف العذار الذي ينبت على خدودهم، أو التغزل بهم ومراسلتهم وطلب وصالهم.

ومن اللافت للنظر في هذا الموضوع، أن التعلق بالغلمان والتغزل بهم لم يكن منشراً فحسب، بل إنه لا يبدو أمراً معيباً أو غير مرغوب فيه لاسيما في وسط الخاصة لذا فهو يرد لدى كثير من شعراء هذا العصر.⁽¹⁾

فقد كان بسر قسطه غلام اسمه يحيى، نشأ عند المقتر بن هود وتخلق بالركوب والأدب، وكان في غاية الجمال والحلاوة والظرف، فعلق بقلب ابن هود، وكتب حبه زماناً فلم ينكتم، فكتب إليه⁽²⁾:

يا ظبيُّ باللهِ قلْ لي متى تُرى في حِبالي
يمرُّ عمري وحالي في خيبتِي منك خالي

فكتب له الغلام على ظهر الرقعة :

إن كنت ظبياً فأنت الهزيرُ تبغي اغتِيالي
وليسَ يخطرُ يوماً حلولُ غيلِ ببالي

ثم كتب بعدهما: هذا ما اقتضاه حكم الجواب في النظم، وأنا بعد قد جعلت رسني بيد سيدي ، فعسى أن يقودني إلى ما أحب ، لاما أكره ، والذي أحبه أن يكون بيننا من المحبة ما يقضي بدوام الإخلاص ، ونأمن في مغبته من العار والقصاص. فتركه ثم كتب إليه:

ماذا ترى في يوم أمنٍ طرَّرتُ
وأنا وكأسي لا جليسَ غيره
حلل السحاب به البروق المذهبة
ملان لا يخلو إلى أن تشربه
والأنسُ إن يسرتُهُ متيسرٌ
ومتى تُصعبه فيا ما أصعبه

فأجابه الغلام برسالة شعرية منها:

يا مالكاَ بدَّ الملوك بعلمه
وخلاله وعلوه في المرتبة

(1) خالص ، صلاح ، إشيلية في القرن الخامس عشر الهجري ، دار الثقافة ، بيروت ،

1981 ، ص 102.

(2) المقري ، النفع ، م 3 ، ص 561 - 562.

وافى نذاك فحرت عند جوابه
 إذا تَضَمَّنَ رِيبةً مستغربه
 إنا إذا نخلو تَقَوْلَ حاسداً
 وغدا بهذا الأمر ينصرُ مذهبه
 هبني إلى يومٍ تطيشُ به النهى
 والبيضُ تُنضَى والقنا متأشبهه
 وهناك فانظرني بعين بصيرة
 فالشبل يعرف أصله من جربه

وبعد وصول رقعته رفعه إلى درجة الوزارة والقيادة ، إلى أن قتل في جيش كان قدومه عليه ، وقد رثاه بقصيدة أبدى فيها حزنه عليه ، وألمه لفراقه.

ويمكن للدارس أن يلحظ بعض الأمور، من خلال دراسته للقصة السابقة منها ما أمتاز به الغلام من الأدب والعقلانية والتقوى والذكاء، فقد استطاع أن يرد على المقتدر بما يقنعه دون أن يخدش ما في قلبه نحوه، وقد استمر تعلق المقتدر بهذا الغلام حتى بعد وفاته.

وممن هام بالغلمان وتغزل بهم أبو الأصبع بن عبد العزيز⁽¹⁾، فقد خاطب أبا عامر بن مسلمة وابن الأبار⁽²⁾ وقد رأى معهما غلاماً ، بأبيات أولها⁽³⁾ :

أمفترسي ظبي أغرَّ غرير
 ومقتنصي بدرٍ أنار منير
 لئن نلتما بالسحر من كلِّ غرّة
 ففي مقلِّ الغزلانِ كلُّ غرور
 فأجابه ابن الأبار :

لعمرك إن الظبي غيرُ غرير
 وإن محيّا البدر غير منير
 بدت لحيّة في وجهه وهي لحنّة
 أتاحت له موتاً بغير نشور

ولأبي الأصبع في وصف غلام وكتب به إلى ابن الأبار⁽⁴⁾ :

(1) هو أبو الأصبع بن عبد العزيز وزير وأديب وشاعر ، (البغية ترجمة رقم 1514؛ الحميدي ، الجذوة رقم 367؛ ابن بسام؛ الذخيرة، ق2، م1، ص 206).
 (2) هو أحمد بن محمد الخولاني، المعروف بابن الأبار، من شعراء أشبيلية، كثير الشعر، توفي سنة 433 هـ/1041م. (الضبي، الجذوة، ص 115).
 (3) ابن بسام ، الذخيرة، ق2، م1، ص 207-209.
 (4) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص (208-209)

أما وخذ له مُعَذَّرٌ
ومبسم الخاتم المجوهر
وخصره المتعب المعنى
بتقل ما ضاق عنه منزر

ومنها:

وورد خديه بعد سُكْرٍ
والغنج من لحظة المحير
إن لعينيه في فؤادي
أشدّ من وقع كلّ خنجر

وهذا يدل على تغزل الشعراء بالغلّمان ووصفهم لهم كما يصفون فتاةً يعشقونها، فخصره جميل كخصر الفتاة، وخذه مورد، وسهام عينيه كالخنجر، ويمكن أن يكون سوء أخلاق هؤلاء الغلمان سبباً في انتشار هذه الظاهرة المنحرفة. وقد أجاب ابن الأبار على أبيات أبي الأصبغ السابقة بأبيات منها:

لست بصابٍ إلى معذّر
بل أنا في حبه معذّر
لا أعشق الظبي ذا لجامٍ
لأنه في الظباء منكر
أهواه والخد منه صنّج
حتى إذا ما دجا تغير
أحسن ما فيه أن تراه
بين مهاة وبين جوذر

أما إذا صدّ الغلام الشاعر الذي يهواه، فإن أصدقاءه المقربين يقدمون إليه التعزية بذلك، فهذا أبو عامر بن مسلمة، وقد بلغه أن ابن الأبار صدّ عنه من يهواه، وواصل سواه، فكتب إليه (1):

قد هجرَ الأنسُ والسرورُ
إذ هجرَ الشادنُ النّفورُ
وأقفرَ الرّبْعُ بعد أنسٍ
فعمر لهو الفتى قصيرُ

فراجع ابن الأبار بأبيات منها:

قد عوتبَ الشادنُ الغرير
ومن لي بالجواب تيهاً
فافتّر عن واضحٍ شنيب
فيه لميت الهوى نُشور
ثم تلاقَت لنا عيونٌ
تخالفت تحتها الصدور
ترجمَ بالثغر عن معانٍ
ضنّ بإعلانها الضميرُ

(1) ابن بسام الذخيرة ق2م2، ص109-110.

ونجد بعض الشعراء يصرح بحبه لغلام معين، فقد سجن غلام كان يهواه ابن
عمار، فكتب إلى المؤتمن يطلب منه إطلاق سراح الغلام، حيث يقول (1):

أنا المطبق المسجون لا من سجنته وأطبقته فانظر لعبدك أودع
حرام حرام أن تراني عين من تراه فإن شئت ارتجاعي فارجع
ويا حسن حال الود إن سمحت يد ولقبت فيها بالشفيع المشفع
فضحك المؤتمن وأخرج الغلام من السجن.

يمكن لنا القول إن هذه هي أهم المعاني التي تردت في الرسائل الشعرية، التي
وجهت إلى هؤلاء الغلمان، أو كان مضمونها وصف الغلام والتغزل به وإظهار
المشاعر نحوه، من حب ووجد وغم.

10.2 الإهداء والاستهداء:

انتشرت عادة الإهداء والاستهداء في الأندلس بين الشعراء في القرن الخامس
الهجري، وكانت هداياهم مقرونة برسائل شعرية، في وصف الهدية وإيراز
محاسنها، وأحياناً تأتي رسائل الاستهداء بطلب الهدية.
وقد تعددت أنواع الهدايا المرسله وكان من أكثرها الخمرة، ومن ذلك أن المعتمد
بعث إلى ابن اللبانة بقطيع مترع من الخمر، وكأس من بلار ومعه أربعة أبيات
هي (2) :

جاءتك ليلاً في ثياب نهار من نورها؛ و غلالة البلار
كالمشتري قد لف من مريخه إذ لفته في الماء جذوة نار
لطف الجمود لذا وذا فتالفا لم يلق ضد ضدّه بنيفار
يتحير الرءون في نعتيهما أصفأ ماء أم صفاء دراري

كما بعث ابن زيدون إلى جده الوزير صاحب الأحكام أبي بكر محمد بن محمد بن
إبراهيم (3) صنفاً من العنب اسمه " أطراف العذاري "، وكتب معه :

(1) ابن بسام ، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 388.

(2) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 18.

(3) هو جد الشاعر لأمه، ورث حب العلوم والآداب عن أبيه، ولي القضاء بمدينة سالم ، ثم

أحكام الشرطة و القضاء بقرطبة، وكان من أهل الصرامة في أحكامه وكان مولده سنة

أتاكُ مُحِيْباً عَنِّي اعْتَبَارَا
يَرُوقُ الْعَيْنَ مِنْهُ جِسْمُ مَاءٍ
وَلَوْلَا أَنَّنِي قَدْ نَلتُ مِنْهُ
بَعثتُ بِهِ، وَلَوْ أَهْدَيْتُ نَفْسِي
عَذَارَى دُونَهُ رِيْقُ الْعَذَارَى
غدا ثوبُ الهَوَاءِ لَهُ شِعَارَا
- ولم أَسْكُرْ - لَخَلتُ بِهِ عَقَارَا
إِلَيْكَ لَكَانَ مِنْ بَرِّي اقْتِصَارَا⁽¹⁾

ومن الهدايا التي كان يتبادلها الشعراء في الأعياد الثياب، فقد بعث ابن عمار إلى المعتمد بن عباد في يوم عيدِ ثوبِ صوفٍ بحريّ، وكتب معه⁽²⁾ :

لما رأيتُ الناسَ يحتفلونَ في
فبعثتُ نحوَ الشمسِ شِبهَ آياتِها
إهداءً يَوْمَكَ جِئْتُهُ مِنْ بَابِهِ
وكسوتُ مَتَنَ الْبَحْرِ بَعْضَ ثِيَابِهِ
واستهدى أبو بكر بن بقي⁽³⁾ من بعض إخوانه أقلاماً فبعث إليه بثلاث من القصب، وكتب معها⁽⁴⁾ :

خَذَا إِلَيْكَ أبا بكرِ العِلا قِصْباً
يُزْهِى بِهَا الطرسُ حَسناً ما نثرتَ بِهَا
كأئِما صاغها الصَواعُ مِنْ وَرِقَةٍ
مسكُ المِدادِ مِنَ الكافورِ مِنْ وَرِقَةٍ
فأجابهُ أبو بكرُ بأبياتٍ مِنْها :
أرسلتُ نحوي ثلاثاً مِنْ قِنا سُنْبِ
فالحِظْ يَنْكُرْها وَالخَطَّ يَعْرِفْها
وبعث أبو الأصْبغ بن عبد العزيز إلى أبي عامر بن مسلمة باكور بهار وكتب معها⁽⁵⁾ :

(355 هـ/965م) ووفاته سنة 432 هـ/1040م. (ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد

الملك الخزرجي، (ت494 هـ/1100م)، الصلة، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب

المصري (القاهرة) و دار الكتاب اللبناني (بيروت)، ط1989، ج2، ص763).

(1) ابن زيدون، الديوان، ص219-220

(2)؛ ابن خاقان، القلائد، ص257؛ ابن دحية، المطرب، ص172

(3) هو أبو بكر يحيى بن بقي، أشاد به العماد في الخريدة وقال أنه له ما يزيد على ثلاثة آلاف

موشحة ومثلها قصائد ومقطوعات منقحة توفي سنة 540 هـ/1145م، (ابن بسام،

الذخيرة، ق2، م2، ص615).

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص616.

(5) ابن بسام، المصدر نفسه، ق2، م2، ص107-108

و بهار ألم قبل الأوان
أمكن القطف في مدى شهر تشرب
سبق الزهر في الفضائل طراً
في بهاء يروق رأي العيان
من على غير عادة الإمكان
وكسا بالجمال فضل الزمان

فأجابه أبو عامر بن مسلمة بأبيات منها :

وصل النرجس المبكر يحكي
سبق عباد الملوك اليماني

ومن الهدايا المتبادلة أيضاً المقص، فقد استهدي ابن فتوح⁽¹⁾ مقصاً فبعث بها
وكتب معها : (2)

خذا إليك فإتها مخلوقة
تحكيك في دفع الملم لأنها
من فطنة مشبوبة وذكاء
ولعت بشق حناجر الأعداء

يقول ابن بسام " وتشبيه ابن فتوح صديقه بالمقص من الوصف القبيح فهو مما
مال فيه إلى العقوق، وعدا به سواء الطريق " . (3)

وكتب ابن السراج المالقي - وكان بصحبة أبي علي الحسن بن الغليظ - إلى
صديق لهما يستهديه كأساً، حيث يقول⁽⁴⁾:

بقينا بلا كأس سوى شقف شربة
فمن بكأس يا فتى الفتك والذي
يميت سرور الشارب المتروم
مضى لي زمان وهو فيه معلمي

11.2 الشكوى :

تعددت أغراض الشكوى وألوانها ، فمن شكوى الزمان وغدره ، إلى شكوى
القدر، وشكوى الناس وتحول الخلان وتمردهم ، وما إلى ذلك من أمور تخص بني
الإنسان.

(1) هو أبو المطرف عبد الرحمن بن فتوح، من مشاهير الأدباء، وله شعر كثير إلا أن إحسانه
نزر يسير، له مصنفات منها : " الإغراب في رقائق الآداب " ورفعته إلى المأمون يحيى بن
ذي النون، وكتاب " بستان الملوك " رفعه إلى ابن جهور. (ابن بسام، الذخيرة
، ق1، م2، ص770).

(2) ابن بسام، الذخيرة ق1، م2، ص784.

(3) ابن بسام، الذخيرة ق1، م2، ص785.

(4) ابن بسام، المصدر نفسه، ق1، م2، ص874.

ومن الشكوى ما كتب به أبو مروان بن غصن الحجاري⁽¹⁾، إلى أخيه من السجن حيث يقول⁽²⁾ :

أروى وبين ضلوعي حريقُ وأشجى وإنسان عيني غريقُ
وفي كل يوم وفي كل حين يحملي الدهر مالا أُطيقُ
فقد تكالبت عليه المصائب ، حتى لاتجد طريقاً إلى سواه، فهو إنسان يقاسي هموم الدهر ومكائده.

تهيم الخطوب بوصلي فما لهن إلى غير قلبي طريقُ
ولشدة ملازمة المصائب له ، أصبحت بمثابة الصديق والأخ الملازم.

أخوك أخو نكبات لها يرق العدو فكيف الصديق
ثم يشكو سوء تقدير أهل عصره لأدبه من نظم ونثر :

كسدت ونظمي درّ نفيس وضعت ونثري مسك فتيق

وقد جاءت شكواه من الزمن والناس مغلفة بنبرة من الحزن الذي يثير في النفس الأسى ، والرأفة لحاله ، والتألم لمصابه.

ويشكو بعض الشعراء أهل زمانه وسوء تقديرهم له ، وضياح منزلته لديهم فهذا أبو محمد بن سفيان⁽³⁾ يشكو إلى عيسى بن لبون ، عداوة أهل زمانه له ، حيث يقول⁽⁴⁾:

(1) هو عبد الملك بن غصن الحجاري، كان أحد أعلام طليطلة في الأدب والتاريخ والتأليفات

الرائقة التي تبهر الأبواب، وكان ملوك الطوائف يتهادونه من كل جانب. (ابن سعيد،

المغرب، ج2، ص 33)

(2) ابن بسام ، الذخيرة، ق3 ، م1 ، ص332.

(3) هو وزير الأمير ابن قاسم صاحب حصن البونت ، أديب وشاعر ، وقد وردت له مجموعة

رسائل شعرية في القلائد، (ابن خاقان ، القلائد ، ص 391-399؛ ابن بسام ، الذخيرة ، ق3

، م2 ، ص 903.

(4) ابن بسام ، الذخيرة، ق3 ، م3 ، ص 903.

الأموا وقالوا مذنبٌ ومُليمٌ وعرضي عن تلك الهنات سليمٌ

ويصرح الشاعر أن سبب عداوة الناس له هو منزلته الرفيعة ومكانته المرموقة ،
فكل صاحب ملك لابد أن يحسد بذلك :

وما في ما يُنعى ولكنّ سؤدداً هوت لذوي الرجحان فيه نجوم

ويحاول الشاعر أن يواسي نفسه ، عن طريق بث أجزائه إلى صديقه المخلص
أبي عيسى :

فقلتُ وجفني قد تداعتْ شئونهُ وحرُّ ضلوعي مُقعدٌ ومقيمٌ
لئن دَهمتْ دهمُ الخطوب وآلمتْ فإنّ أبا عيسى أغرُّ كريمٌ
يجلي دجى عميائها فجرُ رأيه وينقض منها والزمانُ بهيمٌ

ونجد ابن عبدون يشكو سوء حظه ، وهوانه على أهل عصره، يقول مخاطباً
بعض الأعيان (1):

سأطلب لا بالسنّة اليراع سوى ذا الحظّ من أيدي الزماع
وأخبط بالسرى ورق الدياجي ووجه الموت محذور القناع

ومن شكوى الناس إلى شكوى القدر ومعاندته للشعراء ، فهذا الجزار السرقسطي
يشكو إلى صاحب الأحباس وقد اجتمع عليه خراج الأرض - جريان الزمن عكس
هواه ، حيث يقول (2):

يا أبا جعفرٍ لعاً من عثارٍ وسيدي اسمع لعبدك القن يحيى
وغياثاً فما يقرُّ قراري خيراً مضحكاً من الأخبار

وقد خاطب الشاعر صاحب الأحباس ب " يا " التي تستخدم لنداء البعيد لبعده
المكانة ثم أن في لفظتي " عبدك ، القن " ما يؤكد ذلك ، تواضعاً من الشاعر للتأثير
في صاحب الأحباس وكسب عطفه ، ثم نجده يبيث شكواه ، في قالب حزين ،
ومبالغة لطيفة :

(1) ابن عبدون، الديوان، ص 161.

(2) الجزار السرقسطي ، روضة المحاسن ، ص 195.

لو وردت البحار أطلب ماءً جفَّ قبل الورود ماءُ البحار
أو لمست العودَ النضيرَ بكفيَّ لذوى بعد نضرةٍ واخضرار
أو رمى بأسى النجوم الدراري لآنزوى ضوءها عن الأبصار
ولو أني بعثُ القناديل يوماً أدغمَ الليلُ في ضياءِ النهار

فقد جعل رسالته حديثاً عن حظه العائر ، وزمانه الغادر ، الذي يسير عكس ما يحب ويرغب ، وقد جعل من المقابلة بين الأبيات وسيلة لبث حزنه وشكواه ، عليها تلاقي أذناً صاغية لدى المشتكى إليه.

ومهما يكن من أمر ، فقد اختلفت نظرة الشعراء للزمن ، فقد وجدناه عند السرقسطي متجهاً حاقداً ، بينما نجده عند ابن عمار حزيناً باكياً لبكاء الشاعر ، وقد سُخرت كل مخلوقات الكون لمشاركة الشاعر في حزنه ومأساته، حيث يقول (1) :

علي وإلا ما بكاء الغمام وفي وإلا ما نياح الحمام
وعني أثار الرعدُ صرخةً طالبٍ لثأرٍ وهزَّ البرقُ صفحةً صارم
وما لبست زهر النجوم حدادها لغيري ولا قامت له في مآتم
وهل شققت هوج الرياح جنوبها لغيري أو حنت حنين الروائم

فالشاعر يحن لبلاده، ومرايع صباه وبعد أن عثر به الحظ، وطال به البعاد جعل الطبيعة تبتسم لابتسامته، وتسخط لسخطه، وتعبس لعبوسه مما يدل على مدى تعلقه بالطبيعة في حالاته المختلفة(2)، وشتان ما بين نظرته للطبيعة ونظرة السرقسطي لها.

12.2 الشكر والثناء:

أحس كثير من الشعراء بواجب شكر أقرانهم والثناء عليهم لما كانوا يقدمونه إليهم في ظروف ومناسبات مختلفة.

(1) المراكشي، المعجب، ص103.

(2) الصمادي ، ساري على ، ظاهرة الحزن في الشعر الأندلسي في القرن الخامس للهجرة ، الجامعة الأردنية، رسالة ماجستير، 1990، ص 205.

ومن هذه الرسائل ما بعث به ابن السيد البطليموسي إلى أحد الشعراء مراجعاً عن قصيدة مديح وردته من أحد شعراء قرطبة، يقول فيها⁽¹⁾ :

أما الجزاء فشيء لست مذكرةً ولو بدرت إلى التوجيه بالبدر
لكن جزائي صفاء الود أضمره إذا القلوب أنطوت منه على كدر
جارك ذهني في مضمارها فكبا ذهني ، وفزت بخصل السبق والظفر
وهل بطليوس في نظم مناظرة يوماً لقرطبة في حكم ذي نظر؟!

لقد حاول الشاعر شكر صديقه بشيء من المجاملة اللطيفة، وقد أظهر له عدم قدرته على مجاراته. وأجاب الأمير أبو محمد عبد الله بن محمد على رسالة لأبي بكر بن عبد العزيز وقد خاطبه مسلياً عن نكبته ، حيث يقول⁽²⁾ :

ولو لم أقل شباهة الخطوب بحد كحد ظبا الصارم
ولم ألق من جندها ما لقيت بصبر لأبطالها هازم

إذ صور الشاعر نفسه يخوض معركة حامية الوطيس مع أعدائه المصائب، وقد قاتل عن نفسه بصبر شجاعة، وانتصر عليهم بفعل خبرته الطويلة في أمور حربهن:

ولم أعتبر حادثات الزمان بخبر خبير بها عالم
لكان خطابك لي نكرةً تنبه من سنة النائم
وردءاً يرد صعاب الأمور على عقب الصاغر الراغم

لولا كل تلك الأمور التي ذكرها الشاعر لكان خطاب أخيه تذكرة وعبرة ، ونلمس في رسالته شيئاً من الاعتداد بالنفس ، فقد صور لنا نفسه بطلاً مقاتلاً يخوض أعنف المعارك وأشدّها ، ويهزم أشجع الأبطال وأقواهم ، وقد جعلت تلك الأمور منه إنساناً صابراً عالماً بتصاريف الزمان عارفاً بحكمته.

ولابن عمار جواب على رسالة لابن رزين يشكره فيها على حسن ضيافته له، حيث يقول⁽³⁾:

(1) ابن خاقان ، القلائد ، ص 719.

(2) ابن سعيد ، المغرب ، ج 2 ، ص 397.

(3) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 3 ، م 1 ، ص 121-122.

هصرت لي الأيام طيبة الجنى
 وأبستني النعما أعض من الندى
 وكم ليلة أحظيتني بحظورها
 أعلل نفسي بالمكارم والعلا
 سأقرن بالتمويل ذكرك كلما
 لأوسعتني قولاً وطولاً كلاهما
 وسوغتني الأحوال مقبلة المنى
 وأجمل من وشي الربيع وأحسنا
 فبت سميماً للنساء وللأسنا
 وأذني وكفي بالغناء وبالغنى
 تعاورت الأسماء غيرك والكنى
 يطوق أعناقاً ويخرس أسنا

13.2 مديح الإخوان :

لقد حافظ أبناء الأندلس على معاني المودة والصدقة بين بعضهم البعض، فتبادلوا على إثر ذلك بطاقات المديح، التي تتم عن إخلاصهم وصدق مودتهم، والمديح إنما يستحسن لاشتماله على المحاسن والأوصاف التي يتسم بها الممدوح، "ويتقطن لها الشاعر دون غيره، ويبالغ فيها أكثر مما يستحق الممدوح ويظن به"،⁽¹⁾ وقد امتدح الشعراء في أقرانهم وإخوانهم عدة أمور منها :

أ. المهارة في قول الشعر :

يعد قول الشعر من الأمور التي أحبها العرب في أبنائهم، فقد كانت العرب في الجاهلية تحنفل إذا نبغ فيها شاعر، ونجد أبناء الأندلس يمدحون شعراءهم بهذه الصفة، فهذا أبو جعفر بن أحمد الداني يرسل إلى قريبه أبي بكر الداني رسالة شعرية، يثني عليه فيها ويمدحه بقول الشعر، وينعته بالفطنة والذكاء، حيث يقول⁽²⁾:

هب السحر يُملي والمعالي تدفق
 وهبنا شدونا كالبلابل إنه
 جمعت معاني الحسن في طي مهرق
 ولم أحتسب أن يجمع الحسن مهرق
 هل الكل إلا من صفاتك يشرق
 جميع الملاهي من قريضك ينطق
 ومنها:

أرى شعراء الوقت دونك قصرت
 وجدتك شمس الفهم أشرق نورها
 إلى عفوك الأدنى تخب وتعنق
 فلست أراعي كوكباً يتألق

(1) الحسن اليوسي، نور الدين، زهر الأكم في الأمثال والحكم، ج3، تحقيق محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1، 1981 م، ج2، ص 153.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص 771.

كما خاطب أبو بكر عبادة بن عبدالله بن عبادة ابن بسام بقوله (1) :

قد خبرتُ الوري فلم أُلهم إلا ثقال الأفهام والإفهام
وتأملتُ منك نكتة بغداد لباب العراق معنى الشام

ولمنزلة شعراء المشرق عند شعراء الأندلس فهو يشبهه بأعظم شعرائهم :

إن تحك مدحة فانت زهير أو نسيباً فعروة بن حزام
أو تباكر صيد المها فابن حجر أو تبكي الديار فابن خدام
أو تدم الزمان وهو حقيق فأبو الطيب البعيد المرامي

ب. المدح في البلاغة والبيان وجمع المصنفات :

أهتم أبناء الأندلس بالحفاظ على تراثهم، وصيانتهم من الضياع، وقد أثنى الشعراء على هؤلاء المؤلفين، ومن ذلك أبيات لأبي العباس بن أحمد خاطب بها ابن بسام، يقول فيها (2) :

قد كان نام زماننا عن كشف آثار العلوم
حتى أتيت منبهاً جفنيه تنبيه النسيم
فرددته يقظان يحوالم حو عن تلك الرسوم

وقد أحب الشعراء في أقرانهم اهتمامهم بالبيان والبديع ، وبالغوا في مدحهم به ، فهذا أبو عامر بن الأصيلي يخاطب الحصري برسالة طويلة منها (3) :

لقد أولى الزمان يداً سأشكرها مدى عمري
أطال يدي وفضلني بلقيا الفاضل الحصري
أقول لمن ينافسه رويدك لست ذا بصر
تخل عن البديع له وسلم فيه للقدر
شهدت له على علمي بسبق البدو والحضر

ج.مدح الأخلاق النبيلة وحسن الصنيع:

(1) ابن بسام،المصدر نفسه ، ق 1،م 2،ص 908.

(2) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 1 ،م 2 ،ص 906.

(3) ابن بسام ، المصدر نفسه ،ق 3 ،م 2 ،ص 862.

لاشيء يملك القلوب أكثر من التحلي بالأخلاق الحسنة النبيلة ومجاملة الآخرين وحسن معاملتهم ، وهذه النظرة نفسها نظر الشعراء من خلالها إلى ممدوحهم ، فهذا ابن صارة الشنتريني يمدح ابن السراج في رسالة شعرية بعث بها إليه يقول من جملة أبيات (1) :

متى تلتقي عيناى بدر مكارم تودُّ الثريا أنها من مواطنة
عرفنا بحسن الذكر حسن صنيعه كما عرف الوادي بخضرة شاطئة
د.مدح الحلم وجمال الهيئة :

لقد امتدح الشعراء في أقرانهم الحلم و جمال الهيئة، فهذا ابن الدباغ يمدح أبا محمد عبد البر بتلك الصفات، حيث يقول (2):

طلق الجبين وفيه فضل مهابة يغضي لها ذو الغلبة الشرساء
حلم لو أن الدهر حمل بعضه لشكت عواققه من الإعياء
ه.مدح جمال الخط :

أشار الشعراء إلى جمال خطوط ممدوحهم، فابن الدباغ يصف ممدوحه في رسالة شعرية بحسن الخط ، يقول (3):

وإذا تناولت الرقاع بنائه أنستك طرز الوشي في صنعاء
وهذا أبو عيسى بن لبون يخاطب أبي محمد بن سفيان بقوله (4):
وإن خط قرطاساً بدا فوق صحنه نثير لآل تارة ونظيم
يعطل سحر السحر سحر بيانه ويقعد حدّ السيف حين يقوم
و. مدح الكرم :

كانت صفة الكرم من الصفات العربية الأصيلة التي أحبها العربي، وقد أكثر الشعراء من الحديث عنها عند وصفهم لممدوحهم، فنجد أبا عيسى بن لبون يمدح ابن عمار، ويقرن كرمه بكرم حاتم الطائي، يقول :

(1) ابن خاقان ، القلائد ، ص 810.

(2) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 3 ، م 1 ، ص 317.

(3) ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق 3 ، م 1 ، ص 317.

(4) ابن بسام ، المصدر نفسه ، ق 3 ، م 2 ، ص 904.

وصدرنَّ قد حَمَلنَّ عنك عوارفاً
أصبحن كالأطواق في الأجياد
وفخارِ كعبٍ في قبيلِ إِياد⁽¹⁾
فضل أَرانا جودَ حاتمِ طييءٍ

14.2 التحذير:

يعد التحذير أحد الأمور التي استخدم الشعراء الرسائل الشعرية من أجلها، ويمكن القول إن الرسالة التحذيرية أكثر جدوى بكثير من التحذير مشافهة، ومفعولها بلا شك أقوى، هذا بالإضافة إلى الأثر الكبير الذي يتركه الشعر في النفس الإنسانية، فما بالك إذا كانت الرسالة الشعرية تفيض بعبارات الحزم والقوة والشدة، وبلا شك سيكون مفعولها أقوى وأشد؛ ولعل ذلك يعود إلى أنه يتعذر على المخاطب معرفة جدية الرسالة من عدمها.

فهذا المعتمد بن عباد يبعث برسالة شعرية تحذيرية إلى المعتصم بن صمادح أولها⁽²⁾:

٢٣٣٨٣٢

يا من تمرّس بي يريد مسأعتي لا تعرضنَّ فقد نصحتُ لمندم

يبدأ المعتمد رسالته بنداء البعيد؛ ليلمح إلى الفارق بينهما في محاولة منه تنبيه المعتصم بما يرتكبه الآن في حقه من محاولة الإساءة إليه، ثم نجده يحمل عليه بشدة، ويحذره من الانخداع لسهولة أخلاقه:

من غرّة مني خلائقُ سهلةٌ فالسّمُّ تحت لِيان مسِّ الأرقم

و هناك رسالة شعرية بعث بها ابن زيدون إلى ابن عبدوس⁽³⁾ لتحذيره وتخويفه وتهديده، حيث يقول⁽⁴⁾:

(1) ابن خاقان، القلائد، ص 275.

(2) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 61.

(3) ولي الوزارة بقرطبة، ونافس ابن زيدون في حب ولادة، وكان يدعي حفظ الشعر وقرضه،

توفي سنة 472هـ/1079م. (ابن زيدون، الديوان، هامش رقم 2، ص 790)

(4) ابن زيدون، الديوان، ص 582.

حذار حذار!! فإنَّ الكريم
إذا سيمَّ خسفاً أبى فامتعض
فإنَّ سُكونَ الشجاع النهو
س ليسَ بمانعه أن يعض

يلاحظ في هذين البيتين مبالغة ابن زيدون في التحذير ، فالكريم كالقمر لا يمكن أن يستسلم للخسف ، فإذا ما أصابه مكروه ، عاد للظهور سريعاً ، وكذلك ابن زيدون يرفض الذل ويأباه. ويأتي البيت الثاني لتأكيد المعنى وبيان أن سكوته ليس ضعفاً ، وهذا بدوره يعيدنا إلى بيت المعتمد السابق فكلاهما يشير إلى أن صمت الشجاع ليس ضعفاً.

كما يؤكد ابن زيدون في رسالته الشعرية هذه على علو همته ، ويحذر ابن عبدوس من اعتراضه؛ لأن المقادير لا تعترض :

وإن الكواكب لا تستذلُّ
وإنَّ المقاديرَ لا تعترضُ

ثم يستمر ابن زيدون في التحقير من شأن ابن عبدوس ، ويرفع من منزلة ذاته ، فهو كالشمس إذا قابله ابن عبدوس لابد أن يغض طرفه محافظة على بصره ، وفي هذا تصوير له بأنه مريض الفكر :

إذا الشمسُ قابلتَها أرمداً
فحظُّ جفونِكَ في أن تُغضُ

ثم يعود لتحذيره مرة أخرى من منافسته، أو اعتراض سهامه القاتلة :

أرى كلَّ بحرٍ " أبا عامرٍ " يُسرُّ إذا في خلأٍ ركضُ
أعيذكُ من أن ترى منزعِي إذا وترِي بالمنايا انقبضُ

ونجده يذكر أن كثيراً من الرجال الذين راودتهم أنفسهم بمعارضته قد تركهم صرعى :

وكم حركَ العجبُ من حائنٍ فغادرته ما به من حبضُ

ويلجأ ابن زيدون إلى العتاب ، مذكراً ابن عبدوس بأيام الصداقة ، فقد كان مخلصاً وفياً ، فقابل ابن عبدوس هذا الوفاء بالغدر :

تشوبُ وأمحصُ مُستبقياً
وهيهات من شابٍ ممن محضُ !

ولا نجده متردداً في استئناف الصداقة مرة أخرى :

" أبا عامرٍ " عثرةٌ !! فاستقلُّ
لتبرم من ودنا ما انتقضُ

وهناك رسالة شعرية أخرى لابن زيدون أرسل بها إلى عبد الله بن القلاس البطليوسي⁽¹⁾ معاتباً ومحذراً ، وقد بدأ الشاعر في رسالته غاضباً ، وجاءت القصيدة على قافية العين ، وحرف العين من حروف الحلق والتي تدل على معنى أساسي هو الزجر ، ثم أن الشاعر بدأ الرسالة بفعل الأمر أصخ واتبعهُ بأفعال أمر أخرى : أصخ ، دع ، خذ ، أقصد ، زد ، طر ، قع ، يقول ابن زيدون⁽²⁾ :

أصخ لمقالتِي واسمِعْ وخذ فيما ترى أو دَع
وأقصر بعدها أو زد وطر في إثرها أو قَع

ثم نجد الشاعر يلقي ببعض النصائح :

ألم تعلم بأنَّ الدهرَ يُعطي بعد ما يمنَع ؟
وأنَّ السعيَ قد يكدي وأنَّ الظنَّ قد يخدَع ؟
وكم ضرراً امرءاً أمرَ توهم أنه ينفع

ثم يتوجه إلى الفخر بنفسه فيقول :

وكائن رامت الأيام ترويعي ، فلم أرتع
إذا صابنتني الجلى تجلت عن فتى أروع
على ما فات لا يأسى ومما ناب لا يجزع

ومن الملاحظ أن الشعراء في الرسائل الشعرية التحذيرية يميلون إلى الفخر والاعتداد بأنفسهم ، وهذا ما لاحظناه في الرسائل التحذيرية السابقة جميعاً.

15.2 التعريض :

التعريض يعني السخرية والاستهزاء، وهو بديل للتصريح عند بعض الشعراء، كأن يسخر أحد الشعراء من صفة خلقية أو لقب لأحد الأشخاص، مما فإنه يقلل من شأنه؛ ولعل ذلك يعود إلى الحقد والبغض الذي يكنه بعضهم لبعضهم الآخر، كما يمكن أن يعود ذلك في بعض الأحيان إلى حب المداعبة والتسلية، أو ربما يكون ذلك تعبراً عن عادة متمكنة من الشخص، إذ قد يكثر بعض الشعراء في لون

(1) لم أجد له ترجمة في المصادر التي عدت إليها، وقد حذره ابن زيدون من منافسته في حب

ولادة برسالة شعرية، انظر (ابن زيدون، الديوان، ص 578).

(2) ابن زيدون ، الديوان ، ص 578.

من الشعر دون غيره، فمنهم من يسهل عليه المديح، ويعسر عليه الهجاء ومنهم من تتيسر له المرثي ويتعذر عليه الغزل. (1)

وخير مثال على ذلك أن عبد الملك بن جهور كانت تربطه بابن شهيد علاقة بحكم العمل في الوزارة، وكان ابن شهيد قد زاره، فتأخر الإذن إليه بالدخول، فولى غاضباً وكتب إليه بيتين من الشعر هما : (2)

أتيناك لا عن حاجة عرّضت لنا إليك ولا قلب إليك مشوق
ولكننا زرتنا بفضل حلومنا حماراً تولى برّنا بعقوق

وهنا جاء التعريض للقب الشاعر، فقد كان ابن جهور يُلقب بالحمار وتولى ابن شهيد نعتة بذلك اللقب. ولكن ابن جهور لم يصمت بل راجعه ببيتين من الشعر وعرض فيهما بأجداده؛ إذ كان أحد أجداده يعمل ببطاراً بالشام، حيث يقول :

حجبتك لما زرتنا غير تائق بقلب عدو في ثياب صديق
وما كان ببطار الشام بموضع يباشر فيه برّنا بخليق

فابن شهيد في نظره غير خليق بتلك الصداقة؛ لأنه يحمل قلب عدو، كما أن في لفظة غير تائق إشارة إلى أن زيارته كانت عابرة ولم يكن دافعها الشوق، ونلمس من الرسالة الشعرية السابقة و الرد عليها أن الوزراء كانوا يتبادلون الزيارات حتى مع وجود علاقات غير ودية بينهم.

ومن هجاء النسب أن أبا جعفر أحمد الداني (3) كتب إلى أبي حاتم الحجاري يعرض فيه بنسبه ويسخر من نسبه إلى وادي الحجارة، حيث يقول :

(1) أنظر: الدينوري، ابن قتيبة، (ت 276 هـ/ 889م)، الشعر والشعراء، ج2، تحقيق أحمد محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، 1958م، ج1، ص 93.

(2) ابن خاقان، المطمح، ص 168-169.

(3) هو أبو جعفر أحمد الداني، نسبة إلى دانية، كان أبوه شرطياً من شرطة إقبال الدولة، وقد تميز بالشعر والنثر، وهجا أخاه كما هجا نفسه، يقول من أبيات :

كان شرطياً أبونا وأخي اليوم وزير
أنا مأبون صغير وهو مأبون كبير

(ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص757-773؛ ابن سعيد، المغرب، ج2، ص404)

قالوا الحجاري وظني أنه حجرٌ والدرُّ ليس بمنحوتٍ من الحجر

عني إليك من أشعار لها غررٌ غيري يُباحث بالتحجيل والغرر

بيتٌ ببيتٍ ومصراعٌ بمشبهه حتى يصدق خبري ذائع الخبر (1)

فابن أحمد يسخر من أبي حاتم الحجاري، ويبين أنه ظن في بادئ الأمر أن من قال الحجاري أنه يقصد الحجر، ويؤكد ابن أحمد أن الدرر لا تؤخذ من الحجاره بل تستخرج من البحار.

فيجيب الحجاري مدافعاً عن نفسه، معطياً الدلائل والحجج التي تبين شرف نسبه، إذ يقول:

قف يا ابن أحمد لا تجمخ على غرر
ولا تعرض فعندي كل شاردة
لا إن شئت سلماً فسلماً أو محاربةً
أنا سوادٌ وآياتي مبينة
فكتب ابن أحمد إليه ثانية :

أمرت مني جفاءً غير مؤتمر
والعيرُ مستوقفُ الأفراسِ سابقةً
إن كنت مستأخراً يوماً فلا عجبٌ
قال أبو حاتم فراجعته بأبيات منها :

أنا الحجاريُّ والياقوتُ من حجرٍ
وركن مكة فيه ما سمعت به
لا تحسب الشعرَ إلا دوحَ باسقةٍ
لي المحاسنُ وانظرَ قلما خفيتُ
ومنها يحذره من معارضته:

وقد نصحتك والأيامُ واعظةٌ
وأنت تجنحُ أحياناً إلى السفرِ

فلم يراجعه، فكتب إليه مرةً أخرى، يقول الحجاري :

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق 3، م 2، ص 769 - 771.

ما لابن أحمد لم تبصر بصيرته هيهات تضعف أحياناً عن النظر
يظنُّ بي قصراً والطول يعجبني إني لأعجب من طول ومن قصر
إذا استراب بمثلي في بديته وقال ما يملأ الأسماع من هذر
فخله يخبط العشواء في رجل يسري فيمرح بين الشمس والقمر

وقد تكون الصفات الخلقية مجالاً للتعريض، فتذم الهيئة والشكل، ومن ذلك ما كتب به ابن رزين إلى ابن عمار معرضاً فيها بعينيه، "وهو مما أبدع فيه تعريضاً وتصريحاً، وسقاه التتديد منه صريحاً"، حيث يقول: (1)

تحقق أبا بكرٍ ودادي وحققٍ وصدقٍ ظنوني في وفائك واصدقٍ

ومنها:

ثنائي على مرِّ الزمانٍ مخلقٌ عليك وإن أبديت بعض التخلق
وما كنت ممن يدخل العشق قلبه ولكن من يبصر جفونك يعشق

ونلمس في التعريض اعتداداً بالنفس يقابلها استحقار الآخرين واستهجانهم، أو تشبيهم بالكائنات الضعيفة، ونجد ذلك في رسالة شعرية بعث بها أبو بكر بن بقي (2) إلى صديق له يعرض بها بأحد الرجال في مجلس أدب، حيث يقول: (3)

وجاهلٍ نسب الدعوى إلى كلمي لَمَّا رماه بنبل النبل في حدقه
فقلت من حنقٍ لَمَّا تعرض لي من ذا الذي أخرج اليربوع من نفقه
ما ذم شعري وأيم الله لي قسمٌ إلا امرؤ ليست الأشعار من طرفه

وكان ذلك الرجل قد اتهمه بانتحال شعر الآخرين، ونسبته إلى نفسه، فأثار ذلك غضب ابن بقي، فرماه بتلك المقطوعة.

(1) ابن خاقان، القلائد، ص 168.

(2) أبو بكر يحيى بن محمد بن بقي، شاعرٌ وشاح، ولد في طليطلة وأخرجته الفتنة التي حدثت بها، وتآدب في أشبيلية (ت 540 هـ/1145م)، (الأصفهاني، الخريدة، ج2، ق4، ص130؛ ابن بسام، الذخيرة، ق2 م2، ص615؛ ابن دحية، المطرب، ص198؛ المقرئ، النفع، م4، ص236)

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص616.

وقد تكون ردة الفعل على التعريض عنيفة جداً، فهذا أبو بكر بن الحسن المرادي، وقد بلغه عن بعض الشعراء أنه ذكره هجاءً وتعريضاً، فبعث إليه رجلاً يُعرف بابن المقدم فصّعه حتى إذا ما سأله الوزير ابن طاهر عن سبب فعله أجاب بقوله (1)

تعرّضني كلبٌ بهجوٍ مخذّلٍ كقيء السكارى أو هراء المبرسمِ
فأنفذتُ من وقتي إليه سحائباً من الصّفعِ يحدو وفدها ابن المقدم
وغنى دوي النعل في صحن رأسه "ألا عم صباحاً أيها الربيع واسكم"

16.2 الاستنجاز :

الاستنجاز هو طلب الإسراع في تنفيذ وعدٍ لم يتم تنفيذه، أو كما عبر عنه الشعراء بأنه (حاجة ممطول صاحبها)، كقول الشاعر ابن أبي الخصال (2):

جئناك للحاجة الممطول صاحبها وأنت تنعم والأخوان في بوس
ولقد كانت الرسائل الشعرية الطريقة الفضلى بالنسبة للشعراء؛ لتسيير أمور حياتهم العملية، منها ما كتب به أبو جعفر الداني إلى أحد الوزراء، مستنجزاً وعداً (3):

عدّاتٌ مثلُ ما ابتسم الحسانُ وتسويّفٌ كما عبس الزمانُ
وقد خبّرتُ نفسي عنك خيراً وأحرِبُ بأن يصدّقني العيانُ
وها مدّحي سوابقُ ملجماتٍ لأرسلها وفي يدك العنانُ

وقد عبر الشاعر عن الإبطاء في إنجاز الوعد بألفاظٍ تدل على الضجر والملل مثل "عدّات" وهي تعني وعود لم تتم، و"تسويّف" وتحمل المعنى نفسه، ثم قوله "عبس الزمان".

(1) ابن بسام، المصدر نفسه، ق4، م1، ص366.

(2) الأزدي، بدائع البدائنه، ص379.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص772.

وكتب الجزار السرقسطي إلى أبي الفضل بن حسداي يستتجزه في الإسراع برد
الجواب في رسالة شعرية بعث بها إليه، يقول الجزار (1) :

أبا الفضل لا ترتب بفضلك إنني حفرتك والمضطر يعذر في الحفز
إذا كان للمرء التقدم رتبةً ولا بد منه فالتأخر عن عجز
ولا بد من هز الكريم لأنني رأيت الحسام العضب أمضى لدى الهز
ولو كان يستغني الكريم بطبعه عن الهز لاستغني الجواد عن الهز
كما كتب ابن صارة الشنتريني إلى القاضي أبي أمية يستتجزه وعداً (2) :

أشيع أيامي بعلٍ وليتما وأشغل أوصافي بما و كأنما
وأزمع ياساً ثم أذكرُ أنني بحضرة أركى الناس فرعاً ومُنتما
وهذا يدل على تفنن الشعراء في الاستفادة من الرسائل الشعرية، وتعدد
مجالاتها. ومن الأبيات الجميلة في الاستتجاز أن الجزار السرقسطي وعد شاعراً
بأمرٍ ثم مطله، فكتب إليه يعاتبه على عدم وفائه بوعدده (3) :

فإذا وعدت وقلت في شيء : " نعم"
لا تخلفن فعن خلافك تُسألُ

وإذا ذهبت إلى مخالفة فقل :

"لا" أولاً فمقال لائك أجملُ

يا صفوتي من أهل ودي كلهم

مالي أراك تقول ما لا تفعل ؟

عند ربط أول الأبيات بالكلمة الأخيرة تكون العبارة بهذا الرسم
فإذا وعدت وقلت..... تقول ما لا تفعل.

وهذه العبارة تفسر ما بينها من أبيات، فهي بلا شك إشارة إلى أن الوعد يجب
الوفاء به، وهنا ظهر الخلاف فقد شذت القاعدة وابتعدت عن أصلها. ثم إن الشاعر

(1) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ص 163.

(2) ابن خاقان، القلائد، ص 815.

(3) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ص 177.

لم يصرح بحقيقة هذا الوعد، وبذلك فهو يقع في دائرة الغموض التي تقود إلى أهمية تحقيق هذا الوعد، فربما كان أمراً تتوقف عليه حياة ذلك الإنسان.

وفي إجابة الجزار لهذا الشاعر ما يؤكد أنه كما وصف، أو كما قيل عنه إذ إنه أجاب صديقه بأبيات تدل على اللامبالاة منها قوله:

في سورة الشعراء عذري واضح

وكفى بما نصّ الكتاب المنزل

الفصل الثالث

القضايا العامة في الرسائل الشعرية

تتمثل القضايا العامة في الرسائل الشعرية التي تكشف عن تفاعل الشاعر مع الأحداث السياسية والاجتماعية والقضايا الأدبية والشخصيات العامة التي بينها وبين الشعراء مسافات اجتماعية بعيدة مثل الأمراء والحكام، وغيرها من القضايا التي شغلت أذهان أفراد المجتمع الأندلسي؛ فقد اتخذ الشعراء من رسائلهم الشعرية وسيلة فنية لتصوير المجتمع وما يدور فيه من أحداث مختلفة، وكانت هذه الأحداث والقضايا محركاً أساسياً لعواطف الشعراء وانفعالاتهم الوجدانية؛ أي أن هذه الرسائل تدور حول موضوعات سياسية أو اجتماعية أو أدبية أو طبيعية دون أن يكون للذات الشاعرة دور كبير فيها، وهي تنبع من العلاقة بين الشاعر وأحداث مجتمعه السياسية والاجتماعية وغيرها، وشخصيات مجتمعه الذي يفصل بينهم وبين الشاعر فوارق اجتماعية مختلفة، ومن أهم موضوعات هذه الرسائل:

1.3 الجهاد و الحرب:

مع أن القرن الخامس الهجري كان يعج بالصراعات والمنازعات، سواء كانت داخلية بين ملوك الطوائف، أو خارجية مع العدو، إلا أننا لم نجد أثراً لذلك في الرسائل الشعرية إلا قليلاً، وهو ما يظهر في بعض الرسائل الشعرية التي وجهت إلى الحكام من أجل استنفار هممهم واستنهاض عزائمهم، وتحريضهم على الجهاد، وتواجهنا أثناء ذلك عدة رسائل شعرية لأبي حفص الهوزني⁽¹⁾ يؤكد فيها خوفه على الإسلام، وحبّه للمسلمين، فهو يدعو إلى توحيد الصف وإعداد العدة ومواجهة العدو الذي بدأ يهدد المسلمين في الأندلس، يقول أبو حفص مخاطباً المعتضد بن عباد:⁽²⁾

(1) هو أبو حفص عمر بن الحسن الهوزني، من أشبيلية، كان صديقاً للمعتضد بن عباد، وقد رحل إلى المشرق عام (440 هـ/1048م)، ثم عاد إلى الأندلس، وسكن مرسية، فلما اقتحم الروم بربنتر خاطب المعتضد برسالة يحثه فيها على الجهاد، فدعاه المعتضد إلى إشبيلية، فاغتر أبو حفص ورجع إلى إشبيلية عام (458 هـ/1065م)، وقتله المعتضد بيده عام 460 هـ/1067م، (ابن سعيد، المغرب ج 1 ص 234؛ ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 81).

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 83.

أَعْبَادُ حَلِّ الرِّزْقِ وَالْقَوْمُ هُجِعُ عَلَى حَالَةٍ مِنْ مِثْلِهَا يُتَوَقَّعُ
فَلَقَّ كِتَابِي مِنْ فِرَاقِكَ سَاعَةً وَأَنْ طَالَ فَالْمَوْصُوفُ لِلطَّوْلِ مَوْضِعُ
إِذَا لَمْ أَبْتِ الدَّاءَ رَبِّ دَوَانِهِ أَضَعْتُ وَأَهْلًا لِلْمَلَامِ الْمَضِيعُ

فقد حل المصاب الجلل، بسبب نوم الجماعة وتخاذلهم، وتحمل عبارة " القوم هجع " الدلالة العامة والمبالغة، وتهويل الحدث، ويرى الهوزني أن هذا الحدث متوقع، لأن التخاذل والخنوع والاستسلام، يؤدي إلى الهلاك. وتكشف لنا الأبيات أيضاً إشارة أخرى وهي أن واجب الرعية تنبيه الحاكم، لأن ذلك يُعد أمانة، ومن أضعافها فقد أضع الأمانة وبذلك فهو يستحق اللوم.

ثم يتبع الشاعر هذه الأبيات بأبيات أخرى مشابهة لها في المضمون وقوة الاندفاع، حيث يقول: (1)

أَعْبَادُ ضَاقَ الذَّرْعُ وَاتَّسَعَ الْخَرَقُ وَلَا غَرْبَ لِلدُّنْيَا إِذْ لَمْ يَكُنْ شَرْقُ
وَدُونَكَ قَوْلًا طَالٌ وَهُوَ مَقْصَرٌ فَلِلْعَيْنِ مَعْنَى لَا يَعْبِرُهُ النَّطْقُ

ويضع الشاعر المعتضد موضع المسؤولية؛ لأنه يراه الوحيد من بين ملوك الطوائف القادر على مواجهة العدو، لما يراه من تخاذل غيره من الملوك وانغماسهم في اللهو والترف، وترك شؤون الرعية، وردع أعداء الإسلام.

إِلَيْكَ انْتَهتْ آمَالُنَا فَارِمِ مَا دَهَى بَعِزْمِكَ، يَدْفَعُ هَامَةً الْبَاطِلِ الْحَقُّ
ولعل رسائل التحريض على الجهاد في هذا القرن قد اقتصر على أبي حفص الهوزني، وقد جاءت أبياته داخل رسائله النثرية، ويعود ذلك إلى دعم الشعر بالنثر وإعادة صياغة الفكرة مرة أخرى بالشعر لتأكيد الطلب، هذا بالإضافة إلى كون الشعر أعظم أثراً في النفس من النثر، كما أن الحاكم المستقبل لتلك الرسائل شاعرٌ يجيد الشعر وينذوقه.

وللهوزني أيضاً أبياتٌ أخرى يستنهض فيها المعتضد ويحثه على الجهاد، وينبئه إلى الخطر القادم، حيث يقول: (2)

صَرَّحَ الشَّرُّ فَلَا يَسْتَقِلُّ إِنْ نَهَلْتُمْ جَاءَكُمْ بَعْدُ عَلُّ

(1) ابن بسام، النخيرة، ق2، م1، ص85.

(2) المقري، نفح الطيب، ج2، ص94.

بدءً صغق الأرض رشً وطلً
ورياحً ثم غيمً أبلً
خفضوا فالداء رزءً أجلً
واغمدوا سيفاً عليكم يسلاً

ويبين الهوزني أن المعتضد متى دعا إلى الجهاد، واستعدَّ له فلن تخذله الجنود ؛
لأنها اعتادت على الاستمرار في الانتصارات، كما أن الشعب لن يتراجع عن نصره
دين الإسلام، يقول : (1)

فناد: أعبادُ ذا عائذُ
وقدك على حينها تنصرم
تجبك أسودً على ضميرٍ
معوذةً ما بغت أن يتم
كأن المقادير حزبٌ له
فيمضي على رأيه ما حكمُ

كما أن الشاعر لم ينسَ أن يمدح الحاكم، من أجل رفع الهمة، وتحريك النخوة،
على أن هذا المديح لم يخرج من كونه دعوة للجهاد وتحريضاً عليه ؛ لأن فيه إشارة
إلى قوة الحاكم وشجاعته وانتصاراته المتكررة، وقدرته على إخافة العدو هذا
بالإضافة إلى قيادته الصارمة للجيوش، وحكمته في خوض المعارك وبعد نظره في
التخطيط لها، حيث يقول : (2)

أعبادُ كلاً قد علوت فضائلاً
تقاصر عنها كلُّ أروع ماجدٍ
فأولها جودٌ أرانا أكفَّهُمُ
جموداً ككف لم تؤيد بساعدٍ
وسعي لمن واليت يردي عدوه
ردي أهلِ جَوِّ في وقية خالدٍ
منعت بني جالوت ما قد أباحهم
سواك بحربٍ قيّدت كلَّ شاردٍ
فمن شاء فلينظر أسوداً بروضة
تراعي عصاراعٍ وتعنو لرائدٍ
عجائبُ مجدٍ أعجزت من سواكمُ
ومن سرّها المشهور صدقُ المواعدُ

ويطلب الشاعر الأمان عند الحاكم، فقد هاله ما ينتظر الأمة من دمار وخراب :

فإن راثٍ أمري فادركني برحلةٍ
إلى مأمّنٍ فالخوفُ أعجلُ طاردٍ
وحدٌ مكاناً آتِه فرضاكمُ
هواي وإن أغشى كرية المواردِ
فقد جدٌ أمرٌ هدَّ شرعٍ محمدٍ
وما مخبرٌ عن حاله مثل شاهدٍ

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص86.

(2) ابن بسام، المصدر نفسه، ق2، م1، ص87-88.

ولم تأت هذه الرسالة الشعرية إلا بعد أن ظهر الخطر ، وبدأ العدو بالاستيلاء على مدينة بربشتر⁽¹⁾ سنة 456 هـ ، يشير الهوزني إلى ذلك بقوله :

لكل يبين الرأي عند وفاته وهل من دواء بعد نهش الأسود
أضاعوا وجوه الحزم يوماً فعزّهم على أمرهم من ليس عنه بهاجد
لقد كان الدافع وراء تلك الرسائل هو الخوف على بلاد المسلمين من أن تعود للكفر بعد أن تم تطهيرها منهم ، كما أن شاعرنا يعدّ نفسه مسؤولاً عن قول كلمة الحق . ولكن هل من مُجيب ؟!

لعل من المفيد أن نستذكر قليلاً كيف كانت نهاية أبي حفص الهوزني ، لقد بعث المعتضد إليه برسالة يدعو فيه إلى الاستقرار في إشبيلية ، وبعد أن قرّبه دعاه إلى قصره وباشّر قتله بنفسه سنة 460 هـ ، يقول ابن بسام : " فلم ينلّ عباداً بعده سولاً ، ولا متّع بديناه إلا قليلاً⁽²⁾ " ، لقد أحس المعتضد أن في بقاء أبي حفص خطراً كبيراً على سياسته التي كان يسلكها - من مهادنة للعدو ، ودفع مبالغٍ من المال من أجل تركه في سدة الحكم - فلم يجد بُدأ من إخماد صوته .

وتبادل المعتضد الكتب مع الأذفونش⁽³⁾ ، فبعد سقوط طليطلة عام 478 هـ ، واستيلاء الأذفونش على أعمالها ، طمع في الاستيلاء على الجزيرة بكاملها ، فكتب إلى المعتضد بن عباد يشير عليه بتسلم بلاده إلى أحد قواد الأذفونش ، ومن رسالته هذه قوله : "... قد أبصرتم ما نزل بطليطلة وأقطارها ، وما صار بأهلها حين حصارها ، فأسلمتم إخوانكم ، وعطلتم بالدعة زمانكم ، والحذر من أيقظ باله ، قبل الوقوع في الحباله ، ولولا عهد سلف بيننا ، نحفظ زمامه ، ونسعى بنور الوفاء أمامه لنهض بنا نحوكم ناهض العزم ورائده ، ووصل رسول الغزو ووارده ، لكن الإنذار ، يقطع الأعذار ، ولا يعجل إلا من يخاف الفوت فيما يرومه ، أو يخشى الغلبة على

(1) من أمهات مدن الثغر الفاتكة في الحصانة والامتناع . (الحميري ، الروض المعطار ، ص 90) .

(2) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 2 ، م 1 ، ص 83 .

(3) قائد الروم ، أعداء الاسلام في بلاد الأندلس .

ما يسومه ، وقد حملنا الرسالة إليكم القرمط البرهانس وعنده من التسديد الذي يلقي به أمثالك ، والعقل الذي يدبر به بلادك ورجالك " (1)

عند قراءة هذه الرسالة، ندرك الحال التي وصل إليها أمراء الأندلس من الدعوة، والاستسلام للراحة، وترك الجهاد، والتفرق في الرأي، وندرك أيضاً حال الأذفونش التي وصل إليها من قوة واعتداد بالنفس بعد الاستيلاء على بربشتر وطليلة. وقد أثار هذا الكتاب غضب المعتمد بن عباد فأجاب عنه بقوله: (2)

الذل تأباه الكرام وديننا	لك ما ندين به من البأساء
سمناك سلماً ما أردت وبعد ذا	نغزوك في الإصباح والإمساء
الله أعلى من صليتك فادرع	لكتيبة حطمتك في الهيجاء
سوداء غابت شمسها في غيمها	فجرت مدامعها بفيض دماء
ما بيننا إلا النزال وقتنة	قدحت زناد الصبر في الغماء
فلتقدمن إذا لقيت أسنة	زرقا ترى بالوجنة الوجناء

وبلغت بالأذفونش الجرأة أن عمد إلى مراسلة أمير المسلمين في المغرب للعبور لمساعدة إخوانه في الأندلس، أو البقاء في بلاده على أن يعبر إليه الأذفونش لمقاتلته في أي البلاد أحب (3).

وقد أجاب يوسف بن تاشفين على كتابه متمثلاً بقول المتنبى (4) :

ولا كتب إلا المشرفية والقنا ولا رسل إلا الخميس العرمم
وجرت العادة أن يودع القائد بأبيات شعرية في الدعاء تفاؤلاً بالنصر، وأملاً بالتوفيق، فهذا الكاتب أبو محمد بن عبد الغفور يكتب إلى أمير المسلمين، أثناء استعداده للغزو بأبيات هي: (5)

(1) مؤلف أندلسي مجهول ، الحلل الموشية في الأخبار المراكشية ، تحقيق سهيل زكار وعبد

القادر ، زمانه ، دار الرشاد الحديثة - الدار البيضاء ، ط1 ، 1979 ، ص39 .

(2) مؤلف أندلسي مجهول ، الحلل الموشية ، ص 39 .

(3) انظر: مؤلف أندلسي مجهول، المصدر نفسه ، ص42-43 .

(4) مؤلف أندلسي مجهول ، المصدر نفسه ، ص 43 .

(5) ابن سعيد ، المغرب ، ج1 ، ص 242 ؛ المقرئ ، ج 3 ، ص345؛ ابن خاقان ، القلائد،

ص475 ؛ العماد الأصفهاني ، الخريدة ، ق4 ، ج 2 ، ص 429 .

سر حيث شئت يحلُّه النوار
وإذا ارتحلت فشيعةك سلامة
تنفي الهجير بظلمها وتنيم بالر
وقضى الإله بأن تعود مظفراً
وأراد فيك مرادك المقدار
وغمامة لا ديمة مدار
ش القتام وكيف شيت تدار
وقضت بسيفك نجبها الكفار

كما كتب المعتمد بن عباد إلى أمير المسلمين يوسف بن تاشفين قبل معركة الزلاقة بأبيات هي (1):

غزو عليك مبارك
لله سيفك إنه
لا بد من يوم يكو
ن له أخايوم القلب
في طيه الفتح القريب
سخط على دين الصليب

والدارس لهذه الأبيات يرى ما فيها من تفاؤل كبير بالنصر ، ولعل ذلك التفاؤل يعود إلى إيمان المعتمد بن عباد بالنتيجة ، فقد أمر منجمه أبا بكر الخولاني بقراءة الطالع ، فبشره بأن الدائرة ستكون على المشركين ، وأن النصر سيكون حليف المسلمين ، فكتب بالأبيات السابقة تفاؤلاً بالنصر (2).

ولم يبخل الشعراء على الحكام بالنصح والتوجيه ، لأنهم رأوا أن من حق الحاكم على أتباعه توجيهه إلى الخير وقول كلمة الحق له ، كل ذلك من أجل حماية الإسلام والمسلمين ، فنجد أبا بكر محمد بن رحيم يوجه رسالة شعرية إلى الأمير أبي إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين يمدحه فيها ، ويشير عليه ببعض الأمور التي يجب أن يتمثل بها الحاكم للحفاظ على قوة دولته وأمنها ، حيث يقول منها: (3)

وعندي إن أردت لك انتصاح
مدار الملك عدل مستنذع
ورفق بالرعية أي مال
وحزم لا تفارقه أناة
وإن من المشورة كل حزم
فقد أوصى المهيمن بالمشورة
وللنصحاء أنحاء أثيرة
وقضل فيه نعمى مستنيرة
سواها للرياسة أو نخيرة !
وحلم تلك أخلاق خطيرة

(1) مؤلف مجهول ، الحلل الموشية ، ص 58 .

(2) انظر مؤلف مجهول ، المصدر نفسه ، ص 58 .

(3) ابن خاقان ، القلائد ، ص 352 - 353 .

وموسى قال اجعل لي وزيراً فكان أخوه هارون وزيره
فهو يشير عليه باستخدام الوزراء، ويعطي على ذلك مثلاً من القرآن الكريم، قوله
تعالى: ﴿وَاجْعَلْ لِي وِزِيرًا مِّنْ أَهْلِي﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿أَشْدُدْ بِهِ أَزْرِي﴾
وَأَشْرِكُهُ فِي أَمْرِي ﴿(1)﴾.

ويذكره بحماية الثغور، وتشييد القصور:

ولا تهمل رجال الثغر واجعل

قبالة عين حزمكم أموره

فإن الملك يمسي ذا اقتدار

إذا شيدت مقتدراً قصوره

ويحض الشاعر الأمير على مباشرة أمور الرعية بنفسه، وتوجيه الدعوة لسادة
القوم وإحضارهم الأندية.

ولا تحجب جماعة كل مصر

حلت، وصلهم فهي اليسيره

وفي حمص جهابذ فاصطنعهم

بذا غدت العلى أبداً مشيره

وحضرتهم نديك واعتبرهم

فمنهم من يرى شرفاً حضوره

وفي عرض الأمور عليك ضبط

فباشرها ولا تُعذر صغيره

وقد اتخذ بعض الشعراء ذكر معركة الزلاقة وسيلة للاستجداء، فلم تعد في نظر
البعض مبعثاً للفخر والاعتزاز " بل أصبحت وسيلة، لتملق بغيض وطمع رخيص،
واستجداء شائن " (2) فقد قال ابن اللبانة في رسالة شعرية أرسل بها إلى المعتمد بن
عباد بعد تحقيق النصر في معركة الزلاقة يقول فيها: (3)

وعسى أراك بحيث ينبعث الندى

فلقد رأيتك حيث ينبعث الدم

قد كنت في أرض الوغى أجنبي الردى

وأنا بروض الجود لا اتنسم

ما كان بين يديك غيري والظبا

متلفعات والقنا يتحطم

قد رشتني سهماً فرشني طائراً

وكما نفذت فإنني أترنم

ووصف لنا الراضي بن المعتمد صورة الصراع الخارجي مع العدو، منها وهو

(1) سورة طه ، آية 29-32 .

(2) شيخة، جمعة، الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، 2ج، تقديم محمد الطالبي،

المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1، 1994م، ص57.

(3) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص 93 .

يخاطب أباه مراجعاً على رسالته له مذكراً إياه بموقفه في الحرب، حيث يقول: (1)

لا تنس يا مولاي قو لة ضارع لا قول فاخر
ضبط الجزيرة عندما نزلت بعقوتها العساكر

بدأ الشاعر بلفظة (لا تنس) على سبيل التوبيخ والتذكير لرسم لوحة الحقيقة في ذهن الطرف الآخر، ثم جاء بلفظة يا مولاي على سبيل التفخيم، وفي قوله ضبط الجزيرة (تذكير بالماضي المشرق والقيادة الفذة، حيث أنه أعاد إلى ذاكرة أبيه ضبط الجزيرة والإحاطة بها، وكيفية إدارتها بحرص، ول يؤكد له بأنه كان مسيطراً على تلك العساكر المعادية حين ظهرت جاء بلفظة (نزلت بعقوتها)، والتي تشير إلى الاستقرار الحقيقي للعدو، وأي عدو بل عساكر معسكرة استقرت بها .
ثم يشير الراضي إلى وجوده وحيدا، حين كان في حاجة ماسة إلى المساندة والمساعدة، وفي لفظة (فريداً) ما يؤكد على انفراده في اتخاذ القرارات، وانفراده كذلك بتحقيق النصر.

أيام ظلتُ بها فريداً ليس غير لله ناصر
إذ كان يعشي ناظري لمعُ الأسنة والبواتر
ويصمُّ أسماعي بها قرع الحجارة بالحوافر
وهي الحضيض سهولةً لكن ثبتُّ بها مخاطر

2.3 المديح السياسي (مديح الحكام):

يعد المديح من الموضوعات المهمة التي تناولها الشعراء في رسائلهم الشعرية، وقد كان الشعراء يرسلون قصائدهم المدحية إلى الممدوح، سواء كان حاكماً أو أميراً أو صديقاً، وكانت أغلب قصائدهم المدحية وسيلةً من وسائل التكسب. ومن أجمل معاني المديح للقادة أن يوصف بالشجاعة والكرم وأصالة النسب، وقد ميز النقاد بين مديح الخلفاء والقادة والأمراء وغيرهم من أصحاب الوظائف، ويؤكد

(1) النصح ، م 4 ، ص 255 .

حازم القرطاجني أنه يجب أن يمدح كل صنف بالوصف الذي يليق به، والفضائل التي تصلح له، وأن لا يُجعل الشيء منها حليةً لمن لا يستحقه ولا هو من بابيه (1) فأما مدح الخلفاء فيكون بأفضل ما يتفرع من تلك الفضائل وأجلّها وأكملها كنصرة الدين وإفاضة العدل وحسن السيرة والسياسة والعلم والحلم والتقوى والورع والرافة والرحمة والكرم والهيبة (2)

ومدح الأمراء يكون بالكرم والشجاعة ويؤمن النقيبة وسداد الرأي والتيقظ والحزم والدهاء، ومدح الوزراء ومن حلّ محلّهم من الكتاب يكون بالعلم والحلم والكرم وحسن التدبير وتثمير الأموال، أما القضاة فمدحهم يكون بالعلم والتقوى والدين والنزاهة والعدل بين الخصوم وإنصاف المظلوم، ويؤكد حازم القرطاجني أنه على هذا الترتيب يجب أن يكون المدح، وأن يحافظ على ما يجب اعتماده في امتداح كل طبقة من الممدوحين، فلا يُسمى بها إلى الرتب التي فوقها، ولا يُنحطّ بها إلى ما دونها. (3)

فهذا أبو القاسم بن مرزقان (4) يكتب إلى المعتمد ابن عباد، عند زواج ابنه الرشيد من بنت مجاهد العامري، أبياتاً منها: (5)

فإليه كل مخلوق أشار	ملك إن قلت من ربّ العُلا
كل عسير حين تلقاه يسار	لخميّ ماجد معتمد
كل ليل بأيّديه نهار	ما دجا ليل على أمّله
ظبية ريفتها صرف العقار	بين كفيّه وفي ناديمه

(1) انظر : القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 170 .

(2) القرطاجني، المصدر نفسه ، ص 170 .

(3) القرطاجني، المصدر نفسه ، ص 170 - 171 .

(4) هو الأديب أبو القاسم بن مرزقان، من شعراء المعتمد بن عباد، قال فيه ابن بسام: هو أكثر القوم قولاً وإصابة، وكلامه سهل وقريب، قتل يوم دخول الملتمين إشبيلية على المعتمد. (ابن

بسام، الذخيرة، ق2، م 1، ص 520؛ ابن سعيد المغرب، ج 1، ص 266).

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م 1، ص 522.

وقد صور الشاعر الرشيد وزوجته بالأسد والظبية، وقد أجاد في ذلك الوصف، أما ألفاظه فهي قريبة من القلب، وفي لفظة "عجبي" كثير من معاني الدهشة والاستغراب ويعلل الشاعر ذلك بأنها جاءت لاتصال الوصل:

عجبي منها وهذا أسدٌ كيف لا تبعدُ عنه بنفار
أنست من أنها مُرسلةٌ باتصال الوصل من أشرف دار

كما امتدح الشعراء في الحكام الشجاعة والقوة في خوض المعارك والاهتمام بالعلم، ومجالسة العلماء، والعقل والفتنة والذكاء، كل هذه المعاني نجدها في رسالة شعرية لابن شرف امتدح بها المظفر بن الأفطس: (1)

أصهوة الغبراء أم داحساً ركبت حتى خضت ذاك الغمار

ومنها:

أقمت للعلم مناراً وما أظن في الدنيا لعلم منار
فما ندماك سوى أهله وكلهم بين ندامى العقار
ميزك ميزان عقول الورى وفهمك العدل لكل عيار
من لفظهم تعرف ما هم وفي جحفة العائر يبدو العثار

لقد أشار ابن شرف إلى الحكام إشارة خفية دون تخصيص، من خلال مدح المظفر بمجالسة العلماء، ودم غيره بالغفلة وشرب العقار، ويبدو أن هدف ابن شرف هنا هدف مادي، فقد أرسل هذه القصيدة قبل قدومه على الأمير، وأشار إلى ذلك بقوله:

قدمتها قبل قدومي كما قدمت الحجاج رمي الجمار

وتمثل المديح السياسي خير تمثيل رسالة شعرية لعبادة بن القزاز بعث بها إلى المعتمد بن عباد بعد معركة الزلاقة، يقول فيها (2):

لقد حسنت بك الدنيا وشبت فغنت وهي ناعمة رداح
تطيبُ بذكرك الأفواه حتى كأن رضابها مسك وراح

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 2، ص 642 - 643

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 803 .

ويبالغ في مديحه حتى يجعل القدر يسير حسب مشيئة الممدوح، ولعل الشاعر قصد في ذلك أن الله سير الأقدار حسب رغبة الممدوح، فكان النصر حليفه، إلا أننا نشير إلى مبالغة الشاعر لاستخدامه عبارة (ملكت عنان دهرك)، وهذا فيه مشابهة كبيرة لمبالغات المتنبي في مدائحه .

ملكتم عنان دهرك فهو جارٍ كما تهوى فليس له جماح

ويفضل الشاعر الممدوح على كل ملوك عصره:

فإنك ضيغم وهم لقاح	فذاك ملوك هذا العصر طراً
وهم بأقل ما حازوا شحاح	وأنت بكل ما تحوي جواداً
ولا زنت لهم إلا شحاح	فرندك في العلا والحرب وارٍ
محا عنها الفساد بك الصلاح	جزاك الله خيراً عن بلاد
برائتها المهندة الصفاح	جلبت إلى الأعداء أسد غاب
ولولا الشمس ما ظهر الصباح	وقدتهم فكان لهم ظهور
وفيه لباعك الرحب انفساح	وقفت وموقف الهيجاء ضنك

ومنها:

رأى منه أبو يعقوب فيها عقاباً لايهاض له جناح

ولنحاول المقارنة بين رسالتين أولاهما في مدح المعتضد بن عباد، وثانيتها في مدح المظفر بن الأفتس، لنرى مدى تقاربهما، ومدى صدق العاطفة فيهما، على أن المتحدث في كلتا القصيدتين هو ابن زيدون.

كتب ابن زيدون إلى المظفر بن الأفتس قصيدة منها: (1)

مليك إذا سابقته الملوك	حوى الخصل، أو ساهمته ستهم
فأطولهم - بالأيدي - يداً	وأثبتهم في المعالي قدم
وأروع لا مبتغي رفده	يخبب، ولا جاره يهتضم
ذلول الدماثة صعب الإباء	ثقيف العزيم، إذا ما اعتزم

(1) ابن زيدون، الديوان، ص 410-414

فالمظفر في رأي ابن زيدون أعظم الملوك، كريم شجاع، يعطي السائل ، ويحفظ حق الجار ، ويتسم بالفطنة والذكاء ، والإرادة القوية والتصميم، والانحدار من نسب طيب وعريق :

أبوه الذي فلَّ غربَ الضلالِ ولاءمَ شَعْبِ الهدى فالتأم

و قد حافظ أبوه على الدين الإسلامي، وجاهد من أجل نصرته، وأرغم العدو على إطاعته صاغرين:

ولاذَّ به الدين مستعصما بذمَّةِ أبلَجِ وافي الذمِّمِ

وجاهد في الله حقَّ الجها د من دان - من دونه - بالصنمِ

فلا ساميَ الطرفِ إلا أذلَّ ولا شامخَ الأنفِ إلا رَغَمِ

أما الرسالة الشعرية الثانية فهي في مدح المعتضد، يقول ابن زيدون فيها: (1)

أمولاي بُلغتَ أقصى الأملِ وسوَّغتَ دأباً نساءَ الأجلِ

وعمرتَ ما شئتَ من دولة تُقصرُ عنها طوالُ الدولِ

فأنتَ الذي عُرِّ أفعاله تحلَّى بها الدهرُ بعد العطلِ

يبدو للدارس أن عاطفة الشاعر في الرسالة الأولى أصدق، ومعانيه أقرب إلى القلب، ويمكن أن يكون سبب ذلك أن الشاعر كتب تلك القصيدة -الرسالة بهدف الوصول إلى قلب الممدوح، أما في الرسالة الشعرية الثانية فنجد فتور العاطفة، والمبالغة في المعاني، فالمعتضد بلغ شأواً لم يبلغه أحدٌ من قبل، ودولته طال أمدها حتى نساها الأجل.

أما ابن عمار فينظر إلى شخصية المعتضد من زاويةٍ أخرى، فهو يحب فيه الشجاعة والإقدام، وعدم الشره على الطعام، والاستعداد الدائم للحرب، حيث يقول: (2)

إذا ركبوا فانظُرهُ أولِ طاعن وإن نزلوا فارصده آخرِ طاعم

أبى أن يراه الله إلا مقلداً حميلة سيفٍ أو حمالة غارم

(1) ابن زيدون، المصدر نفسه ، ص 222

(2) عبد الواحد المراكشي، المعجب، ص 103.

كما امتدح الشعراء في ممدوحيهم العدل والتزام أوامر الله واجتتاب نواهيه،
فجد ابن سارة الشنتريني يخاطب القاضي أبا أمية بقوله: (1)

لَوْ أَنَّ عَدْلَكَ يَحْتَدِيهِ زَمَانُنَا لَمْ يَلْقَنَا بِالْجَوْرِ فِي اسْتِحْوَاذِهِ

ويمدح الشعراء في ممدوحيهم نصره الإسلام والمحافظة على الدين، وبذلك فهو
يستحق الملك، فهذا ابن دراج القسطلي يمدح منذر بن يحيى التجيبي (2)، بقوله: (3)

ثُمَّ أَحْيَيْتَ فَجَزَّهْمَ يَا ابْنَ يَحْيَى بِسِرَاجَيْنِ: نُورِ دِينٍ وَدُنْيَا
وَ خَلَفْتَ السَّحَابَ ظِلًّا وَجُودًا فَوَسَّغْتَ الْإِسْلَامَ سَقِيًّا وَرَعِيَا
وَتَحَلَّيْتَ مِنْ تُجَيْبٍ سِنَاءً كُنْتَ فِيهِ لِلدِّينِ وَالْمَلِكِ مَحِيَا

ومن المديح السياسي قول أبي عامر بن شهيد في رسالة يمدح فيها يحيى بن علي
بن حمود (4)، حيث يقول: (5)

أَجْرَيْتَ لِلزَّرَجِ فَوْقَ النَّهْرِ نَهْرَ دَمٍ حَتَّى اسْتَحَالَ سَمَاءً جُلَّتْ شَفَقَا
وَسَاعَدَ الْفَلَكَ الْأَعْلَى بِقَتْلِهِمْ حَتَّى غَدَا الْفَلَكَ بِالنَّاجِي بِهِ غَرْقَا
مِنْ كُلِّ أَسْوَدٍ لَمْ يُدْلِفْ عَلَى تَلَجٍ بَأَنَّ جَدَّكَ يَجْلُو صَفْحَهُ يَفْقَا

فهو يشيد بانتصار ابن حمود في المعركة التي خاضها ضد السودان بأشبيلية.

(1) ابن خاقان ، القلائد ، ص 813 .

(2) ثار في سرقسطة مدة ملوك الطوائف، وكان من عرض الجند وترقى إلى القيادة آخر دولة
بني عامر، وكان ممدحاً؛ لكونه كريماً و هب لقصاده مالاً عظيماً فوفدوا عليه فحسنت أيامه
وهتف المداح بذكره (ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص180-191؛ ابن سعيد، المغرب،
ج2، ص435.

(3) ابن دراج القسطلي، الديوان، ص 550.

(4) كان من جملة قواد سليمان بن الحكم، وولي سبته وطنجة، ثم حدث له طمع في ولاية
الأندلس، وراسل البربر فبايعوه، فزحف من سبته إلى مالقة، ثم إلى قرطبة، وقتل سليمان
المستعين وأباه الحكم، ثم ولي قرطبة وتسمى بالخلافة، إلى أن قتله صفالبة له في الحمام سنة
408هـ. (المراكشي، المعجب، ص 48-51).

(5) ابن بسام، الذخيرة ، ق1 م1 ص313 .

ولم يقتصر مديح الحكام على الرجال فقط وإنما وجدنا بعض الشعراء بوجهون مديحهم إلى النساء، فهذا ابن خفاجة يوجه مديحه إلى مريم زوجة الأمير أبي الطاهر تميم، يقول من رسالة شعرية(1):

وكفى احتماءً مكانةً و صيانةً
ذات الأمانة والديانة والتقى
ذات الجلالة والجزالة والنهي
من أسرة يتلثمون إلى الوغى
أني علقتُ بذمة من مريم
والخلق الأشرف(2) والطريق الأقوم
والبيت الأرفع والنصاب الأكرم
يوم الحفيظة بالعجاج الأقتم

فقد مدح الشاعر مريم بالتقى والعفة والنسب الرفيع، كما مدح المرابطين وأشار إلى إقدامهم في الحرب، وهم أيضاً كرماء يجيرون الطريد:

فإذا استجرت به استجرت بهضبة
مأوى الطريد بها وكنز المعدم
ويتصل بالمديح السياسي تحذير القضاة من أصحاب المكائد والدسائس وتوجيههم، ومن ذلك ما كتب به ذو الوزارتين أبو بكر محمد بن رحيم إلى القاضي أبي أمية بن عصام يمدحه فيها بالسيادة والكرم ويتخلص من مديحه إلى توجيه النصيحة وتحذيره من بعض القوم، حيث يقول: (3)

يفديك كل من الأسوى سوى نفر
يخفون ضد الذي يبدون من ملق
إن الحجارة تُلْفى وهي جامدة
علمت بغيهم، لا كان من نفر
فلا تنقهم، وكن منهم على حذر
حتى إذا قُدحتْ جاءتك بالشرر

وتبادل الملوك رسائل المودة والثناء والمديح، ومن ذلك ما كتب به المعتصم بن صمادح إلى المعتمد بن عباد، حيث يقول: (4)

شكري لبرك شكر الروض للمطر
وجاعني مخبر عنه، فقلت له:
يا واحداً علماً في كل منقبة
ونفح بشر به أذكى من الزهر
بالله قل وأعد يا طيب الخبر
جلت، ويا ثالثاً للشمس والقمر

(1) ابن خفاجة، الديوان، ص 97.

(2) حذفت الهمزة لاستقامة الوزن.

(3) ابن خاقان، القلائد، ص 355.

(4) ابن الأبار، الحلة السبراء، ص 87.

لئن حُرمتُ لقاءَ منك أشكرهُ

لقد حللت سوادَ القلب والبصر

فراجعهُ المعتمد:

أنفحةً الروضِ رقتُ في صبا السحرِ
لا، بل تحيةً مخضِ الودِّ بلغتها
أما لعمرُ أبي يحيى لقد وصلتُ
يا من وردتُ الوفاءَ الغمزَ مرتويًا
أحرزتُ سروَ السجيا ثم قارنهُ
إذا اعتبرتُ من الأخلاقِ أنفسها
عليك مني سلامٌ لا يزالُ له
فرضٌ تؤديه آصالٌ إلى بكرِ

3.3 الهجاء السياسي :

لعل أول ما يلاحظ على رسائل الأهاجي الشعرية قلة ما انتهى إلينا من تلك الرسائل، ولعل ذلك يعود إلى إعراض أصحاب المؤلفات الأندلسية عن تدوين مثل تلك الرسائل، فابن بسام يقول: "ولما صنت كتابي هذا عن شين الهجاء، وأكبرته أن يكون ميداناً للسفهاء، أجريت هاهنا طرفاً من مليح التعريض، في إيجاز القريض"⁽¹⁾ وهذا المقري لا يفضل نقل مثل تلك الأشعار لأن فيها إساءة للمهجو فهو يقول في التعريض: "وهو تلميح مليح، سامح الله الجميع."⁽²⁾

ورفض النقاد الأندلسيين للهجاء وقبولهم التعريض "مظهر من مظاهر الرقة الأندلسية، ورهافة الحس وسمو الذوق ونقاء الطبع."⁽³⁾

ويذهب جورج غريب إلى أن السبب في ضعف فن الهجاء السياسي في الأندلس عائد إلى خلو البلاد من الأحزاب، فضلاً عن أن السياسة لم تفرض على الشعراء سلطانها.⁽⁴⁾

(1) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 1 ، م 1 ، ص 544 .

(2) المقري ، نفع الطيب ، م 3 ، ص 269 .

(3) شلبي، سعد إسماعيل شلبي، دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة - مصر، 1973م، ص 47 .

(4) غريب ، جورج غريب ، العرب في الأندلس ، دار الثقافة ، بيروت، ط4، 1983 م، ص 86

ويظهر للباحثة أن رأي جورج غريب يخالف الصواب، ذلك أن الهجاء السياسي كان الأكثر شيوعاً في القرن الخامس الهجري من غيره من ألوان الهجاء وربما يعود ذلك إلى تعدد الدول، واضطراب سياسات حكامها الداخلية والخارجية مثل عدم اهتمامهم بالرعية، وتخاذلهم عن الجهاد، وإسهامهم في اضطراب الأحوال السياسية، "ومن هذه الأسباب أيضاً ما يرد إلى عوامل ذاتية أو شخصية تتمثل في فساد العلاقة بين الشاعر والحاكم كأن يبعده الحاكم عن دائرة اهتمامه أو يظن عليه بالعتاء (1)، كل ذلك كان له دور كبير في هجاء الملوك والوزراء والقضاة وغيرهم من رؤوس الحكم .

وقد يأتي الهجاء عاماً ليشمل ملوك الطوائف جميعهم، فقد هجا ابن عبدون ملوك الطوائف هجاءً مرأً، في رسالة شعرية بعث بها إلى أحد الأعيان، حيث يقول: (2)

فسلني عن ملوك الأرض تسأل خبيراً فاقض حق الاستماع

وشبه هؤلاء الملوك بأعضاء الجسد الذي أصابها المرض، فلم يعد يرجى منها الصلاح أو الخير، فقد تزايد المرض، وانتشر بحيث أصبح لا يمكن علاجه:

كأعضاء بها ألم فقلب على ضمد ورأس في صداع
ومن عصب إذا شنت حراكاً شكت بسكونها نحل النخاع

والأدهى من ذلك كله فقدان التعاون وانعدام المودة:

ويعنى لا تجود على شمال ولا تصفي المودة للذراع

وينعتهم بقلة الدين:

وعين لا تغمض عن قبيح وأذن لا تألم من قذاع

ويؤكد على رأيه في هؤلاء الملوك، ويُعد نفسه بمثابة الراعي الذي يعزم على الرحيل عن تلك المراعي المزروعة بالحنظل حتى ولو سقيت عسلاً.

فلو سقت السماء الشري (3) أرياً (4) لما احلوت مراعيه لراع

(1) أنظر: عيسى، فوزي سعد، الهجاء في الأدب الأندلسي، دار المعارف، ص 41 .

(2) ابن عبدون؛ الديوان، ص 162-163 .

(3) الشري: شجر الحنظل. (اللسان، مادة "شري").

(4) الأري: العسل. (اللسان، مادة "أري").

ومن الهجاء السياسي أيضاً، هجاء أهل مدينة بعينها، فهذا أبو عامر الأصيلي⁽¹⁾ يرسل إلى أبي محمد بن أبي الفرج⁽²⁾ رسالة شعرية يشكو إليه ما لقيه من أهل جزيرة سُقْر⁽³⁾ ويذمهم، وقد كان هجاؤه لهم ولعاملها قاسياً حتى إنه نعتهم ببني الزانية، وسلبهم صفة إكرام الضيف، الصفة التي يحبها العربي كثيراً، حيث يقول واصفاً ما لقيه من أهل هذه الجزيرة:⁽⁴⁾

كتبت إليك أوان الخروج حزينا مهيناً إلى دانية
أسائل ربّي ألا أعود إلى أرضكم مرّة ثانية
حللت الجزيرة سُحقاً لها كأنني حللت بسردانية
منعت الدخول إلى أهلها فدرت كما دارت السانية
وبت ثلاثاً بها طاوياً قرأي همومي وأحزانية
فقل لابن ذي النون ما باله يولي الحصون بني الزانية ؟

ونجد في أبيات ابن الأصيلي السابقة نغمة حزن واضحة، ممزوجة بالسخط والغضب، فقد عقد أمله للقاء بني ذي النون، ولكنه منع من ذلك فنعتهم بهذه الأوصاف الشائنة.

ويبدو أن ابن الأصيلي قد اشتد غضبه على أصحاب الحصون، فجعل يذمهم ويهجوهم، فقد حاول الدخول إلى بعض الحصون لكنه منع من ذلك، فبعث رسوله إليهم طالباً النزول عندهم، لكنهم أصرّوا على رأيهم بعدم استضافته، يقول من رسالة شعرية موجهة إلى ابن أبي الفرج:⁽⁵⁾

(1) أبو عامر محمد بن الأصيلي، من أدباء القرن الخامس الهجري، من فحول الشعراء والكتاب، كان من الشعراء الجوابين الذين لم يستقر بهم مكان (ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص857؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص444؛ العماد الأصفهاني، الخريدة، ق4، ج2، ص243).

(2) وزير المأمون يحيى بن إسماعيل بن ذي النون، وقد عهد إليه المأمون بتدبير شؤون الأخبار، والنظر في شؤون الأعمال الديوانية. (ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص171).

(3) من أعمال بلنسية إلى الجنوب منها، وتقع عند مصب نهر سُقْر على الشاطئ الشرقي للأندلس. (الحميري، الروض العطار في خبر الأقطار، ص349).

(4) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج2، ص243.

(5) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج2، ص244.

حتى إذا رُمّت دُخُولاً أبت نفسُ أبي الحجاج لي بالدخولِ
 راسلتهُ مستنزلاً داعياً فكاد أن يقطع رأسَ الرسولِ
 أكرمَ به من قائد ماجد يصلح للحرثِ ورعي العُجولِ
 لا بد لي إن عشتُ والله أن أخرى على لحيته أو أبولِ

ومهما يكن من أمر، فإن تشدد الحكام مع شعراء الهجاء لم يؤد إلى تكميم أفواههم أو إسكات ألسنتهم عن المجاهرة بمساوئهم ومثالبهم، فعبروا عن ضيقهم بهم، وكشفوا عن أوجه الفساد في سياستهم وتحدثوا عن انغماسهم في الترف والملاذات،⁽¹⁾ فهذا ابن الأصيلي في رسالة شعرية أخرى ينعى حظ ابن ذي النون وسوء بخته في اختيار قواده، يقول فيها: (2)

قل لابن ذي النون الرئيس الذي ليس له شيءٌ من البخت
 يا مالكاً يجعل قواده قوماً عدواً بالسلب واللفت⁽³⁾
 إن صار في حصن رأى أنه قد أدخل العالم في لحت⁽⁴⁾
 إن تأته في حاجة يعتذر عذر يهودٍ غدوةً السبت

ولم يكتف ابن ذي النون من منعه من الدخول إلى حصونه وإنما منعه من النزول عند غيره، يشير إلى ذلك بقوله "ولم يفهما أن منعاني لقاءهما، حتى حجباني عن سواهما": (5)

وإن امرءاً ضنت يداه على امرئ بنيل يدٍ من غيره لبخيل

ولم يتوقف الهجاء السياسي عند حد هجاء الرعية للحكام فقط، وإنما وجدناه بين الحكام أيضاً، فهذا مجاهد العامري يوجه إلى المنصور بن أبي عامر حاكم بلنسية رسالة ضمنها بيت الحطيئة: (6)

(1) انظر: عيسى، فوزي سعد، الهجاء في الأدب الأندلسي، ص 43.

(2) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج2، ص 247_248.

(3) اللفت: لي الشيء عن جهته (اللسان: مادة "لفت") .

(4) اللحت: القشر، ولحته إذ أخذ ما عنده (اللسان، مادة "لحت") .

(5) العماد الأصفهاني، الخريدة، ج2، ص 248.

(6) المقري، نفح الطيب، م4، ص 132.

دع المكارم لا ترحل لبغيتها واقعد فانك أنت الطاعم الكاسي

فرد عليه المنصور بن أبي عامر بقوله:

شتمت مواليها عبيد نزار شيم العبيد شتيمه الأحرار

وقد أشار المنصور إلى نسبه حيث أنه كان من الفتيان الصقالبة الذين يخدمون في القصور. (1)

ومن الهجاء ما يمتزج بالفخر، فهذا رفيع الدولة بن صمادح يكتب إلى أحد المرابطين وقد استأذن لحضور مجلسه فلم يؤذن له وقيل " تلك أمة قد خلت " يقول رفيع الدولة من رسالة شعرية: (2)

وكل إناء بالذي فيه راشح وهل يمنح الزنبور ما مجة النحل

سأصرف وجهي عن جناب تحلة ولو لم تكن إلا إلى وجهك السبل

فما موضع تحلته بمرفع ولا يرتضى فيه مقال ولا فعل

كما أن المتوكل بن الأفتس قد بلغه أنه ذكر بسوء في مجلس أخيه يحيى المنصور فبعث إلى أخيه برسالة شعرية، يهجو فيها من تعرض له بسوء، يقول منها: (3)

فما بالهم لا أنعم الله بالهم ينوطون بي زما وقد علموا فضلي

يسيئون في القول جهلاً وضلة وإني لأرجو أن يسوءهم فعلي

طعام لئام أم كرام برغمهم سواسية ما أشبه الحول بالقبل

كما تبادل بعض الوزراء رسائل الهجاء، لسوء العلاقات بينهم بسبب انتشار الغيرة والمنافسة والحقد بينهم، فهذا ابن عمار وقد علم أن ابن عبد العزيز وابن طاهر حاكم مرسية قد سخرا منه، يكتب إلى ابن عبد العزيز: (4)

قل للوزير وليس رأى وزير أن يتبع التندير بالتندير

(1) حسين، عبد الرزاق، الأدب في جزر البليار، دار الجليل للنشر، عمان، ط1، 1994 م، ص21.

(2) المقري، نفع الطيب، م3، ص370.

(3) ابن الأبار، الحلة السراء، ج2، ص105.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص410.

فوزارته قائمة على التزوير:

إنّ الوزارة مذ لبست رداءها
وأرى الفكاهة جُلّ ما تأتي به
بلغت دُعابتك التي أهديتها
وأظنّها للطاهريّ فإن تكن

وفقّ على التغيير و التزوير
رحماك في التعجيز والتصدير
في خاتم التأمين و التأمير
فجديرة التقديس و التطهير

ثم نجده يسخر منهما:

فرسا رهان أنتما فتجاريا
وإذا سلكت سبيله فحقيقة
وأرى بلنسية وأنت قدارها

بالقول في التقديم والتأخير
كي تتبع التصغير بالتصغير
سينالها التدمير من تدمير

وقد يهجو الشعراء المؤدبين، فقد كان في المرية مؤدباً يُسمى الوليد بن عبد الوارث، وكان يقول ببعض الآراء الفلسفية، فألف الفقيه أبو بكر بن الحسن المرادي القروي⁽¹⁾ رسالةً شعرية رداً عليه، يقول فيها: ⁽²⁾

لا درّ درّ سخافة شنعاء جاء بها الوليدُ
كفرّ تكاد له الجبال على ثقالتها تميدُ
قل للرئيس الأحوصي ورأيه أبدأ سديد
حمق المؤدّب فادّعى من بينهم مالا جيد
مكنتموه من الكلام وجهله أبدأ يزيد

ويحرض قومه على تقييده بالسلاسل كي لا يزيد طغياناً:

وتركتموه مسرحاً أين السلاسل والقيودُ ؟
أغلا الحديد بأرضكم أم ليس يمكنه الحديد

4.3 رثاء الحكام:

(1) شاعر وفقية ، تجول في دول ملوك الطوائف ، وعمل لدى المرابطين في سلك القضاء ، وتوفي في بلاد الصحراء ، (ابن بسام ، الذخيرة ، ق 4 ، م 1 ، ص 364) .
(2) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 4 ، م 1 ، ص 366 .

يعد شعر الرثاء من أصدق الموضوعات الشعرية؛ لأنه يعبر عن خلجات النفس عند إحساسها بهول المصائب، وفداحة الخطب بوفاة قائد أو زعيم أو صديق، وغير ذلك فصاغت مشاعرها وخلجاتها في أبيات شعرية تفيض حسرة وألماً.

وتقسم المراثي إلى ثلاثة أقسام:

أ- رثاء الحاكم نفسه:

ونجد ذلك في رسالة شعرية، بعث بها المعتمد بن عباد إلى ابن حمديس الصقلي، ندب فيها نفسه، وبث حزنه وألمه، ورثى دولته الزائلة، حيث يقول: (1)

غريب بأرض المغربين أسير سيبيكي عليه منبر وسرير
وتندبه البيض الصوارم والقنا وينهل دمع بينهن غزير
سيبيكيه في زاهية والزاهر الندى وطلابه والعرف ثم نكير

يبين الأمير الشاعر في أبياته السابقة أن ما حصل له، هو زوال ملك من ملك عظيم الشأن، فبكاء المنابر والقصور وندب السيوف وبكاؤها يدل على عظم المصيبة وهول الكارثة.

ونجد الشاعر يتأسى بغيره من الصالحين، الذين قضى عليهم الدهر، فهو دهرٌ فاسد ليس للكرام فيه مكانة أو محل:

مضى زمن والملك مستأنس به وأصبح عنه اليوم وهو نفور
برأي من الدهر المضلل فاسد متى صلحت للصالحين دهور
كما صور السماء تبكي عليهم حزناً لما حصل لهم من هوان وذل في الأسر:
أذل بني ماء السماء زمانهم وذُلُّ بني ماء السماء كثيرُ
فما ماؤها إلا بكاء عليهم يفيض على الأكباد منه بحور

ونجده يقلد القدماء في الوقوف على أطلال سعادته وملكه الزائل، ويتمنى أن تعود ليلة من تلك الليالي في قصوره (الزاهر، الزاهي، سعد السعود):

فيا ليت شعري هل أبيتن ليلة أمامي وخلفي روضةً وغديرُ

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 98-99.

بمنبئة الزيتون موروثة العُلا تغني قياناً أو ترنُّ طيورُ
بزاهرها السامي الذرى جاده الحيا تشيرُ الثريا نحونا ونشيرُ
ويلحظنا الزاهي وسعدُ سُعوده غيورين والصبُّ المحبُّ غيورُ

ثم يخفف على نفسه وقع المصيبة وهولها، مبيناً أن قدرة الله ومشينته فوق كل شيء، مشيراً إلى الآية: ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول كن فيكون﴾ (1)
تراه عسيراً أم يسيراً مناله ألا كلُّ ما شاء الإله يسيرُ
ويختم الشاعر أبياته مسلماً بقضاء الله وقدره، موضحاً أن ما حدث في أشبيلية هو الموت الذي لا حياة بعده:

قضى الله في حمصَ الحمام وبعُثرت هنالك منا للنشور قُبورُ
ب- رثاء الشعراء للحكام:

منها على سبيل المثال الرسالة الشعرية التي يراجع بها ابن حمديس الصقلي على الرسالة الشعرية وصلته من المعتمد بن عباد، يقول في مطلعها: (2)
جرى بك جدُّ بالكرام عثورُ وجار زمانٌ كنت فيه تجير
تجيء خلافاً للأمر أمورتنا ويعدلُ دهرٌ في الورى ويجورُ
أتياس من يومٍ يناقضُ أمسه وزهرُ الدراري في البروج تدورُ
وقد تنبه الأقدار بعد خمولها وتخرج من تحت الخسوف بدورُ
بداية موقفه من الشاعر تحمل كثيراً من معاني العزاء والتخفيف عن النفس، والعمل على بعث بريق أمل مفقود، ففي تنبه الأقدار بعد خمولها وخروج البدور بعد كسوفها، ما يؤكد أن هذه ليست النهاية، وهذه محاولة من الشاعر للحث على الصبر، إذ طالما وجد الأمل فالصبر موجود.

وفي محاولة من ابن حمديس لتضميد الجراح يبين أن أسره فخر وعز للأسرى:
أعز الأسارى أن يُقال محمد: غريبٌ بأرض المغربين أسيرُ

(1) سورة يس ، آية 82 .

(2) ابن حمديس، عبد الجبار بن حمديس الصقلي (ت 527 هـ / 1132م)، ديوان ابن حمديس الصقلي، صححه وقدم له إحسان عباس، دار صادر بيروت، ص 268 .

وفي البيت الأخير أجمل معاني المديح للمرثي إذ إن في تعداد مناقب المعتمد رثاء له، حيث يقول:

لقد صنت دين الله خير صيانة كأنك قلب فيه وهو ضمير

ومن رثاء الملوك والحكام قصيدة بعث بها ابن زيدون إلى أبي الوليد بن حزم يرثي أباه أبا الحزم بن جهور، وفي نفس الوقت يهنئه بولاية الحكم، حيث يقول: (1)

ألم تر أن الشمس قد ضمَّها القبرُ وأن قد كفَّنا - فقدَّها - القمرُ البدرُ
وأنَّ الحيا إن كان ألقَّ صوبه فقدَّ فاضَّ لآمالٍ في إثره البحرُ
إساعةُ دهرٍ أحسنَ الفعلَ بعدها وذنُبُ زمانٍ جاءَ يتبعهُ العذْرُ

ويرى الشاعر أنه بوفاة أبي الحزم فقد الرجال الذخائر:

"أبا الحزم" قد ذابت عليك من الأسى قلوبٌ منهاها الصبرُ، لو ساعدَ الصبرُ
تهونُ الرزايا بعدُ وهي جليَّةٌ ويُعرفُ مذْفارقتنا الحادثُ النكرُ

ويحاول الشاعر أن يخفف عن أبي الوليد نكبته فيذكره أن المنية هي نهاية كل مخلوق، مهما طال به العمر، فلا يجب الحزن مهما عظم المصاب:

فلا تبعدن!! إن المنية غايَّةٌ إليها التناهي، طال أو قصر العُمرُ

ويحث ابن زيدون أبا الوليد على الصبر، ويبين له أن البكاء على الميت يضيع الأجر والثواب:

وما الرزءُ في أن يُودعَ التُربَ هالكٌ بل الرزءُ كلُّ الرزءِ أن يهلكَ الأجرُ

ويثني الشاعر على أبي الوليد، فلا حاجة له لنصر، بل الله عز وجل خير ناصر وخير معين:

ومَا بِكَ مِنْ فَقْرٍ إِلَى نَصْرِ ناصِرٍ كفتك من الله الكلاءة والنصرُ

وممن رثى أبا الحزم بن جهور الشاعر ابن الحناط في رسالة شعرية بعث بها إلى ابنه أبي الوليد بن حزم يعزيه بوفاة أبيه، ويهنئه بتوليته الإمارة، حيث يقول: (2)

إنَّا إلى الله في الرزءِ الذي فجعا والحمدُ لله في الحكم الذي وقعا
ولى أبو الحزم عن ملكٍ تقلده أبو الوليد فعزَّ الملكُ وامتنعا

(1) ابن زيدون ، الديوان ، ص 523 - 529 .

(2) ابن بسام ، الذخيرة ، ق 1 ، م 1 ، ص 449 .

أب كريم غدا الفردوس مسكنه وابن نجيب تولى الأمر واضطلعاً

لله شمس ضحى في اللحد قد غربت فأعقت قمراً بالسعد قد طلعا

لا نلمس في أبيات ابن الحنات السابقة شيئاً من الصدق العاطفي، فنحن نحس بخفوت العاطفة واضمحلالها، لكننا في المقابل ندرك براعته، وحذقه، وقدرته على التأليف بين المتناظرين الرثاء والتهنئة، فقد جعل الشطر الأول من كل بيت لرثاء الحاكم الراحل وندبه، والبكاء عليه، أما الشطر الثاني من كل بيت فحملته معاني التهنئة والتبريك والمديح للحاكم الجديد.

ج- رثاء الدول:

رثى الشعراء سقوط دول ملوك الطوائف، بقصائد تفيض لوعةً وحزناً ومن الرسائل الشعرية المرسلة في هذا الشأن، رسالة شعرية لابن الجدي، بعث بها من ميورقة إلى عمه، حيث يقول (1):

كتبتُ وقد غالت عزائي أشجانُ وقد شرقت بالدمع والدم أجفانُ

وقد وقدنتي نبأه الخطب لم تصخُ إلى مثلها في سالف الدهر آذانُ

تصاممتُ عنها مستريحاً إلى المنى وقلتُ عساها في الأحاديث بهتانُ

إلى أن جلاها الصدقُ عندي فهذني وإن قليلاً أن تضعضَ أركانُ

ففي استخدام الشاعر للفظة (غالت) ما يدل على أن القتل كان غدرًا واحتيالاً، وإذا شرقت العين بالدمع والدم ما يشي بعظم المأساة، و لهولها لم يُسمع بمثلها على سالف الأزمان، وقد تمنى الشاعر كما تمنى غيره أن يكون ما سمعوه كذباً إلى أن تأكد صدق النبأ، وقد عدَّ الشاعر ما حدث من علامات يوم القيامة، بقوله:

كذا فارقبوا يومَ القيامةِ بغتةً فيهلك شيطانٌ ويُهتك سلطانُ

ويلتمس لما حلَّ العذر:

همُ حسنوا بالدهر ظناً فخانهم وما الدهرُ إلا ناقضُ العهدِ خوانُ

ويعزي الشاعر نفسه، بما حدث لعلي بن أبي طالب وعثمان بن عفان وغيرهم

من السابقين واللاحقين:

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص559.

ولولا الأسي لم يبدُ في العيش عذرة وحسبي ولم أبعِد عليّ وعثمان
وكم قبلها من مثلها ثم بعدها وليس عليّ دهرٍ جنى ذاك عدوان
ويلهج الشاعر بالبكاء، ويتمنى على الله أن يلهمه الصبر والسلوان :

وبين ضلوعي والجفون تنازعُ على الرسم من جسمي فسحباً ونيرانُ
ولا شك أني بين هاتين طائِحَ فيغرق طوفان ويحرق بركان
تقسّم صبري والحوادث جمّة ملوك وجيران وقوم وأوطان
لعل الليالي، والليالي لواعبُ ستأتي التي فيها عن الغمّ سلوان
وفي الفم ماء مانع من زيادة وعند الذي يهدي كتاب تبيان
فطورك في إرعاء سمعك ساعة لتسمع ما شطت به عنك أزمان
وراجع ولو في صفحة الماء راقماً وطالع فيكفيني من الطرس عنوان
5.3 الرسائل الشعرية الفكاهية:

يُعد الشعر الفكاهي نوعاً من التسلية والترويح عن النفس، وإضحاك الآخرين ؛
جلباً للمتعة، وتحصيلاً للفائدة في آن واحد ، ومن خلال تلك الأشعار يدلي الشاعر
برأيه أو ينقض بعض القضايا الاجتماعية ، أو يشكو حاله بأسلوب ساخر ومضحك.
وتقسم الرسائل الشعرية الفكاهية إلى قسمين:

أ- الرسائل الشعرية في السخرية والتهكم: وهي تُقدم نقداً لاذعاً وسخرية تهكمية
بارعة، وهي تعد أرقى أنواع الفكاهة لما تحتاجه من ذكاء حاد وخفة ومكر وبراعة
وقدرة على الحيلة والخيال، فهي توجه إلى شخص أو أمر ما لتحوّله إلى أضحوكة
من خلال ترصد المثالب ونفي المحاسن. (1)

ومن الأمثلة على ذلك الرسالة الشعرية التي بعث بها المعتمد بن عباد إلى ابنه
الراضي، وكان قد أمره بالخروج لملاقاة العدو، فأظهر التمارض، وانصرف إلى
المطالعة، فكتب إليه المعتمد رسالة أولها: (2)

الْمَلِكُ فِي طَيِّ الدَّفَاتِرِ فَتَخَلَّ عَنْ قَوْدِ الْعَسَاكِرِ
طُفَ بِالسَّرِيرِ مُسَلِّمًا وَارْجِعْ لِتَوْدِيعِ الْمَنَابِرِ

(1) القيسي ، أدب الرسائل ، ص 233 .

(2) المعتمد بن عباد ، الديوان ، ص 46 .

يسخر المعتمد من ابنه مبيناً له أن الملك في المطالعة وقراءة الكتب لا الحرب
 وحماية الثغور، ثم يجعل من سخريته شكل أقصوصة تهكمية، فشخص قصته
 هم (المحابر، والأقلام، والحبر، وجيش المعارف)، فالمعارف جيش جرار يصعب
 هزيمته، إلا أن الراضي تكفل بذلك، أما الحبر فهو مقاتل شجاع لم يجد كفواً له
 إلا الراضي ابن المعتمد، أما المحابر فلها ثغور أنتصر فيها:

وازحف إلى جيشِ المعَا رفِ تقهرِ الحبرِ المُغَامِرِ

واطعنَ بأطرافِ اليرَا عِ نصرتَ في ثغرِ المحَابِرِ

وتبلغ لديه السخرية غايتها، فهو أعظم عظماء التاريخ، أحاط بكل العلوم من
 فلسفه ونحو وعروض وفقه وعلم كلام، يقول المعتمد:

أو لستَ رُسْطَالِيْسَ إنْ ذُكِرَ الفلاسفةُ الأكَابِرُ

وكذاك إنْ ذُكِرَ الخَلِيلُ فأنْتَ نَحْوِيٌّ وشَاعِرُ

وأبو حَنِيْفَةَ ساقِطٌ في الرأْيِ حينَ تَكُونُ حَاضِرُ

من هَرْمَسٍ، من سيبويهِ ، من ابنِ فُورَكٍ،؟؟ إذ تناظر

هذِي المكارمُ قد حويهِ ، فكن لمن حاباك شاكِرُ

وتتبع السخرية في الأبيات السابقة من محاولة رفع مستواه إلى حد لم يبلغه
 العلماء الذين ذكروهم، وهذا قمة التهكم والسخرية، ثم تبلغ به السخرية إلى حد
 الهجاء، حيث يقول:

واقعد فإنك طاعمٌ كاسٍ وقل هل من مُفَاخِرِ

وهذا إشارة إلى بيت الحطيئة (1):

دَعِ المكارمِ لا ترحلِ لبُغيتِها واقعد فإنك أنت الطاعمُ الكاسي

وفي رسالة المعتمد السابقة عرضٌ لكثيرٍ من المعارف والعلوم؛ هدفها إبراز
 خلفية المعتمد الثقافية ومعرفته للعلوم وأشعار العرب، وتدريب ابنه الراضي على
 المراسلة وقول الشعر.

(1) الحطيئة ، جرو ل بن أوس العبسي (ت45هـ/665) ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن
 السكيت، تحقيق الدكتور نعمان محمد أمين طه ، مكتبة الخانجي، القاهرة ، ط1، 1987م،
 ص 50 .

ولابن مسعود⁽¹⁾ رسالة بعث بها إلى ابنه وقد توجه إلى المغرب وبلغه خلع عذاره في البطالة والشرب، وقد اندرجت ضمن رسالة نثرية، يقول منها: ⁽²⁾

فاشربْ على ودي وقف صافناً فعل المُحب الوامقِ الذَاكر
ولا تكن تشرب إلا على حُسن أغاني خلف الزامر

ونجد السخرية عنده أقرب إلى التقرُّع والتأنيب:

وزد جفاءً لا تكن ناسياً فهو من المستطرف النادر

وأسلوبه في السخرية والتهكم يتم بتقديم النصائح، فهو يدعو إلى أن يبقى على حال من الجفاء والقطعية؛ كي يصبح مجالاً للشماتة والسخرية، كل ذلك في إطار السخرية اللاذعة، يقول بعد أن يدعو إلى الأخذ بأسباب القطعية؛ فيصل إلى مرحلة من اليأس:

حتى تُرى أملسَ طاوي الحشا قُرّة عينِ الشامتِ الساخر

بـ الرسائل الهزلية الفكاهية: وهي الرسائل التي يكون الهدف منها الإضحاك وبت روح الدعابة والترويح عن النفس، بخلاف رسائل السخرية التهامية التي تهدف إلى التقرُّع والتأنيب بشكل أساسي.

ومن الأمثلة على هذا اللون رسالة لأبي عبد الله بن مسعود بعث بها إلى أحد الوزراء، وقد أهدى إليه هذا الأخير جارية، فأرسل له هذه الرسالة على لسان الجارية، يقول منها: ⁽³⁾

إني بالله وبالوزير أدفَعُ ما حلَّ من المحذُور
وهبتني لأوحدٍ منقطعٍ في القبح والفقرِ خفيّ الموضع

وتشكو الجارية حالها مع ابن مسعود، حيث أنها تعمل من أجل تحصيل المال، وتوجه عتاباً شديداً للوزير لمنحه إياها، يقول على لسانها:

⁽¹⁾ هو أبو عبد الله محمد بن مسعود، كان ظريفاً، كثير الهزل في نظمه ونثره، اتبع نهج محمد بن حجاج بالعراق. (ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص549؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص34).

⁽²⁾ ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص552.

⁽³⁾ ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص553-555.

ألا وهبتي لشخص تاجر ولم أكن عند فقير ماجد
أوليتني كنت لبعض الجند فربما حاز نفيس المجد

ويشكو أيضاً كساد شعره، ولكن على لسان الجارية:

قد كسدت آدابه والشعر فما له عند البرايا قدر

ويقدم ابن مسعود لنفسه صورة في قمة الإضحاك والهزل، يقول:

ولو تراه سائراً للسوق إذا بدا في كسوة الغرنوق

مشمراً في الطين عن ساقيه مداولاً عصاه في كفيه

يأخذ في التعبير والإزهاد منكشاً في طلعة الصياد

فمرة يعطي وألفاً يمنع ومرة يمشي وعشراً يقع

فقد قدم الشاعر نفسه في صورة كاريكاتورية، كسوته بالية، وقد ظهر مشمراً عن ساقيه خوفاً من الطين، متعثراً في مشيته، محرماً لعصاه، يستدر عطف المحسنين، ويصور منزله بأسلوب مضحك لكنه يبعث على الحزن في نفس الوقت، ويبدو أن

القصد من ذلك التأثير في نفس الوزير، يقول:

ولو ترى يا ذا الندى مثواه لقلت سبحان الذي سواه

يا شوقنا فيه إلى قنديل وتوقنا أيضاً إلى منديل

ويستمر في تلك الأرجوزة على نفس المنوال من السخرية والتهكم والإضحاك في تصوير حال تلك الجارية.

أما الجزار السرقسطي فإنه يصور مهنته بأسلوب مضحك، مثير للسخرية والتهكم في رسالة بعث بها إلى الفضل بن حسداي مراجعاً له على رسالته التي عاتبه فيها على ترك الشعر والعودة إلى مهنة القصابة، يقول مفضلاً مهنته على بقية المهن: (1)

تعيب عليّ مألوف القصابة ومن لم يدر قدر الشيء عابه

ولو أحكمت منها بعض فنٍ لما استبدلت منها بالحجابه

لعمرك لو نظرت إليّ فيها وحوالي من بني كلب عصابه

لهالك ما رأيت وقلت هذا هزيرٌ صير الأوضام غابه

(1) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن وعمدة المحاسن، ص 157 - 163 .

ويتفنن الشاعر في عرض محاسن مهنته بأسلوب ساخر، فيصف مهنته أجلاً
وصف، في معرض المباهاة، وكأنه يسطر ملحمة من ملاحم القتال والبأس، بأسلوب
بارع ولغة رشيقة، حيث يقول: (1)

إذا ما نحن نازلنا قبيلاً رأيت الموت قد أمضى حرابه
فتكنا في بني العنزي فتكاً أقر الذعر فيهم والمهابة
أبدنا شيبهم ومتى ظفرنا بغير شب لم نرحم شبابيه
وهل جمل بدا إلا حملنا عليه حملة هتكت حجابيه
ولم نقلع عن الثوري حتى مزجنا بالدم القاني لعابه

عند قراءة رسالة السرقسطي هذه، نجد أن فيها نوعاً من الأنفة والكبرياء، صحيح
أنه دافع عن مهنته بطريقة مضحكة، إلا أن نفسه الأبية رفضت أن يرى في موقف
المستجدي بالشعر، ولو عدنا إلى ديوانه لتأكد قولنا، ذلك أنه لم ينظم في المديح إلا
ثلاث قصائد، كما أننا نجده يعلن سبب إقلاعه عن قول الشعر ويحمل أصحاب الشأن
مسؤولية رجوعه إلى مهنته القديمة، حيث يقول:

لعمرك ما تركت الشعر حتى رأيت البخل قد أمضى شهابه
وحتى زرت مشتاقاً حميمي فأظهر لي التجهم والكآبه
وظن زيارتي لطلاب نيل فنافرني وغلظ لي الحجابيه

ويحمل السرقسطي على الشعر؛ لأنه أصبح دون قيمة في رأيه:

إذا ما شئت أن تُشئنا فننظم فريضاً والتمس فيه الإثابة

وكشفت لنا الرسالة عدة أمور منها اشمئزاز المجتمع من العمل في بعض المهن،
ومنها مهنة القصابة؛ لذلك انبرى الشاعر للدفاع عنها والتقليل من شأن الشعر.
وتعد رسالة السرقسطي هذه بمثابة وثيقة اجتماعية، تصور أحوال المجتمع من
فقر أو استخدام الشعر للاستجداء، وعفة نفوس بعض الشعراء، وبخل بعض
أصحاب السلطان في تقديم العون لمساعدة الشعراء.

6.3 الوصف:

(1) الجزار السرقسطي ، المصدر نفسه ، ص 41 .

هَزَّتْ بِدَائِعِهَا عِطْفِيَّ مِنْ طَرْبٍ لِحُسْنِهَا هِزَّةَ الْمَشْغُوفِ لِلذِّكْرِ
كَأَنَّمَا خَامَرْتَنِي مِنْ بَشَاشَتِهَا رَاحٌ وَسُكْرٌ بِلَارَاحٍ وَلَا سُكْرٌ

وتكتشف لنا هذه الرسالة عن مدى السعادة والسرور الذي يتركه المديح في نفس الممدوح، وهذا بدوره دافع قوي إلى المراجعة لتوجيه الشكر، ووصف الأثر الذي تركته الرسالة الشعرية في النفس.

ومن الرسائل الشعرية ما جاء في وصف النساء وصفاً ممزوجاً بنوع من الغزل الرقيق، ومن ذلك الرسالة الشعرية الذي بعثها أبو عامر ابن مسلمة إلى أبي جعفر بن الأبار⁽¹⁾ حيث يقول⁽²⁾:

قل لأبي جعفر المنتقى من سرّ قحطان وخولان
أنظر إلى الظبي الأنيق الذي يختال في أبراد إحسان
كأنما مقلته بابل خصت بسحر الإنس والجان
كأنما شارب هبهجة زمرّد من فوق مرجان
كأنما أردافه عالج وقد غصن من البان

ومن ألوان الوصف في الرسائل الشعرية وصف الطبيعة، وقد احتل هذا اللون حيزاً كبيراً من الرسائل الشعرية، ولعل ذلك يعود إلى أن كثيراً من الرسائل الشعرية كانت تنطلق من البساتين والرياح ومجالس اللهو، عدا ذلك فطبيعة الأندلس جذابة، وظلالها وارفة، وسماؤها صافية كل ذلك كان دافعاً للشعراء على تقديم صورة للبيئة من خلال تلك الرسائل، فالبيئة من أعظم العوامل المؤثرة في الأدب، بل هي في

(1) هو أحمد بن محمد الخولاني الإشبيلي، أبو جعفر، من شعراء المعتضد المحسنين المتقنين، كان كثير الشعر توفي سنة 433 هـ/1041م، (ابن سعيد، المغرب 1 ج، ص 258؛ ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 135؛ الحميدي، الجذوة، ص 115، الضبي، بغية الملتبس، ص 167، ترجمه رقم 364).

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 111.

واقع أمرها، وقوة وقعها تعد خالقة بعض فنونه، مكونة أكثر عناصره، حيث تخلع عليه جميع ألوانها، وتهيبه كل مناظرها، وتحرمه ما حرّمته وتمنعه ما منعه (1).
ومن الرسائل الشعرية التي جاءت جميع أبياتها في وصف منظر الربيع رسالة شعرية لأبي بكر بن نصر (2) بعث بها إلى أبي الوليد الحميري فقد أدهشه منظر الربيع ، وتمنى أن يكون صديقه إلى جانبه في تلك الساعة ؛ ليحس بنفس الإحساس، ويشعر بنفس الشعور ، فنجدّه يصف المنظر بدقه ليغريه للخروج من أجل الاستمتاع وقضاء أوقات الفراغ ، حيث يقول (3):

أنظرُ نسيمَ الرّوضِ رقَّ فوجهُه لك عن أسرته السريّة يسفرُ
خضلُ بريعانِ الربيعِ وقد غدا للعين وهو من النضارة منظرُ
وكأنما تلكَ الرياضُ عرائسُ ملبوسهنّ مُعصفرٌ و مزعفرُ
أو كالقيانِ لبسنَ موشي الخلى فلهنّ من وشي اللباسِ تبخرُ

ولم يكتف الشاعر بوصفها بالعرائس اللواتي لبسن الألوان الزاهية، أو حتى الجواري اللواتي يفخرن بملبوسهن الجميل ، وإنما رأيناه يُعطّل المسك من رائحته الزكية ويسم تلك الرياض بها :

يتعطّل المسكُ الذكي لعرفها وبه الزمانُ وحسنه يتعطرُ
مصنوفة أنماطها ممدودة حبراتها تبدو إليك وتظهرُ
فكأنما صنعاؤُ أهدت وشيها ورمّت مطارفها الطريفة عبقرُ
حسنٌ يُقدّرُ في الربيع ولا ترى ذا الحسن إلا في الربيع يُقدّرُ

ثم ينهي الشاعر أبياته بالطلب إلى صديقه أن يرتاد تلك الرياض بنزهة جماعية؛ يقول:

فاسمح لصحبك أن ترود رياضها معهم فإن عيونهم بك تنظرُ
مهّد لهم نحو البطاح نزاهة غراء تزهى بالسماح وتفخرُ

(1) قناوي ، عبد العظيم علي ، الوصف في الشعر العربي ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي - مصر ، ط 1 ، 1949 م ، ج 1 ، ص 8 .

(2) أبو بكر بن نصر ، من أهل الأدب بأشبيلية (الضبي ، البغية ، ص 520) .

(3) الحميري ، البديع في فصل الربيع ، ص 31-32 .

ووصف الشعراء الأماكن، ومنها ما جاء في رسالة شعرية لابن عمّار في وصف
 حصن شقورة وحصانته، بعث بها إلى الفضل بن حسداي، حيث يقول: (1)
 وحشٌ تناكرتِ الوجوهُ بهِ حتى استربتُ بصفحةِ البدرِ
 متجبرٌ سالَ الوقارُ علي عطفيه من كبرٍ ومن كبرِ
 فهو ضخم، كما أنه شاهق العلو:

عالِ كأن الجن إذ مرَدَتْ جعلتُهُ مرقاةً إلى السرِّ

كما وصف الشعراء في رسائلهم الشعرية الأقاليم، ففضلوا مدينة على أخرى،
 فنجد أبا عبد الله محمد بن مسلم يصف قرطبة مفضلاً إياها على جميع مدن الأندلس،
 فهي تمتاز بسواد ليلها ووضوح نهارها وتبلجه، وأشعة شمسها الذهبية، وقطرات نداها
 التي تشبه الدرر، وماء نهرها الفضي، كل تلك صفات مدينة أحبها الشاعر فأفاض
 في وصفها وأبدع، حيث يقول: (2)

سقى جديداً من الأيامِ قرطبةً ماءُ الشبابِ وريقُ الباردِ الخصرِ
 لليلِ فيه سوادٌ يستهَامُ بهِ كأنهُ في سوادِ العينِ و الشعرِ
 وللنهارِ سناً يحكي تَبَلُّجَهُ نورَ البصيرةِ مقروناً معِ البصرِ
 كأنما شمسها تحتَ الغمامِ سناً وجةً تنفسَ في مرآتهِ نَضْرِ
 والطلُّ فيها غداةَ القطرِ تحسبُهُ حلياً سقى زَهَرَ اللبّاتِ بالدرِّ
 وصفحةُ النهرِ الفضيِّ مبسمةُ في روضها مثل خيطِ الفجرِ في السحرِ

وقد تبادل الشعراء الهدايا سواء في المناسبات والأعياد أو في غيرها ، وقد اعتاد
 الشعراء إرفاق هداياهم بمقطوعات شعرية في وصف هداياهم وإبراز محاسنها ،
 ولعل ذلك يعود إلى رغبة الشعراء في إبراز قدرتهم على وصف الهدية ؛ لأنه من
 الطبيعي أن يرد الشاعر في الجهة المقابلة على مقطوعته الشعرية في الوصف أيضاً
 معارضاً لها ، ومن يعود إلى مصادر الأدب الأندلسي يجد كثيراً من الرسائل
 الشعرية التي تمثل هذا الجانب خير تمثيل ، نذكر منها على سبيل المثال الرسالة

(1) ابن بسام ، الذخيرة،ق2،م1،ص 401-402 .

(2) ابن بسام ، الذخيرة،ق3،م1،ص444-445 .

الشعرية التي كتب بها أبو بكر بن القوطية⁽¹⁾ إلى الوزير أبو عامر بن مسلمة، حيث يقول⁽²⁾:

قُلْ لِرِيحَانَةِ الْعَلَا وَالْمَكَارِمِ وَالكَرِيمِ النَّجَارِ وَابْنِ الْأَكَارِمِ
قَدْ بَعَثْنَا إِلَيْكَ يَا خَيْرَ نَاشٍ بِالذَّنَائِيرِ فَوْقَ مَحْضِ الدَّرَاهِمِ
بِبَهَارٍ يَحْكِي جَمَالَكَ حُسْنًا وَحَكَى عَرَفَكَ الذَّكِيَّ لِنَاسِمِ
يَتَشَكَّى الظَّمَا وَفِي يَدِكَ الرَّي يَ فَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ كُنْتَ ظَالِمِ
دُمْتَ لِلْمِهْرَجَانِ وَالْعِيدِ وَالنِيْمِ رُوزِ الْفَأْمِنِ الْحَوَاثِ سَالِمِ

فأجاب الوزير أبو عامر بن مسلمة بديهة بأبيات أبرز فيها قدرته على وصف الزهور، وحاول إظهار تفوقه في ذلك، حيث يقول :

فِي النَّرْجِسِ الْغَضُّ شَبْهٌ لِإِخْفَاءِ بِهِ لِلنَّيِّرِينَ يُرَى فِي طَالِعِ الزَّهْرِ
فَصُفْرَةُ الشَّمْسِ قَدْ رَدَّتْهُ صُفْرَتَهَا وَقَدْ مُبْيِضَتْهُ مِنْ صَفْحَةِ الْقَمَرِ
كَأَنَّ يَاقُوتَةً صَفْرَاءَ قَدْ طُبِعَتْ فِي غُصْنِهِ حَوْلَهُ سِتٌّ مِنَ الدَّرْرِ
حُسْنٌ يَدُلُّ عَلَى إِتْقَانِ صَانِعِهِ سُبْحَانَهُ مَبْدَعِ الْأَخْلَاقِ وَالصُّورِ

لقد أبدع الشعراء الأندلسيون في فن الوصف إبداعاً ملموساً، متأثرين بالطبيعة الأندلسية تأثراً واضحاً، مع ما تميز به الشاعر الأندلسي من رهاقة الحس، ورقة الشعور، وجمال التعبير، فجاءت أوصافه لأشياء مختلفة مأخوذة من البيئة الأندلسية، مثل وصف الأزهار، ووصف الرقاق الشعرية المرسلة على شكل رسالة، ووصف الأماكن والحصون والمدن، وما إلى ذلك من أوصاف أخرى.

7.3 الحكمة:

الحكمة هي خلاصة تجارب الحياة الواقعية، يستلهمها قائلها من الثقافة العامة، والتجارب اليومية، مختصرة بقدر المستطاع، جلياً للفائدة، وتقدم الحكمة النصائح والتوجيهات المفيدة التي تدل على صبرٍ طويل وعلمٍ غزيرٍ وتجاربٍ كثيرة.

(1) أبو بكر بن القوطية ، صاحب الشرطة ، من أهل أشبيلية ، أديبٌ شاعر ، من أهل اللغة والنحو ، وله سلفٌ في الأدب . (الضبي ، البغية ، ص 519 ؛ ابن خاقان ، المصمخ ، ص 288)
(2) الحميري ، البديع في فصل الربيع ، ص 108 .

" وهذه المقدرة لا تتأتى إلا لشخصيه واعية، خصبة ذات ثقافة واسعة عميقة، بليغة، مجرّبة، عاركت الأيام وعاركتها، فأذاقتها من أمنها وخوفها، من فرحها وحزنها، حلوها ومرها، وأكسبتها خبرة ودراية في الناس، وفي الحياة، شخصية ذات حواس مرهفة، وإحساس دقيق فكلما ازدادت تجارب الأديب، واتسعت ثقافته، ونمت وكثرت أفكاره، أصبح قادراً على الابتكار والتوليد ". (1)

فهذا ابن الحداد الواديّاشي يعطينا خلاصة تجربته مع الدهر في رسالة شعرية، حيث يقول (2) :

الدهرُ لا ينفك من حدثانه والمرءُ منقادٌ لحكم زمانه

إن من يقرأ هذا البيت مرة أخرى يستذكر سريعاً قصيدة أبي ذؤيب الهذلي في رثاء نفسه و أبنائه الخمسة، منها قوله: (3)

والدهر لا يبقى على حدثانه جون السراة له جدائدُ أربعُ

وقد جاءت قصيدة أبي ذؤيب الهذلي بينة أكيدة على فهمه للحياة فقد سقطته مرارة الفراق _ فراق أبنائه _، فجاءت أبياته تفيض حزناً، و ابن الحداد أيضاً، نجد أبياته تفيض حسرة وألماً لحكم الزمان على البشر.

فدع الزمان فاتنه لم يعتمد بجلاله أحداً ولا بهوانه

كالمزن لم يخصص بنافع صوبه أفقاً ولم يختر أذى طوفانه

ويستمد حكمته من إيمانه بالله عز وجل، فكل شيء يشير بمشيئة الله عز وجل.

لكن لباريه بواطن حكمة في ظاهر الأضداد من أكوانه

كما يستمد الحكمة أيضاً من التجارب الكثيرة التي خاضها، مع طول معرفته للحياة:

وعلمت أنّ السعي ليس بمنجح مالا يكون السعد من أعوانه

(1) الكيلاني، ابن شرف القيرواني "حياته وأدبه"، ص 125.

(2) ابن الحداد، شعر ابن الحداد، ص 93.

(3) ديوان أبي ذؤيب الهذلي، شرحه وقدم له ووضع فهارسه سوهام المصري، عني بمراجعته ياسين الأيوبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1، 1998 م، ص149.

والجدُّ دون الجدِّ ليس بنافعٍ والرمحُ لا يمضي بغير سنانه
ومع ذلك فهو يشير إلى السبب الذي أدى به إلى السقوط في تلك الهوة، ولم يعد
لنجمه ظهور أو بروز:

وسما إلى الملك الرضا ابن صمادح فإداني بالسخط من رضوانه
وهوى بنجمي من سماء سنائه وقضى بحطي من ذرا سلطانه
ويشيد أبو جعفر بن أحمد بالكرم والجود، ويدعو إليهما، لما فيهما من نشر لطيب
الذكر، فقد يُذم الكريم النسب لبخله، ويحمد الخسيس لجوده، يقول: (1)

ولم يرُ مثل الجود للمرء حلةً وهل يستوي قدراً جواد وباخل
يذمم بالبخل الشريف انتسابه ويُحمد بالجود الخساس الأراذل
وواضح أن الحكم التي استخلصها الشاعر تتخللها نزعة دينية قوية، فلن يستفيد
الإنسان إلا من ملابس أو مأكّل، أو ما يتصدق به على الآخرين، حيث يقول:

وما لك في الدنيا سوى ملابس يُرى عليك وما تعطي وما أنت آكلُ
يطيلُ حياة المرء طيبُ ثنائه وإلا فأيام الحياة قلائلُ
ونلمس في الحكمة عند ابن زيدون نوعاً من الأنفة والكبرياء، كما نجده يصدر
تلك الحكم بأسلوب استفهامي تعجبي، تدل دلالة واضحة على فهم حقيقة الحياة،
وتعجب من عدم فهم غيره لها، منها هو يخاطب عبد الله بن القلاس: (2)

ألم تعلم بأن الدهر يُعطي بعد ما يمنع
وأن السعي قد يكدي وأن الظن قد يخدع
وكم ضرراً امرءاً أمرتوهم أنه ينفع
يؤكد ابن زيدون بنعمة حزينه، أن الدهر لا يركن جانبه، وأن طبيعته المتقلبة هي
التي أدت به إلى هذه النهاية.

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص772.

(2) ابن زيدون، الديوان، ص578.

أما الراضي بن المعتمد بن عباد فيستمد حكمته من التجارب التي خاضها، فهو شاعر دارس للأدب، بطل شجاع مقاتل، وحاكم حاذق، يؤكد الراضي أن ثبات الملك بخوض المعارك وإبراز الشجاعة، حيث يقول (1):

مولاي قد أصبحت كافر بجميع ما تحوي الدفاترُ
وقلتُ سكين الدواة وظللتُ للأقلام كاسر
وعلمت أن المجد ما بين الأسنة والبواتر
والمجدُ والعلواء في ضرب العساكر بالعساكر
لا ضرب أقوالٍ بأقوالٍ ضعيفاتٍ مناكر

وقد تبين له أن العلم والأدب فرغ من فروع الشجاعة وقيادة المعارك:

قد كنت أحسب من سفاه أنها أصل المفاخر
فإذا بها فرغ لها والجهل للإنسان عاذر
لا يدرك الشرف الفتى إلا بعسأل وباتر

8.3 الرسائل الشعرية في الشعوبية:

لقد أثارت رسالة ابن غرسية التي أرسل بها إلى ابن الخراز عدة ردود نثرية، وأخرى شعرية منها الرسالة الشعرية التي رد بها الجزار السرقسطي عليه، حيث يقول: (2)

يا مفتياً بانتقاض الشرع أعصارا إن كنت ريحاً فقد لاقيت إحصارا
تحمل كلمة (مفتياً) دلالة التأويل للشرع، كما نجد في مقابلة الشاعر بين لفظي الريح والإعصار ما يدل على قوة وعظمة الردود الإسلامية على ابن غرسية الذي وصفه الشاعر بالفاجر:

كفاجرٍ منهم في أرضٍ دانيةٍ قد أظهرَ الكفرَ فيها اليوم إظهارا
يا للحنيفي مما حلَّ مالكم لا تنكرون خلاف الشرع إنكارا
هذا ابن غرسية من لاردة لهج بكل كفرٍ صريحٍ يورد النارا

(1) المقري، نفح الطيب، ج4، ص254.

(2) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن وعمدة المحاسن 174-175.

ولا مقام على هذا لمحتسب يقوم لله إعلاناً وإسراراً
ويستمر الشاعر في التحذير من ابن غرسية، فهو قد أكثر من الحديث عن
العرب، وكونه قد وصفه بالريح المدمرة لكل شيء، فهذا دليل على أثره الفاعل
وقدرته على التخريب، ومن هنا حذر الشاعر من مجاورته والقرب منه، واختار
لفظة "الجار" كونه أعلم بأحوال جاره :

فحذروا الناس من روميّ مذهبه ولا يرى أحد منكم له جاراً
إنّا نرى هذا الدين نخذله ونحن كنا له من قبل أنصاراً
ومن الفخر بالعرب رسالة عبد المنعم القروي⁽¹⁾ في الرد على ابن غرسية⁽²⁾ يقول
منها⁽³⁾:

وما حمير في الناس إلا كباذخ يعيش الوري في ظله المتمدد
هم الأنف في وجه الزمان ومجدهم على صفحات الدهر ليس بجلمد
هم ملكوا شرق البلاد وغربها وعلّوا جياذ الخيل في كل مورد
وسدوا على ياجوج لما تتابعت على العين في قطر من العين مبعد
ومنها يفخر بشجاعة شبابهم وشيوخهم، وحبهم للشهادة:

فمن أمرد في السلم في حلم أشيب ومن أشيب في الحرب في جهل أمرد
بأيديهم البيض الرقاق كأنها جداول ماء الموت قيل لها اجمدي

9.3 الأحاجي والألغاز:

انتشرت ظاهرة الأحاجي والألغاز في القرن الخامس الهجري كما تحدثنا في
الفصل الأول على يدي ابن زيدون والمعتمد، وقد استخدم بعض الأدباء الرسائل

(1) هو أبو الطيب عبد المنعم بن من الله القيرواني، قدم الأندلس وحدثت بشرقها، كان أديباً
وشاعراً توفي سنة 493 هـ/1002م. (ابن بشكوال، الصلة، ج2، ص571-572).

(2) هو أبو عامر أحمد بن غرسية، " من أبناء النصارى سبي صغيراً، وأبوه مجاهد ملك
دانية، وكان بينه وبين أبي جعفر بن الجزار صحبة أوجبت أن استدعاه من خدمة المعتصم
بن صمادح ملك المرية، ناقداً عليه ملازمة مدحه وتركه ملك بلاده "، (ابن سعيد، المغرب
، ج2 ص406)

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق 3، م 2، ص 729 .

الشعرية للتسلية والإمتاع على حد تعبيرهم، فهذا أبو عامر بن الأصيلي يقول مخاطباً ابن بسام مستفسراً عن بعض الأمور من باب التسلية: (1)

يا دوحة العلم والآداب والخُطبِ ومن غدا فارساً في حلبة الطلبِ
ماذا تحيطُ به من علم مسألة سألتها منك بين الجد واللعبِ
وردُ الخدودِ ووردُ الروضِ أيهما أجلُّ عندك يا ذا العلم والآدبِ
وقهوةُ الريقِ والصهباءِ واحدةٌ أم قهوةُ الريقِ تخزي قهوة العنبِ
وما سألتك عن جهلٍ بأمرهما لكن نزعت إلى شيء من الطربِ

أما بعض الأدباء فأنهم لا يميلون إلى استخدام الألغاز أو أنهم لا يفضلون اتعاب خواطرهم، فهذا ابن دراج القسطلي وقد أرسل إليه بعض الأدباء بأبيات تتضمن لغزاً، وسأله أن يفسره، فلم يتعب خاطره فيها وكتب إليه على ظهر الرقعة: (2)

إذا شَدَّتْ عن العَرَبِ المَعَانِي فَلَيْسَ إلى تَعْرِفِهَا سَبِيلُ
وما يَحْوِيهِ هذا الدَّهْرُ أنْأَى وأبعدُ من شَبَابِ فِكْرٍ يَجُولُ
وربَّما بطولِ الفِكرِ يَدْرِي ولكنْ عاجِلَ الفِكرِ الرَّسُولُ

أما المعتمد بن عباد فقد ولع بالألغاز ولعاً كبيراً واستخدمها في كثير من رسائله المطيرات إلى ابن زيدون، كما استخدمها في رسالة شعرية إلى زوجته اعتماد: (3)

أغائبة الشخص عن ناظري وحاضرةٌ في صميم الفؤادِ
عليك سلامٌ بقدر الشجوة ن، ودمع الشؤون، وقدر السُّهادِ
تملكت مني صعب المرا م و صدفت ودي سهل القيادِ
مرادي لُقياك في كل حينٍ فياليت أني أعطى مرادي
أقيمي على العهد ما بيننا ولا تستحيلي لطول البعادِ
دسستُ اسمك الحلو في طيه وألّفتُ فيه حروف "اعتماد"

وقد جاء اللغز في البيت الأخير أما إجابته فهي الحروف الأولى من الأبيات التي يتشكل منها اسم اعتماد.

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق 3، م 2، ص 863 .

(2) ابن دراج القسطلي، الديوان، ص 541 .

(3) المعتمد بن عباد، الديوان ص 8 .

10.3 الترحيب:

لقد شاعت في القرن الخامس الهجري عادة الترحيب بالزائرين، وعادة ما توجه الرسائل الشعرية في هذا الشأن من قبل الحاكم؛ إجلالاً وتقديراً واحتراماً للزائر القادم وتواضعاً من قبل الحاكم، ومن الأمثلة على ذلك رسالة شعرية بعث بها المعتمد بن عباد إلى وزراء المعتصم بن صمادح: أبي الأصبغ بن أرقم وأبي عبيد البكري والقاضي أبي بكر بن صاحب الأحباس، عندما علم بقدمهم إلى بلاده، مراجعاً على رسالة في استئذانه بالقدوم إليه، حيث يقول: (1)

أهلاً بكم صحبتكم نحوي الدِيمُ إن كان لم يتبجح لي بكم حُلمُ
حثوا المطيَّ ولو ليلاً بمجهلةٍ فلن تضلوا ومن بشري لكم علمُ

ومنها:

أقدم أبا الأصبغ المودود تلقى فتىً هشَّ المودة لايزري به سأمُ
هذا فوادي قد طار السرور به إن كنت تنقلك الوخادة الرُسمُ
سأكتُم الليل ما ألقاه من بعدٍ وأسأل الصبح عنكم حين يبتسمُ

فعبير المعتمد عن سروره البالغ وسعادته الغامرة؛ لقدومهم إلى بلاده مبالغة منه في إشعارهم بالأنس والطمأنينة.

ومن الأمثلة على رسائل الترحيب الشعرية رسالة كتب بها ربيع الدولة بن صمادح إلى الفتح بن خاقان وقد علم بقدمه، حيث يقول: (2)

قدمت أبا نصرٍ على حالٍ وحشةٍ فجاءت بك الآمال واتصل الأتسُ
وقرت بك العينان واتصل المنى وفازت على يأسٍ لبغيتهما النفسُ
فأهلاً وسهلاً بالوزارات كلها ومن رأيه في كل مظلمة شمسُ

ودخل النحلي البطليوسي المرية، والناس قد لبسوا البياض، أما هو فكان يرتدي أسماً سوداء، فكتب إلى المعتصم بن صمادح برسالة شعرية يقول فيها: (3)

أيا من لا يُضَافُ إليه ثاني ومن ورث العلى باباً فبابا

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 60 .

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص 738 .

(3) ابن خاقان، الفلاند، ص 149 .

أَجْمَلُ أَنْ تَكُونَ سَوَادَ عَيْنِي وَأَبْصَرُ دُونَ مَا أُبْغِي حِجَابًا
وَيَمْشِي النَّاسُ كُلُّهُمْ حَمَامًا وَأَمْشِي بَيْنَهُمْ وَحَدِي غُرَابًا

فبعث المعتصم إليه من البياض ما لبسه، وجلال به مجلسه، وكتب إليه مع ذلك مرحباً بقدمه بأبيات هي (1):

وَرَدْتَ وَلِلَّيْلِ الْبَهِيمِ مَطَارِفًا عَلَيْكَ وَهَذِي لِلصَّبَاحِ بُرُودُ
وَأَنْتَ لَدَيْنَا مَا بَقِيَتْ مُقَرَّبًا وَعَيْشُكَ سَكْسَالُ الْجَمَامِ بُرُودُ

تكشف لنا الرسائل السابقة عن اهتمام أصحاب السلطان بالشعراء والكتّاب، فإذا ما حل أحدهم أرض ملك من الملوك، استقبله ببشاشة وسرور غامرين.

11.3 الاستسراح والاستئذان:

لقد وصل العرب في الأندلس إلى مرحلة من الرقي والتطور الاجتماعي لا يمكن أن تخفى، ويكشف لنا أسلوب التراسل عن نواحٍ كثيرة من آداب السلوك نذكر منها تنازل الخاصة عن كثير من أرسنقراطيتهم، وشعور العامة بإذابة ما بينهم وبين خاصتهم من فروق، وفيها دلالة على رهافة الحس الأندلسي الذي يرى شذوذاً في القدوم على العظيم، أو مغادرة بلاده دون استئذان، ويحتم استقبال الضيف وتوديعه، ومسامرته، والإهداء إليه، وعيادة المريض، وزيارة السجين، وإعطاء المحتاج، واللوم عند الخطأ والعفو عند الاعتذار، وتقاسمهم المسرة والمضرة ونحو ذلك من أمارات السلوك الرفيع (2).

ومن العادات الاجتماعية الرفيعة التي تناولها الشعراء في رسائلهم استسراح الأمراء بالخروج من بلدانهم، ومن ذلك قول ابن حمديس الصقلي مخاطباً المعتمد بن عباد وقد لزم باب قصره حولاً كاملاً، ولم يطلبه للحضور إلى مجلسه، فكتب إليه أن يأذن له بالدخول أو أن يسمح له بالسراح، منها: (3):

أَتَتْنِي عَلَى بَعْدِ النَّوَى مِنْكَ دَعْوَةٌ أَثَارَتْ بِنَاتِ السَّيْرِ حَوْلًا وَلَقَا
فَجَاءَكَ مِنْ أَهْلِ الْبَدِيعِ مَصْرَفًا مَهَارَ الْقَوَافِي فِي امْتِدَاكَ قَرَحًا

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص736.

(2) شلبي، البيئة الأندلسية، ص477.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص324.

رفعت بأضعاتي إلى ما تحده علاك فوقع مُمسكاً أو مُسرحاً

ومن رسائل الاستسراح أيضاً رسالة شعرية كتب بها ابن اللبانة إلى صاحب

ميورقة طالباً منه السماح له بمغادرة بلده، وقد خاف في ذراه، يقول فيها: (1)

عسى رافةً في سراح كريم أبُلُّ ببردِ نداءِ الغليلا

وعلي أراح من الطالبين فأسكن للأمن ظلاً ظليلا

ومن بله الغيث في بطن وادٍ وبات فلا يأمنن السيولا

أفرُّ بنفسي وإن أصبحت ميورقة مصراً وجدواك نيلا

لعل الدارس يلحظ مدى الخوف الذي أحس به الشاعر من خلال أبياته السابقة، فمن تكراره لبعض الألفاظ، مثل " رافةً، سراح كريم، أسكن للأمن، لا يأمنن، أفرُّ " ندرك أمله في النجاة وخوفه من المجهول.

وبعد هذه الرسالة فقد لاذ بالفرار، وجعل يستعطف الحاكم ويستلطفه ليمن عليه بالعودة، في رسائل شعرية منها قوله: (2)

ألا رافةً من وفي كريم ألا عطفة من سني سري

ومنها في التذكير بفضله:

سيشتاقني الملك مهما أراد لباس نسيج من المفخر

ولو أن كل حصاة تزين ما جعل الفضل للجوهر

ومن الرسائل الشعرية في الاستسراح أيضاً الرسالة التي كتب بها ابن عمار إلى المعتصم بن صمادح وقد أطال المكوث عنده، فطلب منه أن يسمح له بالسراح، يقول منها: (3)

أسرفت في برّ الضيوف، فجد قليلاً بالسراح

ومن رسائل الاستئذان الشعرية قول أبي العلاء إدريس بن أزرق حين كتب إلى

ابن رشيق، ملك مرسية، رغبة في استئذانه الوفادة عليه، وقد طالقت إقامته عند ابن عبد العزيز: (4)

(1) ابن بسام، المصدر نفسه، ق3، م2، ص 683 - 684.

(2) ابن بسام، المصدر نفسه، ق3، م2، ص 685.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص 402؛ ابن الأبار، الحلة، ج2، ص 85.

(4) المقرئ، النفع، م3، ص 572.

ألا ليت شعري هل أعودُ إلى الذي عهدتُ من النعمى إليكم بلا جهد
 فوالله مذ فارقتكم ما تخلصت من الدهر عندي ساعةً دونما كد
 فمَنوا بإذنِ كي أطيّر إليكمُ فلا عارُ في شوقِ إلى المالِ والجدِ
 وقد أوردنا في الفصل الأول من هذا البحث بعض رسائل الاستئذان عند حديثنا
 عن السفارة وأثرها في الرسائل الشعرية.

12.3 الإخبار:

قد يرسل الشاعر برسالة شعرية مخبراً عن أمرٍ من الأمور، أو عن حدثٍ ما،
 منها أن أبا الحسين بن الجد خاطب عمه من ميورقة، مخبراً إياه بما حل بملوك
 الطوائف على يد جيوش المرابطين، حيث يقول: (1)

طوى الجزيرة حتى جاءني خبرٌ فزعت فيه بآمالي إلى الكذب
 حتى إذ لم يدع لي صدقه أملاً شرقتُ بالدمع حتى كادَ يشرقُ بي

13.3 نظرات نقدية:

كانت الرسائل الشعرية تتعرض لتقييم الشعراء المخاطبين، فكانوا يطلقون
 أحكاماً نقديةً بسيطةً وبديهيةً وليست متعمقةً تتعلق باللغة والمعاني والبناء الفني
 وغيرها، وقد أشار الشعراء إلى تعرض رسائلهم للنقد من قِبَل الشعراء المتلقين لها،
 فهذا أبو عيسى بن لبون يخاطب محمد بن سفيان برسالة شعرية ويطلب منه أن
 يصفح له زلته عند نقده لرسائله الشعرية، حيث يقول (2) :

فإن مرَّ النقدُ منها بسقطةٍ فحلمك يغضي والكريمُ حلِيمُ

كما أشار ابن رُحيم إلى خوفه من تعرض رسالته الشعرية للنقد بقوله: (3)

مقنعةٌ خوفَ انتقادك خجلةٌ كما أقبلتُ عذراءً في حَلِّ نَضْرٍ

وقد وردت لأبي القاسم بن الجد عدة آراء نقدية في رسائله الشعرية، كما أشار
 إلى تعرضه للرسائل الشعرية بالنقد، منها قوله (4):

(1) ابن بسام، الذخيرة ق2، م2، ص558.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص905.

(3) ابن خاقان، القلائد، ص348.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص319-321.

بذلت لها نقداً من الدرّ غالياً فلم يجزها مهرٌ ولم يُخزها صهرٌ

وقوله:

لئن لم تجدْ نقداً لمثلي عاجلاً فما لكم عن قيمة البُضع منزعٌ

ومع ذلك فإن عبد الجبار المطلبي يرى أن نقد الشاعر عائد إلى ثقافته المختزنة، طوال أيامه قبل ابتداعه الأثر الفني، وأن هذه الأحكام التي يطلقها الشعراء هي أحكام بديهية وليست متعمقة؛ لأنه لو أراد النقد من خلال الشعر لبدت أبياته خالية من الطبع، ويعلل ذلك بقوله: " لعل من عانى نظم الشعر يدرك أنه لم يكن يختار، واعياً، ألفاظه وبناء أبياته. فلو كان مدركاً لذلك، واعياً له، وراح ينتخب، وهو في صحوة، ما يترجم به عن تجربته الشعرية التي راحت أجراسها تدق في أعماقه بالألحان والإيقاعات، ما كانت هناك تجربة ولا إلهام، لأنه حينئذ يصبح ناظماً يختار الألفاظ والصور اختياراً عقلياً يبعده عن تأجج العاطفة وحدة الشعور ويقربه من المنطق الفكري الوئيد ". (1)

مما لا شك فيه أن هذا الحكم يعد قاسياً على الشعر؛ إذ قد نرى بعض الرسائل الشعرية مليئة بالأحكام النقدية دون أن يبدو فيها أثر للصنعة أو التنقيح، ربما يعود ذلك إلى ثقافة الشاعر الغزيرة ومعرفته الأحكام النقدية، فتأتي أحكامه عفوية ولكنها تتم عن قدرته على سبر أغوار الشعر، وإبداء رأيه فيه، وهذا ما سنراه فيما بعد، في رسالة شعرية لأبي العباس، ورسائل ابن عمار الشعرية وغيرهم من الشعراء الذين سنتعرض لبعض رسائلهم الشعرية .

أما الأمور التي تعرض لها الشعراء أثناء تقديمهم للرسائل الشعرية فهي:

1- السلاسة والبعد عن الغريب:

وصفت بعض الرسائل الشعرية بالسلاسة وخلوها من الحشو والمعازلة والتكلف واحتوائها على صنوف البديع، من ذلك قول أبي العباس أحمد بن قاسم المحدث (2):

لا حشو فيه ولا معازلة به
سلس على الأسماع والأفهام

(1) المطلبي، عبد الجبار يوسف، الشعراء نقاداً، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1،

1986م، ص9.

(2) ابن بسام، الذخيرة ق1م2، ص908.

والحشو يعني "أن يكون في داخل البيت من الشعر لفظ لا يفيد معنى، وإنما أدخله الشاعر لإقامة الوزن فقط... وقد يأتي في حشو البيت ما هو زيادة في حسنه، وتقوية لمعناه" (1) وعلى خلاف ذلك يرى أسامة بن منقذ أن الحشو ألفاظ زائدة، ليس فيها فائدة (2) إن الشاعر في هذه الرسالة ينفي وجود الكلام الزائد الذي لا فائدة فيه، كما أنه ينفي وجود المعاطلة في رسالته، والمعاطلة تعني استعمال اللفظة في غير موضعها من المعنى (3)، وهي من عيوب اللفظ عند قدامه، وقد وصف عمر بن الخطاب رضي الله عنه -زهيراً بمجانبته لها "ولا يريد عمر مداخلة بعض الكلام فيما يشبهه من بعض، أو فيما كان من جنسه، وإنما أنكر أن يدخل بعضه فيما ليس من جنسه، وما هو غير لائق به" (4) "إن فقد أطلق الشاعر على الأبيات صفة الملائمة وجعل الألفاظ من نفس الجنس، كما أضفى عليها صفة السلاسة وهي: السهولة والليونة (5)، يقول أحمد مطلوب: "والسلاسة في الشعر مما تطلبته الحضارة العربية الجديدة، وأظهرته الحياة المترفة التي هذبت الأذواق" (6) فإذا كان الشعر سلساً على الأسماع و الأفهام فمعنى ذلك أنه مستساغ السماع، سهل الفهم .

كما أن هذا الشعر يشتمل على البديع، وكلمة "البديع" تطلق على الغريب العجيب، أو الجديد الذي ينشأ على غير مثال سابق (7)، كما أنه يخلو من التكلف، والتكلف: حصول

(1) ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ/ 1063م)، العمدة في محاسن الشعر وأدابه، ج2، تحقيق محمد قرقران، دار المعرفة، بيروت - لبنان، ط1، 1988م، ج1، ص675 .

(2) ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي (ت 584 هـ/ 1188م)، البديع في البديع في نقد الشعر، حققه وقدم له علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ط1، 1987م، ص 209.

(3) ابن منقذ، البديع في البديع، ص 230 .

(4) مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج2، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1، 1989م، ج2، ص307.

(5) اللسان، مادة "سلس"

(6) مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج2، ص45.

(7) حسين، عبد القادر، فن البديع، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983م، ص41.

المشقة والعناء، وتكلفت الشيء: تجسمته على مشقة وعلى خلاف عادتك. (1) والمتكلف: هو الشاعر الذي يقوم شعره بالثقاف، وينقحه بطول التفنن، ويعيد فيه النظر بعد النظر (2)، " والمتكلف من الشعر وإن كان جيداً محكماً فليس به خفاء على ذوي العلم لتبينهم فيه ما نزل بصاحبه من طول التفكير، وشدة العناء، ورشح الجبين، وكثرة الضرورات، وحذف ما بالمعاني حاجة إليه، وزيادة ما بالمعاني حاجة إليه " (3)، وهذا البديع يأتي في هذه الرسالة الشعرية الموصوفة على شكل منفرد ومزدوج كما يقول أبو العباس أحمد بن قاسم المحدث:

ويرى البديع به بغير تكلف ما بين منفرد وبين توأم
متقسم متقابل متطارد متجاسم متطابق الأقسام

ولو طلبت التشبيب في هذه الرسالة لوجدته، فالشاعر المرسل لديه أيضاً القدرة على ذلك، وتشبيب الشعر: ترقيق أوله بذكر النساء، وشبب بالمرأة: قال فيها الغزل والنسيب (4)، والنسيب والتغزل والتشبيب بمعنى واحد (5)، وإشارة الشاعر إليها هنا تعني اعتناء الشعراء بالمقدمات الغزلية في رسائلهم الشعرية، يقول أبو العباس:

إن رمت تشبيهاً أتيت بكل ما يجد الشجي من لوعةٍ وغرام

ويشير الشاعر إلى أن شعر ممدوحه في التشبيب قريب إلى القلب، يطرب الحزين، ويستخف الرصين، وهو معنى أكد عليه النقاد مثل ابن رشيق حين قال: "حق النسيب أن يكون حلو الألفاظ رسلها، قريب المعاني سهلها" (6) كما يؤكد القرطاجني وجوب التغزل قبل المدح مع عدم التقصير المخل أو التطويل الممل. (7) كذلك فقد أكد الشاعر أن ممدوحه يحسن استخدام التشبيه:

أو رمت تشبيهاً قرنت مشبهاً بمشبه في غاية الإتمام

(1) اللسان، مادة "كلف"

(2) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج1، ص78.

(3) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج1، ص88.

(4) اللسان، مادة "شبيب".

(5) انظر: ابن رشيق، العمدة، ج2، ص73؛ ابن الأثير، كفاية الطالب، ص54.

(6) ابن رشيق، العمدة، ج2، ص752.

(7) القرطاجني، منهاج البلغاء، ص351.

كما أن أبا العباس يبين رأيه في فن المديح، فأفضل المديح ما كان صادقاً يشتمل على الصفات الواقعية للممدوح:

أو رمت مدحا لم تكن مُتطلباً ما ليس في الممدوح من أحكام
ومع ذلك فشعره يتسم بالدقة والذكاء في اختيار الموضوعات:
حذقاً بما تأتي ومعرفةً به وتصرفاً في أفق كل كلام

2- التعقيد:

أما ابن الدباغ فيركز على قضية خلو الرسالة الشعرية من التعقيد واشتمالها على غرائب النظم، وانسياب التعبير وسلاسة الألفاظ، بقوله (1):

وله إذا شاء النظمُ غرائباً لا تدعيها فطنة الشعراء
برئت من التعقيد في تأليفها فأتتك أملس من زلال الماء

فالغريب هو: الغامض من الكلام. (2) والغرابة في الاصطلاح: هي أن يكون المعنى مما لم يسبق إليه من جهة الاستحسان، فيقال غريب إذ كان عديم المثال أو قليلة، فإذا كثر لم يُسمَّ بذلك (3)

3- البديهة والطبع:

أما ابن عمار فقد كان ينظر إلى الشعر من زاوية البديهة والطبع، فأفضل الشعر ما كان مطبوعاً، وقد أطلق ذلك الحكم على أكثر من رسالة شعرية، منها قوله مراجعاً (4):

لأوسعتني قولاً وطولاً كلاهما يطوق أعناقاً و يخرسُ أسنناً
وشرفنتني من قطعة الروضة التي تناثر فيها الطبعُ ورداً وسوسناً

فالمطبوع من الشعراء من سمح بالشعر، واقتدر على القوافي، وأراك في صدر بيته عجزه، وتبيّنت على شعره رونق الطبع ووشي الغريزة. (5)

(1) ابن بسام، الذخيرة ق3، م1، ص317 .

(2) اللسان، مادة "غرب" .

(3) انظر: ابن منقذ، البديع في البديع، ص196 .

(4) ابن بسام، الذخيرة ق3، م1، ص122 .

(5) ابن قتيبة الدينوري، الشعر والشعراء، ج1، ص90.

ومن رسالة شعرية لابن خفاجة نقد من خلالها رسالة شعرية وصلته من أبي محمد البطلبوسي، يقول منها: (1)

تَدْفَقُ مَاءُ الطَّبْعِ فِيهِ تَدْفُقًا فَجَاءَ كَمَا يَصْفُو عَلَى النَّارِ عَقِيَانُ
أَتَانِي يَرِفُ النُّورُ فِيهِ نَضَارَةٌ وَيَكْرَعُ مِنْهُ فِي الغَمَامَةِ ظَمَانُ

فهو يشيد بقول مخاطبه على السليقة، ويمتدح فيه الطبع .

كما أثنى الشاعر على الرسائل الشعرية التي تقوم على البديهة والبديهة هي: " أن يفكر الشاعر يسيراً ويكتب سريعاً إن حضرت آلة، إلا أنه غير بطيء ولا متراخ، فإن أطال حتى يفرط أو قام من مجلسه لم يعد بديهاً" (2) ويقارن النقاد بين البديهة والارتجال لصلتها الوثيقة، يقول ابن رشيق " البديهة عند كثير من الموسمين بعلم هذه الصناعة في بلدنا، أو من أهل عصرنا هي الارتجال، وليست به لأن البديهة فيها الفكرة والتأييد، والارتجال ما كان انهمازاً وتدفعاً لا يتوقف فيه قائله" (3) أما علي بن ظافر الأزدي فإنه يفرق بين البديهة والارتجال فيرى أن البديهة: " أن ينزل الشاعر عن طبقة الارتجال قليلاً، ويفكر مقصراً لا مطيلاً، فإن طال ذو البديهة الفكرة انعكست القضية وخرجت من حد الروية. (4)

يقول ابن خفاجة مراجعاً على رسالة شعرية واصفاً صاحبها بالقدرة على قول الشعر بداهة وهو شعر يفعل في عقول الناس ونفوسهم فعل الخمر: (5)

ولما ملكت القول قهراً وحنوةً أطاعك جيش النظم وائتمر النثرُ
فلا نقل إلا ما تقول بديهةً ولا خمر ما لم يأت من فمك الخمرُ

4_الاتساق وحسن السبك:

وصف الشعراء الرسائل الشعرية بالاتساق وحسن السبك وهو يعني: أن تتعلق كلمات البيت الواحد بعضها ببعض من أوله إلى آخره، (6) وتلتحم التحاماً بحيث يصبح

(1) ابن خفاجة، الديوان، ص 99 .

(2) مطلوب، النقد معجم العربي القديم، ج1، ص269.

(3) ابن رشيق، العمدة ج1، ص351.

(4) انظر: الأزدي، بدائع البدائنه، ص 8.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م1، ص122-123.

(6) انظر: ابن منقذ، البديع في البديع، ص 236 .

فصلها أمراً عسيراً، ومن ذلك ما جاء في رسالة شعرية لأبي بكر بن عبد العزيز مجيباً على رسالة شعرية لابن عبدون، حيث يقول (1):

فجاء الشعرُ متسقاً حُداهُ كما اتسقت حَلَى السيفِ اليماني

تقاصر دونك البلغاء حظاً كما قصرَ السماعُ عن العيان

وشدد حازم القرطاجني على أهمية التحام الكلام وتناسقه، وجعل ائتلاف الأغراض الشعرية في القصيدة الواحدة كالتتام الحروف في الكلمة الواحدة. (2)

وقد يصف الشعراء الرسالة الشعرية بالعقد لجودة سبكها وتآلف مفرداتها، فهذا ابن زيدون يقول: (3)

وافانيّ العقدُ زينَ ناظمهُ والوشى لا راعَ حادثٌ صنعة

وقوله أيضاً مشبهاً شعر المعتمد بعقد اللؤلؤ المنظوم، يقول (4)

قدْ جاءني النظمُ الذي خلتهُ مؤلفَ اللؤلؤ في النظم

وفي رسالة شعرية للكاتب راشد بن سليمان (5) مراجعاً الوزير أبي عيسى بن لبون (6):

لله رُفَعَتِكَ التي ضَمَّنْتَهَا صورَ النهي من لفظك المعسول

نظمٌ وعيشك لو غدا نثراً لما قدرته إلا من التنزيـلِ

كما أثنى الشعراء على حسن السرد، فهذا أبو القاسم ابن الجدي، يصف رسالة شعرية بقوله (7):

غزائي من حوكِ اللسانِ بلأمةٍ مضاعفة التآليف محكمة السرد

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص 534.

(2) القرطاجني، منهاج البلغاء، ص 287.

(3) ابن زيدون، الديوان، ص 210.

(4) ابن زيدون، المصدر نفسه، ص 607.

(5) هو أبو الحسن راشد بن سليمان، أصله من بليانه، وله فيها مال موروث، وسكن حضرة

مُرسية وجلَّ قدره وكتب عن صاحب أمرها أبي عبد الرحمن بن طاهر. (الوائلي،

موسوعة شعراء الأندلس، ص 88).

(6) ابن خاقان، القلائد، ص 292؛ ابن بسام، الذخيرة، ق 3، م 1، ص 106.

(7) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 319.

دلاص من النظم البديع حصينة ترد سنان النقد منثلم الحد

ومن جواب ابن زيدون على رسالة شعرية لأبي العطف، (1) يقول فيها: (2)

أفدنتي من نفائس الدرر ما أبرزته غوائص الفكر
من لفظة قارنت نظيرتها قران سقم الجفون للهور

4- الشعر السحر:

أهتم الشعراء الأندلسيون ببناء رسائلهم الشعرية، واختيار الألفاظ الرقيقة التي تناسبها؛ من أجل إحداث التأثير في السامع ووصفوها بالسحر، وهو عند لسان الدين بن الخطيب الذي يخلب النفوس ويستفزها، ويثي الأعطاف ويهزها، وكانت له قوة التأثير، فشجّع وأقدم، وسهّر وقوم وحبب السخاء إلى النفس وشهى، وأضحك حتى ألهى، وهذه قوى سحرية ومعان بالإضافة إلى السحر مرية (3) فهذا القاضي ابن اللوشي يقول مراجعاً ابن السقاط واصفاً رسالته بأنها جمعت محاسن السحر المختلفة: (4)

لله أبيات أتتنا خمسة مثل الفرند نضمن نظم الجوهر
جمعت من السحر الحلال محاسناً من كل معنى رائق مستندر

وهذا المعتمد يربط بين السحر والشعر من خلال جوابه على رسالة شعرية لأبي بكر الداني (5):

كلامك حرّ و الكلام غلام وسحرّ ولكن ليس فيه حرام
ودرّ ولكن بين جنبيك بحرّه وزهرّ ولكنّ الفؤاد كمام

(1) هو أبو العطف بن حي، كان مولعاً برواية الأشعار وجمعها، توسل إلى ابن زيدون بالمعتمد بن عباد ليقدّم إليه طائفة من شعره، مما يؤسف له أننا لم نجد له ترجمة في كتب التراجم الأندلسية. (انظر: ابن زيدون، الديوان، هامش ص 791).

(2) ابن زيدون، الديوان، ص 206.

(3) انظر: ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت 776هـ/

1374م)، كتاب السحر والشعر، ص 10.

(4) ابن خاقان، القلائد، ص 677.

(5) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 113.

والسحر الحلال هو المؤثر من القول، والمعتمد على التخيل والتصوير وهو البليغ⁽¹⁾، والعرب تسمي كل ما استمال النفوس من كلام وغيره سحراً، ومنها قوله ﷺ: "إن من البيان لسحراً وإن من الشعر لحكمة"، وقول عمر بن عبد العزيز لـغلام "تكلم فهذا السحر الحلال"⁽²⁾.
وجعل المعتمد من الشعر سحراً في وصفه لشعر وصله من ابن زيدون، حيث يقول:⁽³⁾

شِعْرٌ هُوَ السَّحْرُ، فَلَا تُنْكِرُوا أَنِّي بِهِ مَا عَشْتُ مَسْحُورٌ

ويبالغ ابن زيدون في وصف شعر المعتمد بن عباد بالسحر، يقول:⁽⁴⁾

لَمْ أَخُلْ مِنْ قَبْلِهِ أَنَّ بَيَانَ اللَّفْظِ يَسْحَرُ

ولم تأت المبالغة من وصفه لشعر المعتمد بالسحر وإنما من قوله أنه لم يتخيل أن بيان الألفاظ يسحر العقول قبل قراءته لهذا الشعر، وهي بلا شك مبالغة لطيفة، تضيف على المعنى رونقاً وجمالاً.

5- نقد المعنى:

أما المعتمد فإنه ينظر إلى المعنى من جوابه على رسالة لأبي بكر الداني حيث

يقول:⁽⁵⁾

تَحَلَّيْتُ بِالدَّانِي وَأَنْتِ مَبَاعِدٌ فَيَا طَيْبَ بَدْعٍ لَوْ تَلَّاهُ تَمَامٌ

فالمعتمد بن عباد أشار لما في اسم الداني من دلالة على القرب والسهولة، ولما في شعره من صعوبة وبعد عن الرقة وقرب المعاني.

(1) أنظر: مطلوب، معجم مصطلحات النقد الأدبي، ص 250 .

(2) البطلبيوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت 521هـ/1127م)، شروح سقط الزند، 4ق، تحقيق مصطفى السقا وعبد السلام هارون وآخرين، بإشراف طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط3، 1986، ج1، ص 276.

(3) ابن زيدون، الديوان، ص 618.

(4) ابن زيدون، المصدر نفسه، ص 614.

(5) المتعمد بن عباد، الديوان، ص 113 .

ومن نقد المعنى أن ولادة بعثت إلى ابن زيدون رسالة شعرية منها:

"سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً بكل سكوب هائل الوبل مُغدق

فأجابها ابن زيدون بأبيات شعرية، وكتب في أثناء الكلام بعد الشعر: وكنت ربما
حشنتي على أن أنبهك على ما أجد فيه عليك نقداً، وإنني انتقدت عليك قولك:

"سقى الله أرضاً قد غدت لك منزلاً"

فإن ذا الرمة قد انتقد عليه قوله مع تقديم الدعاء بالسلامة:

ألا يا اسلمي يا دار مَي على البلى ولا زال منهلاً بجرعائك القطر

إذ هو أشبه بالدعاء على المحبوب من الدعاء له، وأما المستحسن فقول الآخر:

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي⁽¹⁾

6- المآخذ اللغوية:

ومن ذلك نقد الفقيه أبي الحسن علي بن عبدالله البرجي⁽²⁾ وقد أخذ على الجزار

السرقسطي قوله- في رسالة شعرية بعث بها إلى زهير العامري -⁽³⁾:

لم تسمع الأذان قبل هدايتها بحمامة زفت إلى فتحاء

إذ قال: (أن الفتحاء مؤنثة ولا يوصف بها مذكر) فكتب إليه الجزار السرقسطي

بقصيدة يوبخه فيها ويبرز الأدلة على صحة رأيه، منها قوله:

أن صح ب" الفتحاء" تشبيها الفتى زهيراً بدت في النقد منك غرائب

وقلت لمن حاداك من غير فكرة لتهم كلاً: أن فهمك ثاقب

وللعرب من هذا كثير، وهل لنا بمن نقدتي في الشعر إلا الأعراب

أما قال للنعمان شاعر قومه لأنك شمس و الملوك كواكب

فشبهه بالشمس وهي لديهم مؤنثة، هل عاب ذلك عائب

وهل تُنسب الأشياء إلا لفعلها وتعرف إلا بالمضاء القواضب

7- الإشارة إلى المضمون:

(1) ابن زيدون، الديوان، ص 782-983 .

(2) هو أبو الحسن علي بن عبد الله بن موسى بن طاهر الغفاري، ويعرف بالبرجي نسبة إلى

برجة من أعمال سرقسطة، كان لغويًا وأديبًا، وكان ذا حظ من رواية الحديث.

(3) انظر: الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 88-95.

وقول أبي بكر محمد بن رُحيم في الإشارة إلى ما تضمنته رسالة في الثناء عليه ومدحه: (1)

وأبستنيها من ثنائك حلةً مطرزة العطفين بالحمد والشكر
نثرت عليّ القولَ ذرّاً كأنه سقيطُ رذاذ الغيث في الورقِ الخضرِ

ومن ذلك أيضاً قول ابن خفاجة في الإشارة إلى تضمن رسالة موجهة إليه أمثالاً وحكماً بليغة: (2)

بأمثالها من حكمة في بلاغة تحلّل أضغانٍ وترحلّ أظعانُ

كما أشار ابن الجد إلى اشتمال الرسالة الشعرية على الثناء المعطر: (3)

زففتَ بها بكرةً تأرّجَ طيبها وما طيبها إلا الثناء المضووعُ
لها من طراز الحسنِ وشي مهلهلٍ ومن صيغة الإحسان تاجٍ مرصعُ
تبغيتَ منها متعة اللحظِ فانزوتَ وقالت أدون المهر يبغي تمتع
فدونك ذاك الحكم منها فإنهُ قضاء لعمرى عادل ليس يدفعُ

8- أثر الرسالة الشعرية على النفس:

تنبه النقاد إلى أثر الشعر على النفس، ومن هؤلاء ابن سعيد الأندلسي الذي قسم الشعر إلى خمس طبقات هي: المُرْقَص، والمُطْرَب، والمقبول، والمسموع، والمتروك، فالمرقص ما كان مخترعاً أو مولداً، لما يوجد فيه من السر الذي يمكن أزمة القلوب منيديه، ويلقي منها محبة عليه وذلك راجع إلى الذوق، والحس مغن بالإشارة عنالعبارة. (4)

والمطرب: ما نقص فيه الغوص عن درجة الاختراع، إلا أن فيه مسحة من الابتداء، والمقبول: ما يكون طلاوة مما لا يكون غوص على تشبيه وتمثيل،

(1) ابن خاقان، القلائد، ص 346 .

(2) ابن خفاجة، الديوان، ص 98 .

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص 319 .

(4) أنظر: ابن سعيد، علي بن موسى المغربي، نور الدين (ت673 هـ/1274م)، المرقصات

والمطربات، دار حمد ومحيو، بيروت، 1973م، ص 7 .

والمسموع: ما عليه أكثر الشعراء، مما به القافية والوزن دون أن يمجه الطبع ويستقله الطبع، والمتروك ما كان كلاً على الطبع والسمع.⁽¹⁾

فكما وصف ابن سعيد أثر الشعر، فقسمه إلى مطرب ومرقص..الخ، فكذلك نرى الشعراء يبدون آرائهم في الرسائل الشعرية، فقد نراه عظيم الشأن⁽²⁾:
يشقُ سامعُها من جيبه طرباً ويُسمعُ الصخرة الصماء راويها
وأحياناً أخرى يشبهها الشعراء بكتائب الحرب فهذا ابن عمار يقول مخاطباً المعتصم:⁽³⁾

ثلاثة أبيات وهيهات إنما بعثت إلى حربي ثلاث كتائب

وقد نجدهم يصورونها بالجوزاء، كقول ابن عمار أيضاً:⁽⁴⁾

بعثت بها يا قطعة الروض قطعة شمتت بها عرف النسيم المخلق

ثلاثة أبيات هيهات إنما بعثت بها الجوزاء في صفح مهرق

وربما نجد الشعر يبعث الأمن في نفس الخائف كقول أبي القاسم بن السقاط

:⁽⁵⁾

سُطيران في مغزاهما أمن خائف وسلوة مشغوف وأنس مشوق

أو أن يجعل الشاعر هذه الرسالة الشعرية بمنزلة العطر الذي ينتشر سريعاً في

الجو ويجعل له رائحة زكية، من مثل قول ابن زيدون:⁽⁶⁾

جاءني الشعر الذي لو بث في الأفق لعطر

(1) انظر: ابن سعيد، المرقصات والمطربات، ص 8-9 .

(2) ابن خاقان، القلائد، ص 392.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 404.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق 2، م 1، ص 403.

(5) ابن خاقان، القلائد، ص 513.

(6) ابن زيدون، الديوان، ص 613.

ونورد مثالا على التزام الشعراء البحر والروي، رسالة شعرية من الفتح بن خاقان أرسل بها إلى أبي يحيى بن محمد بن الحاج تتكون من ستة أبيات، منها: (1)

وإني لخفاقُ الجناحين كلما سرى لك ذكرٌ أو نسيمٌ معطرٌ
وقد كان واشٍ هاجنا لتهاجرٍ فبتٌ وأحشائي جوى تتفطرُ

فراجع ابن الحاج بخمسة أبيات على البحر والروي نفسه، منها:

ثبيت أبا نصرٍ عناني وربما ثنتُ عزيمةَ الشهم المصمم أسطرُ
ونالت هوى ما لم تكن لتناله سيوفٌ مواضٍ أو قنأ متأطرُ

2.4 الاستهلال في الرسالة الشعرية:

على الرغم من أن أغلب الرسائل الشعرية جاءت على شكل مقطوعات قصيرة تتناول غرضاً محدداً، فإنه يمكن لنا أن نقسمها إلى قسمين: أولهما: الرسائل الشعرية المقتصرة على موضوع معين، وثانيهما: الرسائل الشعرية التي تشتمل على أكثر من موضوع.

ويشتمل القسم الأول على رسائل الدعوة، والإهداء والاستهداء، الطلب الاستمناح، ورسائل الاستسراح والاستئذان، ورسائل الإخبار، إذ تأتي أغلب هذه الرسائل في موضوع واحد لا تتجاوزها، كما أنها تخلو من المقدمات التي يشتمل عليها غيرها من الرسائل الشعرية. ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل الشعرية، رسالة جاءت في الدعوة بعث بها أبو محمد بن القبطورنة إلى صديق يستدعيه إلى مجلسه، وقد جاءت الرسالة في أربعة أبيات، يقول أبو محمد (2):

هلمَّ إلى روضنا يا زهيرُ ولُخ في سماءِ المنى يا قمر
وفوق إلى الأيس سنهم الإخا ء فقد عطلت قوسه والوتر
إذا لم تكن عندنا حاضراً فما بغصون الأمانى ثمر
وقعت من القلب وقع المنى وحزت من العين حُسن الحور

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص 786 .

(2) لسان الدين، الإحاطة في أخبار غرناطة، م1، ص521.

جاءت هذه الرسالة متضمنة موضوعاً واحداً، وهو الإلحاح في الطلب، والتأكيد على الحضور، فقد استخدم الشاعر ألفاظاً تدل على ذلك "هَلَمْ، لُحْ، فَوْقَ"، وهذا يعني أن الدعوة جاءت مقرونة بأفعال الأمر لما في ذلك من التأكيد على أهمية الحضور.

ومن الأمثلة على هذا النوع من الرسائل الشعرية رسالة بعث بها ابن عمار إلى المعتمد بن عباد، إذ تزامن غيابه مع غياب الشمس في يوم غائم، يقول ابن عمار (1):

تَجْهَمُ وَجْهَ الْأَفْقِ وَاعْتَلَّتْ النَّفْسُ لِأَنَّ لَمْ تَلْحَ لِلْعَيْنِ أَنْتَ وَلَا الشَّمْسُ
فَإِنْ كَانَ هَذَا مِنْكُمْ مِنْ تَوَافِقٍ وَضَمَكَمَا أَنْسُ فَلَِيْهِنِكَمَا الْأَنْسُ

فلم يأت الشاعر بمقدمات ليفتح رسالته الشعرية؛ لأن المقام لا يقتضي ذلك، هذا بالإضافة إلى أن الرسالة الشعرية على الأغلب دون مقدمات، وقد أجاب المعتمد على رسالة ابن عمار هذه برسالة شعرية أخرى معللاً فيها أسباب عدم حضوره.

ومن هذا النوع من الرسائل الرسالة الشعرية أيضاً ما بعث به المتوكل بن الأفلح إلى الوزير أبي طالب بن غانم، يدعو لحضور مجلس أنس، يقول: (2)

أَقْبِلْ أَبَا طَالِبٍ إِلَيْنَا وَقَعْ وَقَوِّعَ النَّدَى عَلَيْنَا
فَنَحْنُ عَقْدٌ بَعْدَ بَعْدٍ وَسَطِي مَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا لَدِينَا

فلم يفتح الشاعر رسالته الشعرية بمقدمة استهلاكية؛ لأن المقام لا يقتضي ذلك ولا يتطلبه.

أما القسم الثاني وهو ما يشتمل على مقدمة في الغزل، أو المديح، أو الشوق، أو الاستشفاع، ثم يتخلص منها إلى غرضه الرئيسي، ومن الأمثلة على ذلك رسالة لأبي عبد الله بن الحناط في المديح، أفتتحها بمقدمة غزلية يشكو فيها عدم إنصافها له، ثم يشكو سهر الليل، ويصف جمالها، وسواد شعرها، حيث يقول (3):

أَقْصِرْ عَنِ لَوْمِي اللَّائِمِ لِمَا دَرَى أَنَّيْ هَائِمِ

(1) المقري، نفع الطيب، م4، ص314.

(2) ابن خاقان، القلائد، ص144.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م1، ص440-441.

ما زلت في حبه منصفاً من لم يزل وهو لي ظالم
أسهر ليلى غراماً به وهو أخو سلوة نائم
مهفهف ماس في برده غصن ثنته الصبا ناعم
شمس ولكنما فرعها ليل على صباحها فاحم

وينتقل الشاعر من هذه المقدمة الغزلية انتقالة لطيفة، إلى المديح دون أن نشعر
باضطراب أو خلل في بناء الرسالة الشعرية:

إن ابن ذكوان ذو راحة كديمة صوبها دائم
ومن أبوه أبو حاتم قصر عن جوده حاتم
تبصره دهره قاعداً وهو بأعبائه قائم

ثم يتخلص الشاعر من غرضه الرئيسي إلى الفخر:

من لم يكن شاعراً عالماً فاتني الشاعر العالم
البدر في أخمصي شسعةً والشمس في خنصري خاتم
والدُرُّ لو بلغوه المنى نظمه في فمي الناظم

ومن الأمثلة على الرسائل التي يفتتحها أصحابها بالمقدمات الغزلية أيضاً رسالة
لأبي محمد عبد الله بن السيد البطليوسي، يقول فيها (1):

لَفْتُ بِثَغْرِ قَدِ حَمَى رَيْقَةَ الْعَذْبَا وَسَلَّ عَلَيْهِ مِنْ مَلَاظِحِهِ عَضْبَا
وَفَرِحَةَ لِقْيَا أَذْهَبَتْ تَرْحَةَ النَّوَى وَعَتْبَى حَبِيبِ هَاجِرٍ أَعْقَبَتْ عَتْبَا

وينتقل الشاعر من هذه المقدمة الاستهلالية إلى وصف أثر الرسالة الشعرية في

نفسه:

لَقَدْ هَزَّ عَطْفِي بِالْقَرِيضِ ابْنَ جَوْشَنِ (2) سروراً كما هزَّتْ صَبَاً غُصْنَا رَطْبَا

(1) ابن خاقان، القلائد، ص 716.

(2) من خلال الرسالة الشعرية التي بين أيدينا نعرف أن اسمه عبد الله ابن جوشن، وكان قد بعث
إلى أبي محمد البطليوسي برسالة شعرية، فأجاب أبو محمد عنها بهذه الرسالة. ولم نعثر له
على ترجمة في ما بين أيدينا من مصادر.

ويطيل الشاعر في وصف أثر الرسالة التي وصلتته من ابن جوشن، ويتخلص من هذا الوصف محسناً التخلص في الدعاء لابن جوشن، معلناً عن صدق مشاعره نحوه ودوام مودته له:

ليهنك فضل حُزّت من خصّله المدى ونظّم بديع قد غدوت له ربّاً
وهاك سَلاماً صادراً من مودّة عمرت بها مني الجوانح والقلبا
ونجد بعض الرسائل الشعرية التي يفتتحها الشعراء بالمديح، كقول ابن حمديس الصقلي مخاطباً المعتمد بن عباد: (1)

أيا مولي الصنع الجميل إذا انتشى ويا مُسدي النيلِ الجزيلِ إذا صحا
وفي كل أرضٍ من نداء حديقةً تَضوَع مسكاً نورها وتفتحا
ومن اللافت للانتباه أن بعض الشعراء استخدم الصيغة التقليدية "خليلي" ومن ذلك قول المعتمد بن عباد في جوابه على رسالة شعرية لابن عمار: (2)

خليلي قولاً هل علي ملامّة إذا لم أعب إلا لتحضرني الشمسُ
وقول الجزار السرقسطي: (3)

خليلي ما أولى المكاوي وبأسها بيافوخ من يبتاغ داراً مُطلبية
وقول ابن السراج المالقي: (4)

خليلي هذا اليوم لو بيع طيبه بما حوت الدنيا لقلت له الدنيا

وربما استخدم الشعراء هذا النوع من المقدمات الاستهلالية لأن لفظة "خليلي" تمثل مناجاة داخلية، في محاولة من الشاعر إظهار قرب المخاطب من النفس، أو يستخدمها لإقامة حوار بينه وبين نفسه، (5) وفي رأي ابن رشيق أنه لا يجب الإكثار منها في الابتداء لأنها من علامات الضعف والتكّان، إلا القدماء الذين جروا على عرق، وعملوا على شاكلة". (6)

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق4، م1، ص324 .

(2) المعتمد بن عباد، الديوان، ص19 .

(3) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص197 .

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص878 .

(5) إحسان عباس وآخرون، دراسات في الأدب الأندلسي، ص188 .

(6) ابن رشيق، العمدة، ج1، ص389 .

3.4 توظيف الموروث الثقافي:

1. القرآن الكريم:

ظهر الأثر القرآني في الرسائل الشعرية على صورتين، الصورة الأولى وهي التأثير بالآيات القرآنية من ألفاظ ومعان وأفكار، أما الصورة الثانية وهي التأثير بالقصص النبوية، وقد كان المصدر القرآني من أهم المصادر الثقافية بالنسبة للشعراء، فمن ينبوعه المتدفق يتزود الشعراء بكم هائل من الألفاظ والمواقف والقصص الإسلامية، التي تعمق المعاني والصور، أو يتخذها الشعراء وسيلة أو دليلاً لإغناء المعنى وتوصيله أو لتعميق الفكرة، بحيث نرى النص المقتبس أو المتأثر به يغني المعنى ويعمقه.

ومن التأثير بالقرآن قد يكون اقتباس آية قرآنية ومن ذلك قول الجزار السرقسطي في جوابه على رسالة شعرية (1):

في سورة الشعراء عذري واضح وكفى بما نصّ الكتاب المنزلُ
لكن أراك إلى الملامة جانحاً ولربّ عذر واضح لا يقبل
تبغني ليفعل شاعرٌ ما قاله والله قال: يقول ما لا يفعلُ

وقد أشار الشاعر عند اقتباسه هذه الآيات إلى أنه أخذ المعنى من سورة الشعراء، وبنى عليه أبياته؛ ليعلل لصديقه سبب عدم وفائه بوعدده، أما الآيات فهي من سورة الشعراء، من قوله تعالى: ﴿وَالشُّعْرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ﴾ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ﴾ ﴿وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ﴾ (2).

ونرى التأثير بالقرآن أيضاً في رسالة الجزار السرقسطي التي بعث بها إلى زهير العامري عند زواجه، يقول فيها (3):

ونرى نمارق صورة مصفوفة موشية الأقطار والأرجاء
وفيها تأثر واضح بقوله تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾ (4)

(1) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 177.

(2) سورة الشعراء، الآيات 224-226.

(3) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 85.

(4) سورة الغاشية، الآية 15.

ومن التأثر بالقرآن قول أبي بكر بن رَحِيم: (1)

وإِنَّ مِنَ الْمَشُورَةِ كُلِّ حَزْمٍ فَقَدْ أَوْصَى الْمُهَيَّمِينَ بِالْمَشُورَةِ

فقد أشار إلى قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (2)

ونجد كذلك الاقتباس من القرآن الكريم في قول عبد الرحمن بن مقانا الأشبوني، عندما مُنِعَ من الجواز إلى طرطوشة فكتب إلى صاحبها رسالة شعرية منها (3):

هي المقاديرُ تجري في أسنتها ليقضي الله أمراً كان مفعولاً

وفي هذا البيت نجد ه يشير إلى قوله تعالى: ﴿ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِن لِّيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا ﴾ (4).

كما نجد الاقتباس من القرآن الكريم عند ابن زيدون في رسالة شعرية بعث بها إلى أبي الوليد بن حزم يعزيه بوفاة أبيه، يقول (5):

فقل للحيارى: " قد بدا علم الهدى " وللطامع المغرور: " قد قُضِيَ الأمر "

وقد تأثر ابن زيدون بقوله تعالى: ﴿ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾ (6)

2. القصص القرآني:

وقد ظهر تأثر الشعراء بالقصص القرآني بشكل جلي، وقد كان تأثر الشعراء بذلك من أجل استخلاص العبرة والعظة، أو لتصوير الحالة التي يتحدثون عنها، أو لتقوية "معاني قصائدهم، وتوضيح مقاصدهم، والاحتجاج به عند اهتزاز مواقفهم، وذلك لأن القصص القرآني كان بمثابة المثال أو الإنموذج الذي ينبغي أن تقاس عليه

(1) ابن خاقان، القلائد، ص 352.

(2) سورة الشورى، آية 38.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص 790.

(4) سورة الأنفال، آية 42.

(5) ابن زيدون، الديوان، ص 526.

(6) سورة يوسف، آية 41.

الأمور⁽¹⁾، مما يحدث أثراً كبيراً في المخاطب، وقد وظف ابن زيدون قصة السامري مع قوم سيدنا موسى عليه السلام في أبيات بعث بها إلى أبي حفص بن برد الأصغر⁽²⁾:

ما ترى في معشرٍ حالوا عن العهدِ وخاسو

ورأوني سامرياً يتقى منه المساسُ

فهو يصور حاله وقد غدر به أصحابه ونكثوا العهد معه، وابتعدوا عنه وانقوا الاختلاط به، كحال السامري الذي كان أحد زعماء بني إسرائيل، وكان قد أضل بني إسرائيل عندما ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربه، ودعاهم إلى الشرك بالله، فعاقبه الله عز وجل بالوحشة والانفراد، فلا يمس إنساناً إلا أدركتهما الحمى معاً، فكان يتحاشى الناس ويناديهم إذا رأهم " لا مساس "، وفي ذلك يقول الله ﷻ على لسان موسى ﷺ ﴿ قَالَ فَاذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَنْ تُخْلَفَهُ وَانْظُرْ إِلَى إِلْهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا لَنُحَرِّقَنَّهُ ثُمَّ لَنَنْسِفَنَّهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴾ (3).

ومن هذه القصص القرآنية أيضاً قصة سيدنا موسى ﷺ عندما رمته أمه في البحر بعد أن وضعته في التابوت، إذ نجد ابن زيدون يطلب من أمه أن تصبر على فراقه، ولها في ذلك من أم سيدنا موسى العبرة والقدوة، يقول⁽⁴⁾:

وفي " أم موسى " عبرة إذ رمت به إلى اليم في التابوت، فاعتبري وأسلي

وهو بهذا تأثر بقوله تعالى: ﴿ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴾ ﴿ أَنْ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَنُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴾⁽⁵⁾ وقوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فإِذَا

(1) الربيعي، أحمد حاجم، القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار الشؤون الثقافية العامة،

بغداد، ط2001، م1، ص 271 .

(2) ابن زيدون، الديوان، ص275 .

(3) سورة طه، آية 97.

(4) ابن زيدون، الديوان، ص264.

(5) سورة طه، الآيات (38 - 39).

خَفِتَ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي النِّيمِ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ
الْمُرْسَلِينَ ﴿١﴾

كما أشار إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام في قوله مخاطباً أستاذه أبا بكر بن مسلم عقب
فراره من قرطبة ملتصقاً شفاعته لدى بني جهور⁽²⁾:

فَرَرْتُ، فَإِنْ قَالُوا الْفِرَارُ إِرَابَةٌ فَقَدْ فَرَّ مُوسَى حِينَ هَمَّ بِهِ الْقَبْطُ

فهو يؤكد أنه فر من سجنه في قرطبة مضطراً، فإن جعل القوم فراره مثبتاً للشك في
أمره، فقد وهموا لأن سيدنا موسى عليه السلام فرّ من مصر خوفاً من فتك الأقباط، كما
يقول تعالى: ﴿ وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ
بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي
مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾ .

كما أشار الجزار السرقسطي في حديثه عن فقره واستجدائه الناس للعون والمساعدة
لتخليصه من ضنك المعيشة إلى قصة سيدنا موسى عليه السلام بقوله:⁽⁴⁾

وَالْأَنْبِيَاءُ الْمُرْسَلِينَ اسْتَطْعَمُوا وَبَلَّوْا بَدَاءَ الْفَقْرِ كُلِّ بَلَاءٍ
أَوْ لَيْسَ مُوسَى قَدْ تَوَخَّى قَرْيَةً مَسْتَطْعِمًا فَأَبَتْ بِكُلِّ إِبَاءٍ

فقد وظف ما جاء في قصة موسى عليه السلام والخضر حين ذهبا إلى أهل قرية
فطلبوا منهم طعاماً على سبيل الضيافة، فامتنع أهل القرية عن ضيافتهما، يقول تعالى: ﴿
فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَاراً
يُرِيدُ أَنْ يَنْقُضَ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ .⁽⁵⁾

كما وظف الشعراء قصة سيدنا يوسف عليه السلام، فهذا أبو محمد بن حزم يقول
مخاطباً قاضي الجماعة بقرطبة⁽⁶⁾:

وَلَكِنْ لِي فِي يُوسُفَ خَيْرٍ أُسْوَةٍ وَلَيْسَ عَلَيَّ مِنَ النَّبِيِّ إِتْسَى ذَنْبٌ

(1) سورة القصص، آية 7.

(2) ابن زيدون، الديوان، ص 292 .

(3) سورة القصص، الآيات 20-21 .

(4) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 149 .

(5) سورة الكهف، آية 77 .

(6) المقرئ، النفح، م2، ص 82 .

يقول مقال الصدق والحق إنني حفيظٌ عليّ ما على صادقٍ عتبٌ

فهو قد تأثر بقوله تعالى على لسان يوسف عليه السلام: ﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْكُمْ ﴾⁽¹⁾، حيث أراد ابن حزم أن ينفع الناس في قرطبة وأن يقيم العدل بينهم متأسيماً بسيرة النبي يوسف عليه السلام الذي أراد أن ينفع العباد، ويقيم العدل بينهم، فقال للملك اجعلني والياً على خزائن مصر، فإنني خازن أمين، ذو علم وبصيرة بما أتولاه⁽²⁾.

كما نجد أثر قصة سيدنا يوسف في أبيات للمعتصم بن صمادح بعث بها إلى ابنه عبید الله عندما سجنه المرابطون، حيث يقول⁽³⁾:

لئن كنتُ يعقوبَ في حُزْنِه ويوسفَ أنتَ، فصبرٌ جميلٌ

فقد استعار المعتصم بن صمادح صورة حزن النبي يعقوب عليه السلام على غياب ابنه يوسف، وما كان من صبره الجميل على هذه المأساة وجزاء الله العاجل له بأن أعاد إليه ابنه، لتصوير صبره على غياب ابنه في السجن مؤملاً نفسه بجزاء الله لصبره الجميل.

ومن القصص التي أشار إليها الشعراء في رسائلهم الشعرية قصة المسيح عليه السلام في قدرته على إشفاء العلل، فهذا المعتمد يقول مخاطباً أباه مبيناً أثر سخط والده عليه، وما سببه له من سقم أملأ منه أن يرضى عليه: ⁽⁴⁾

سخطك قد زادني سقاماً فابعتُ إلي الرضا مسيحاً

فقد أشار إلى قوله تعالى ﴿ وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِبَنِيَّةٍ مِّن رَّبِّكُمْ إِنِّي أَخْلَقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴾⁽¹⁾

(1) سورة يوسف، آية 55.

(2) أنظر: ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت774هـ/1372م)، قصص الأنبياء، تحقيق وتعليق

عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، عمان، ط1، 1987 م، ص 203-204.

(3) ابن الأبار، الحلة، ج2، ص89.

(4) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 33.

كما أشار إلى قصة نوح والمسيح عليهما السلام ابن رشيق في بيتين من الشعر مجيباً بهما المعتمد بن عباد عندما دعاه إلى جواز البحر، يقول ابن رشيق: (2)

أمرتني بركوب البحر في عجل غيري فديتك فاخصصه بذا الداء
ما أنت نوح فتنجيني سفينته ولا المسيح أنا أمشي على الماء

فقد أشار إلى قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ (3)، كما أشار في نفس البيتين إلى قصة سيدنا عيسى عليه السلام عندما مشى على الماء (4)، وهذا يشير إلى خوف ابن رشيق الشديد من ركوب البحر، إذ إنه لا يتوقع أن تحدث معه المعجزة كما حدثت مع سيدنا عيسى عليه السلام.

ومن القصص التي وردت إليها إشارات في الرسائل الشعرية قصة سيدنا آدم عليه السلام، عندما أخرجه الله عز وجل من الجنة، فاستعان النحلي البطليوسي بهذه القصة للتعبير عما وقع له من مخالفة المعتصم بن صمادح، ثم خروجه من المرية إثر هذا الخلاف، فنجدده يقول مخاطباً المعتصم: (5)

رضى ابن صمادح فارقتَه فلم يرضني بعده العالم
وكانت مريته جنة فجئت بما جاءه آدم

وقد استفاد من قصة سيدنا آدم عليه السلام في قوله تعالى ﴿ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴾ (6)

(1) سورة آل عمران، آية 49 .

(2) ابن دحية، المطرب، ص 65؛ ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ/1063م)، ديوان ابن رشيق القيرواني، تحقيق عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت، 1989م، ص 24 .

(3) سورة هود، آية 41 .

(4) انظر: ابن كثير، قصص الأنبياء، ص 473 .

(5) المقرئ، النفح، م 4، ص 9 .

(6) سورة البقرة، آية 36

3. الأحاديث الشريفة:

فلم نجد لها أثراً كبيراً في رسائلهم الشعرية، وإنما وجدنا بعض الأبيات القليلة التي بدا فيها تأثيرهم بالحديث النبوي، منها قول أبي بكر عبد العزيز البطليوسي (1):

فهلأ رعتِ جزيلَ الثوابِ وعدتِ العليلَ وزرتِ الغريبَ
وتدري الحديثَ وماذا عليه عائدُ ذي السقمِ حتى يؤوبَ

فقد تأثر بمعنى الحديث الشريف: (عائد المريض في مخرفة الجنة حتى يرجع) (2) و قول الجزار السرقسطي (3):

قرينُ الفتى مرآةٌ مضمره الذي ترى ما طواه فانتقد من تصاحب
متأثراً بمضمون قول الرسول ﷺ: (الرجلُ على دينِ خليله، فلينظر أحدكم من يخالل). (4)

4. الأمثال العربية:

لقد بدا تأثير بعض الشعراء بالأمثال العربية واضحاً، وقد برز هذا التأثير عند بعض الشعراء دون غيرهم، وذلك يعود إلى اختلاف مستويات ثقافة الشعراء، ومن هؤلاء الشعراء الذين ظهر المثل لديهم بشكل جلي الجزار السرقسطي ومن ذلك قوله في رسالة شعرية بعث بها إلى ابن البرجي (5):

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص 768 .

(2) الشيباني، أبو عبد الله ت (241هـ/855م)، مسند الإمام أحمد بن حنبل 9 ج، دار إحياء

التراث العربي، بيروت، ط2، 1993 م، ج5، ص279 .

(3) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 89.

(4) السجستاني، أبو داوود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت275هـ/888م) ،سنن أبي داوود،

الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1988 م، ج4، حديث رقم 4833، ص 261.

(5) الجزار السرقسطي ، روضة المحاسن ، ص 142 .

إن تجزنا بالعُتبَ ذماً فاحشاً فيما حوَاهُ رَشْحُ كلِّ إناءٍ

ففي عجز البيت تضمين للمثل العربي "كل إناء يرشح بما فيه" مع اختلاف الضياغة، وأحياناً يصاغ هذا المثل بأسلوب آخر "كل إناء ينضح بما فيه" (1)، واستخدم هذا المثل أيضاً ابن عمار في رسالة شعرية بعث بها إلى المعتمد بن عباد، حيث أورد المثل بصيغته الأصلية، يقول: (2)

ولا تستمع زور الوشاة وإفكهم فكل إناء بالذي فيه يرشح

كما وظف الجزار السرقسطي معنى المثل العربي "إنما المرءُ بأصغريه قلبه ولسانه" (3) في قوله من رسالة شعرية (4):

وبالأصغرين المرءُ كانَ معظماً وما أصغراهُ اليوم إلا المكاسبُ

كما تأثر ابن اللبانة بالمثل العربي "أغرب من عنقاء" الذي يُضرب لما يُئس منه، والعنقاء طائرٌ معروف الاسم مجهول الجسم، (5) في قوله (6):

وجئتَ بها في الحسنِ ورقاءَ أيكَة ولكنها في الدهرِ عنقاءُ مغربِ

كما تأثر السرقسطي بنفس المثل في قوله (7):

(1) الميداني ، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابوري (ت 518 هـ/1124م)، مجمع الأمثال ، ج2 ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، دار الفكر ، ج2، ص 162 ، رقم 3159 .

(2) ابن الأبار ، الحلة ، ج2، ص 153 .

(3) الميداني ، مجمع الأمثال ، ج2، ص 294 ، رقم 3982؛ الزمخشري ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت 538 هـ/1143م) ، المستقصى في أمثال العرب ، ج2 ، دار الكتب العلمية بيروت - لبنان ط2 ، 1987 م ، ج1 ص 345 ، رقم 1483 .

(4) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 89.

(5) أنظر: الأحذب، إبراهيم بن علي (ت 1308 هـ/1890م)، فرائد اللال في مجمع الأمثال، ج2، قدم له ووضع فهارسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج1 ص 16.

(6) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص 16.

(7) الجزار السرقسطي، روضة المحاسن، ص 147.

عجباً لدعواك الوفاء وأنه عمري لأغربُ فيك منا عنقاء
كما اقتبس الجزار السرقسطي المثل العربي " إن كنت ريحاً فقد لاقيت إصصاراً "
اقتباساً حرفياً. (1)

يا مفتياً بانتفاض الشرع أعمارا " إن كنت ريحاً فقد لاقيت إصصارا "
ومن الأمثال التي وظفها الشعراء لخدمة المعنى في رسائلهم الشعرية، قول
العرب " كمستبضع التمر إلى هجر " (2)، يقول أبو عامر الأصيلي: (3)

جعلتُ بضاعتي تمرأً وجئتُ بها إلى هجر

ويهدف أبو عامر بن الأصيلي من وراء ذلك الوصف إبراز المكانة الأدبية
للحصري، فجعل يصف شعره المرسل إلى الحصري الشاعر المبدع كمن يجلب
التمر إلى بلاده، إذ لا قيمة له مقابل وفرته وكثرتة وجودته في موطنه ومحل
إنتاجه، وذلك أن هجر معدن التمر والمستبضع إليه مخطئ، لقد كان توظيف الشاعر
للمثل توظيفاً موفقاً، إذ لبي لديه المعنى المراد.

ومن ألوان توظيف الموروث الثقافي تضمين الشعراء أبياتاً شعرية مشرقية:
ومن ذلك ما نجده في رسالة شعرية لابن عبدون حيث جعل عجز كل بيت من
أبياتها شطراً من قصيدة لامرئ القيس، يقول فيها (4):

أيا سامياً من جانيه إلى العلا " سموّ حباب الماء حالاً إلى حال "
لعبدك دار حلّ فيها كأنها " ديار لسلمي عافيات بذي الخال "
يقول لها لما رأى من دثورها " ألا عم صباحاً أيها الطلل البالي "

وأبيات امرئ القيس هي: (5)

(1) الزمخشري، المستقصى، ج1، ص373.

(2) الميداني، مجمع الأمثال، ج2، ص152؛ الزمخشري، المستقصى، ج2، ص233.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص862.

(4) ابن عبدون، الديوان، ص171.

(5) امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، مصر،

1958 م، ص27-92.

ألا عم صباحاً أيها الظلُّ البالي وهل يعمن من كان في العصر الخالي
ديارٍ لسلمى عافياتٍ بذى خالٍ ألحَّ عليها كلُّ أسحمٍ هطَّالٍ
وقول ابن شرف القيرواني في رسالة شعرية كتب بها إلى المظفر بن الأفتس (1):
سيري فلم نَقْذِفْكَ في مجهلٍ ولا ضربنا بكِ ضربَ القمارِ
وهو بذلك يشير إلى قول المتنبى (2):

ضربتُ بها التية ضربَ القمارِ رِ إِمّا لهذا وإِمّا لذَا

وقول أبي بكر بن سعيد البطليوسي مخاطباً بعض إخوانه: (3)

كأنِّي فيما أشتكي ابن محمَّمٍ سقاماً ولكن لست أشكو الثمانينا

والشاعر في هذا البيت يشير إلى بيت عوف بن محمَّم الشيباني في قوله: (4)

إن الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

كما نجد التضمين من الشعر في بيت ابن اللبانة مخاطباً بعض إخوانه، مفتخراً بنفسه: (5)

وأتركُ جيرةً جاورا وأشدو " أضاعوني وأيُّ فتى أضاعوا "

فقد ضمن الشاعر بيته شطراً من بيت الشاعر العُرجي (6) الذي يقول فيه (7):

(1) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص643.

(2) المتنبى، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت354هـ/965م)، ديوان أبو الطيب المتنبى، ج2، بشرح العلامة اللغوي عبد الرحمن البرقوقي، حقق النصوص وهذبها وعلق حواشيها وقدم لها الدكتور عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت - لبنان، ج1، ص137.

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، ص768.

(4) المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت421هـ/1030م)، الأزمنة والأمكنة ج2، حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي، عالم الكتب للطباعة والنشر، بيروت، ط1،

2002م، ج2، ص236؛ ابن رشيق، العمدة ج1 ص638.

(5) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص62.

(6) هو بن عمرو بن عثمان بن عفان، وكان يسكن عرج الطائف، وهو من شعراء قريش المشهورين بالغزل، نحا نحو عمر بن أبي ربيعة وأجاد. (الأصفهاني، أبو الفرج، الأغاني،

ج24، لجنة نشر كتاب الأغاني، بأشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية

العامّة، 1992م، ج1، ص396 - 432).

(7) الأصفهاني، الأغاني، ج1، ص429.

أضاعوني وأي فتى أضاعوا ليوم كريهة وسداد ثغر

وهذا البيت كثيراً ما تغنى به الظرفاء. (1)

كما جاء التضمين في الرسالة الشعرية التي رفعها مجموعة من وزراء المعتمد وعماله، وكان هدفهم تحريض المعتمد على ابن زيدون: (2)

قَدْ قَالَ شَاعِرٌ كِنْدَةَ فِيمَا مَضَى بَيْنًا عَلَى مَرِّ اللَّيَالِي يُعَلِّمُ
"لَا يَسْلُمُ الشَّرْفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يُرَاقَ عَلَى جَوَانِبِهِ الدَّمُّ" (3)

فجاء التضمين في هذه الرسالة لبيت المتنبى، إذ كان في هذا البيت إتماماً للمعنى، فقد كان هدفهم القضاء على ابن زيدون، و جاء بيت المتنبى يفي بالغرض إذ يقصد به أن الشرف الرفيع لا يسلم من أذى الحساد والمعادين إلا أن يقتل صاحب الشرف حساده وأعداءه، فإذا سفك الدم أصبح للملك هيبة، فلا يجترئ أحد على معارضته. ومن تضمين الأبيات كاملة أيضاً قول ابن عمار: (4)

لَكِنْ عَدْتَنِي عَنْكُمْ خَجَلَةٌ عَرَضَتْ كَفَاتِي الْعَذْرَ فِيهَا بَيْتٌ مَعْتَدِرٍ
"لَوْ اخْتَصَرْتُمْ مِنَ الْإِحْسَانِ زَرْتَكُمْ وَالْعَذْبُ يُهْجَرُ لِلْأَفْرَاطِ فِي الْخَصْرِ"

فقد ضمن ابن عمار بيت المعري كاملاً، وقد علق ابن بسام على هذا التضمين بقوله "وما قيل في العجز عن الشكر، بكثرة البر، أحسن من بيت المعري هذا، وقد تضمنه ابن عمار أحسن تضمين". (5)

5. الإشارات التاريخية:

ورد كثيراً من الإشارات التاريخية في الرسائل الشعرية التي تدل على سعة إطلاع الشعراء على التراث التاريخي، حيث عمدوا إلى توظيف هذا الموروث في

(1) انظر: الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة (ت 837 هـ/1433 م)،

ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل، بيروت، ط3، 1997 م، ص 38-39.

(2) ابن خاقان، القلائد، ص75.

(3) المتنبى، الديوان، ص 461.

(4) ابن بسام، الذخيرة، ق3، م2، ص 863.

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص 401.

رسائلهم الشعرية، ومن ذلك قول ابن اللبانة مشيراً إلى قصة جذيمة الأبرش ملك الحيرة والزباء - ملكة تدمر ما بين الروم والفرس -، يقول ابن اللبانة مخاطباً المعتمد: (1)

جذيمة أنت والزباء خانت وما أنا من يقصر عن قصير

وملخص القصة أنه كانت هناك عداوة شديدة بين الزباء وجذيمة الأبرش بحكم الحروب التي دارت بينهما، وكان بينها وبين جذيمة بعد الحرب مهادنة، فحدثت نفسه بخطبتها، وأرسل من يخطبها له، وقد أوهمته بالقبول، وطلبت منه الحضور إليها، وأظهرت له السرور، وأكرمت مقدمه، وكان له عبد يقال له قصير بن سعد، كان حذره من الانخداع لها ولكنه أبى الاستماع إليه، ثم حدث أن غدرت به وقتلته، فأقسم قصير إلا أن يأخذ بثأره، فجدع أنفه وأوهمها أنه هارب من عمرو بن عدي اللخمي، ابن أخت جذيمة، إلى أن أصبح ثقة لديها، حاك خطة من أجل وصول الجنود إلى مدينتها والقضاء عليها، فعندما رأتهم قالت بيتها المشهور:

ما للجمال مشيها ونيداً أجندلاً يحملن أم حديدا

فكانت مثلاً للخيانة، وكان قصير مثلاً للوفاء، وقد اتخذ ابن اللبانة من هذه القصة مثلاً لقصة المعتمد وجعل من نفسه مثلاً لقصير المخلص لسيدته ومولاه، وهناك قضية أخرى أشار إليها ابن اللبانة من طرف خفي، وهي أن جذيمة الأبرش لخمى موصول النسب بالمعتمد. (2) وهذا إنما يدل على معرفة ابن اللبانة بالتاريخ والأنساب، وقدرته على توظيفها في خدمة المعاني التي يقصدها.

ومن الذين أشاروا إلى الأحداث التاريخية ابن عبدون، عندما خرج من بطليوس مستوحشاً، في قوله: (3)

فقبلُ أبي الدنيا قيسُ عبسٍ ولم يصغي إلى قولِ المُشيرِ

(1) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص 52 .

(2) ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (ت597هـ/1201م)، الأذكياء،

بعناية بسام عبد الوهاب الجابي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1،

2003 م، ص 221 - 227 .

(3) ابن عبدون، الديوان، ص 155.

فقد استعان الشاعر بالأحداث التاريخية ليبين ما لديه من عفة نفس، وقيس بن عبيس بن جذيمة، هو صاحب حرب داحس والغبراء،⁽¹⁾ وقد هجر قومه بعد هذه الحرب⁽²⁾، أما ابن عبدون فقد هجر بطليوس.

ومن الإشارة إلى القصص التاريخية قول الفضل بن حسداي مراجعاً إلى الوزير أبي محمد بن سفيان وقد غضب منه:⁽³⁾

وبسطت أوضح من زيادِ عذره لو لم تكن أقسى من النعمان

ويقصد الشاعر بذلك أنه اعتذر وأوضح عذره لأبي محمد بن سفيان أكثر مما بسط عذره النابغة الذبياني إلى النعمان بن المنذر عندما هدر دمه بعد وصفه لزوجته، ثم عاد فأمنه ورضي عنه،⁽⁴⁾ فكان المخاطب أكثر قسوة من النعمان بن المنذر.

4.4 المحسنات البديعية

حَفَلَتُ الرسائلُ الشعرية بالمحسنات البديعية، غير أن هذا الشيوع والانتشار لم يكن مستقبلاً، ولم يؤثر في المعنى بشكل سلبي، وإنما جاء لإتمام المعنى وتوضيحه، ومن المحسنات البديعية التي ظهرت بشكل واضح:

1. الفواصل (حُسن التسجيع):

تمتُّ الكلمات داخل البيت الشعري وحدات موسيقية متجانسة، " لها أثرٌ كبيرٌ على السامع وتحقق للبيت جرساً موسيقياً لا يتحقق دون هذا التقسيم خاصة إذا اتفقت هذه الكلمات (الوحدات الموسيقية) في نهايتها "⁽⁵⁾.

(1) ابن حزم. أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي (ت456هـ/1063)، جمهرة

أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف، ط5، ص251.

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م2، الهامش رقم 5، ص711.

(3) ابن بسام، المصدر نفسه، ق3، م1، ص492.

(4) انظر القصة: أبو زيد القرشي، محمد بن أبي الخطاب (ت170هـ/786م)، جمهرة أشعار

العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر،

النجالة - القاهرة، ص70-97.

(5) علي، أشرف علي، الصورة الفنية في شعر ابن دراج القسطلي، تقديم محمود علي مكي،

مكتبة نهضة الشرق - جامعة القاهرة، ص248.

كقول ابن خفاجة: (1)

سنيّ العطايا حفيّ التّحايا عليّ السجايا كريمُ الذّمم

فقد بنى ابن خفاجة بيته على إيقاع داخلي حققه من خلال استخدام الفواصل والسجعات التي تشكل قوافي داخلية متكررة في ثنايا البيت. وقوله أيضاً من نفس الرسالة الشعرية:

وجوبُ الفجاجِ وخوضُ الهياجِ وشقُّ العجاجِ ووطءُ القممِ

وقول الأعمى التطيلي من رسالة شعرية: (2)

صقورٌ أو بدورٌ أو بحورٌ وإن لم تلق مثلهم رجلاً

فقد كرر الشاعر الصيغة الصرفية (فُعولٌ) واختتمها بسجعة مكونة من حرفين (الواو والراء).

وقول المعتمد بن عباد في رسالة أرسل بها إلى أبيه المعتضد: (3)

فالنفسُ جازعةٌ والعينُ دامعةٌ والصوتُ منخفِضٌ والطرفُ منكسرٌ

فقد جاء البيت مكوناً من أربع جمل متوازنة قائمة على تكرار الصيغ الصرفية والنحوية، إضافة إلى تكرار السجعات المبنية على التاء المربوطة في الشطر الأول، والتوازي في المدى والنبذة في الشطر الثاني، مما يحقق نوعاً من الإيقاع الداخلي المؤثر في نفسية المتلقي.

2. التصريح:

يقصد بالتصريح ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه تنقص بنقصانه وتزيد بزيادته (4)، "واشتقاق التصريح من مصراعي الباب؛ ولذلك قيل لنصف البيت مصراع كأنه باب القصيدة ومدخلها" (5)

(1) ابن خفاجة، الديوان، ص 46.

(2) الأعمى التطيلي، الديوان، ص 244.

(3) الأعمى التطيلي، المصدر نفسه، ص 244.

(4) ابن رشيق، العمدة ج 1، ص 325.

(5) ابن رشيق، المصدر نفسه، ج 1، ص 326.

ويرى ابن رشيق أن سبب التصريح بمبادرة الشاعر القافية ليُعلم أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر" (1)، من أمثلة التصريح في الرسائل ما جاء في قول أبي القاسم بن الجدمفتتحاً رسالة شعرية(2):

أما ونسيم الروض طاب به فجزُ وهبَّ له من كل زاهرة نشرُ

"وربما صرع الشاعر في غير الابتداء وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة، أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر، فيأتي حينئذٍ بالتصريح إخباراً بذلك وتنبيهاً عليه" (3) ومن ذلك رسالة شعرية كتب بها ابن زيدون إلى أبي عامر بن مسلمة، أفتتحها بقوله معاتباً: (4)

تباعِدُنَا عَلَى قُرْبِ الْجَوَارِ كَأَنَّا صَدْنَا شَخْطَ الْمَزَارِ

وبعد ستة أبيات انتقل إلى الطلب منه أن يراعي مودته ويحفظ جواره، ونلاحظ أنه عندما انتقل إلى الغرض الثاني صرَّعَ لينبه بذلك، حيث يقول:

فَرَاعَ مَوَدَّتِي، وَاحْفَظْ جَوَارِي فَإِنَّ اللَّهَ أَوْصَى بِالْجَوَارِ

ونجد عند بعض الشعراء كثرة استخدام التصريح، حتى صرَعُوا في غير موضع التصريح ويَعِدُّهُ ابن رشيق دليلاً على قوة الطبع، (5) ومن ذلك رسالة شعرية لإدريس بن اليمان أجاب فيها على رسالة شعرية وصلته من أبي عامر بن مسلمة، يقول فيها: (6)

يا صنو ماء السماء	في رقة وصفاء
ويا سراج ضياء	يجلو دجى الظلماء
بهرت سيما ذكاء	في بهجة وذكاء
وحزت في العلياء	قوادم الجوزاء

(1) ابن رشيق، المصدر نفسه، ج1، ص326 .

(2) ابن خاقان، القلائد، ص 328 .

(3) ابن رشيق، العمدة ج1، ص326 .

(4) ابن زيدون، الديوان، ص 204 - 205 .

(5) انظر: ابن رشيق، العمدة، ج1، ص326 .

(6) ابن خاقان، القلائد، ص83 .

يا حاتم الكرماء وأحمد الشعراء

وقول أبي القاسم محمد بن عبد الغفور⁽¹⁾ في خطاب لأحد أعيان بني الدب: (2)

إن جهلت الوفاء في أهل حمص فبنو الدب سادة زعماء
فيهم عفة وفيهم وفاء ولهم ذمة وفيهم حياء
وزراء أكابر كرماء علماء أفاضل حلماء

3-التدوير:

يعد التدوير من الظواهر التي برزت في الرسائل الشعرية في القرن الخامس الهجري، وهو يقوم على تقسيم الكلمة إلى شطري البيت أي أنه يكسر حاجز القسمة العروضية بمقياس يخضع للقراءة عبر دمج الكلمة مما يخلق نزاعاً في النفس يكسر الحواجز الرتبية، وهذا بدوره نوع من الإيقاع الهادف إلى التخلص من الرتوب عبر التنويع ودمج البيت⁽³⁾.

ومن الأمثلة على التدوير ما جاء في رسالة ابن زيدون إلى أبي عبد الله بن عبد العزيز، يقول فيها: (4)

إن الذي قسمَ الحظوظَ حباك بالخلق العظيم
لا استزيدُ اللهَ نعمى فيك، لا بل أستديم
فلقد أقرَّ العينَ أنكَ غرَّةُ الزمنُ البهيم
حسبي الثناءُ لحسنِ برِّك ما بدا برقُ فشم
ثمَّ الدعاءُ بأنَّ تهنأَ طولُ عيشِكَ في نعيم

(1) هو أبو القاسم محمد بن عبد الغفور، صاحب المعتمد، كانا قبل تمكن السلطان رضيحي لبنان أمهما الكاس، وقد توفي في عنفوان شبابه (ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص323؛ ابن سعيد، المغرب، ج1، ص241).

(2) ابن بسام، الذخيرة، ق2، م1، ص324.

(3) الحسين، أحمد جاسم الحسين، الشعرية (قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي)، الأوائل للنشر والتوزيع، ط1، 2000 م، ص131.

(4) ابن زيدون، الديوان، ص(203 - 204).

ولا شك أن للبيت المدور في القصيدة تأثيراً في المتلقي مختلفٌ عن تأثير الأبيات الأخرى في القصيدة، ذلك أنه يسبغ على البيت غنائية وليونة لأنه يمده ويطيل نغماته⁽¹⁾ ومن التدوير ما جاء في رسالة كتب بها المعتمد بن عباد إلى الطبيب المصري مستدعياً إياه: (2)

أَيْهَا الصَّاحِبُ الَّذِي فَارَقْتُ عَيْنِي مِنْهُ السَّنَا وَالسَّنَاءُ
نَحْنُ فِي الْمَجْلِسِ الَّذِي يَهْبُ الرِّاحَةُ وَالسَّمْعَ وَالْغِنَى وَالْغِنَاءُ
نَتَعَاطَى الَّتِي تَنْسِي مِنَ الرِّقَّةِ وَاللَّذَّةِ الْهُوَى وَالْهُوَاءُ
فَاتِهِ تَلْفُ رَاحَةً وَمَحِيًّا قَدْ أَعَدَّا لَكَ الْحَيَا وَالْحَيَاءُ

4- الاعتراض:

وهو أن يكون الشاعر آخذاً في معنى، فيعرض له غيره، فيعدل عن الأول إلى الثاني، فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يُخلَّ بالثاني في شيء، بل يكون مما يَشُدُّ الأول (3).

وقد أطلق عليه ابن رشيق وابن الأثير اسم (الالتفات)، وسمّاه آخرون الاستدراك، أما ابن منقذ فيسميه الاعتراض ويقول هو: "أن تذكر في البيت جملةً معترضة، لا تكون زائدة، بل يكون فيها فائدة" (4).

والاعتراض من خصائص المعاني؛ إذ إنه يقف حاجزاً بين إتمام المعنى عندما يجزئ التركيب ويوقف مدّ التتابع، وخلق حالة ترقب لدى المتلقي بانتظار إتمام المدلول ويقوم بتحطيم المتتابعات. (5)

من ذلك قول بعض الوزراء مما كتبوا به إلى المعتمد بن عباد: (6)

فَلَقَدْ عَلِمْتَ - وَلَنْ نَبْصُرَكَ الْهَدَى فَلَأَنْتَ أَهْدَى فِي الْأُمُورِ وَأَحْزَمُ -

(1) الملايكة، نازك، قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط2، 1965م، ص 91.

(2) المعتمد، الديوان، ص49؛ المقرئ، النفع م4، ص281؛ ابن خاقان، القلائد، ص 58 .

(3) انظر: ابن رشيق، العمدة، ج 1، ص 636-637؛ ابن الأثير، كفاية الطالب، ص 190 .

(4) ابن منقذ، البديع في البديع، ص 190 .

(5) انظر: الحسين، الشعرية، ص 135 .

(6) ابن خاقان، القلائد، ص 74 .

أَنَّ الْمُلُوكَ تَخَافُ مِنْ أَبْنَائِهَا فَتَحُلُّ مِنْ مُهْجَاتِهِمْ مَا يَحْرُمُ
فقد جعل الشاعر قوله ولن نبصرك الهدى فلأنت أهدى في الأمور وأحزم
معتراضاً بين قوله علمت.. وأن الملوك... .

ومن رسالة شعرية لأبي بكر محمد بن رُحيم قوله: (1)

وَكَمْ لَكَ عِنْدِي مِنْ يَدِ الْمَعِيَّةِ يَقِلُّ لَهَا بِذُلِّ الْبَقِيَّةِ مِنْ عُمَرِي
وَمِنْ مِدْحٍ - ضَمَّنْتَهَا كُلَّ مَفْخَرٍ - حَبِيْبَةِ الْأَنْفَاسِ مِسْكِيَّةِ النَّشْرِ

حيث استخدم الشاعر جملة معترضة هي ضمنتها كل مفخر.

وقد انتشرت هذه الظاهرة بشكل بارز ولافت للانتباه في رسائل ابن زيدون الشعرية،
منها رسالته الشعرية إلى ولادة عندما فرَّ من السجن، حيث يقول: (2)

يَا لَيْتَ شِعْرِي - وَلَمْ نَعْتَبِ أَعَادِيكُمْ - هَلْ نَالَ حَظًّا مِنَ الْعُتْبَى أَعَادِينَا
أَوْلَى وَفَاءٍ - وَإِنْ لَمْ تَبْذُلِي صِلَةً - فَالطَّيْفُ يَقْتَعُنَا، وَالذَّكْرُ يَكْفِينَا

حيث جاء قوله: "ولم نعتب أعاديكم" جملة معترضة في البيت الأول، وقوله: "وإن
لم تبذلي صلة" جملة معترضة في البيت الثاني.

ومن رسالته الشعرية إلى المظفر بن الأفضس قوله: (3)

فَأَطْوَلُهُمْ - بِالْأَيْدِي - يَدًا وَأَثْبَتُهُمْ - فِي الْمَعَالِي - قَدَمًا

فقد جعل الشاعر شبه الجملة "بالأيادي" جملة معترضة في الشطر الأول، وشبه

الجملة "في المعالي" جملة معترضة في الشطر الثاني.

5- الجناس: وهو مطابقة حالة الأحرف، ويعرفه ابن المعتز بقوله: "وهو أن
تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف
حروفها" (4) ويأتي على عدة أنواع منها:

(1) ابن خاقان، القلائد، ص 346 .

(2) ابن زيدون، الديوان، ص 141-148 .

(3) ابن زيدون، المصدر نفسه، ص 410 .

(4) ابن المعتز، أبو العباس عبد الله بن المعتز (299هـ/911م)، البديع، تقديم وشرح وتحقيق
محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1، 1990م، ص (107 - 108) .

الجناس التام: وهو مطابقة حالة الأحرف مع اختلاف المعنى (1)، ونجده في بعض الرسائل الشعرية ومن ذلك قول المعتمد بن عباد (2):

جوادٌ أتاني من جوادٍ تطابقاً فيا كرم المهدي ويا كرم المهدي

فقد جانس الشاعر جناساً تاماً بين "جواد" الأولى بمعنى الفرس و"جواد" الثانية بمعنى الكريم، كما جانس في نفس البيت بين "المهدي" و"المهدي" كما نجد ذلك في قول أبي بكر بن سعيد البطليوسي مخاطباً قاضي الجماعة بقرطبة (3):

مولي ومولي نعمة وموالياً وأخا إخاء خالصاً وخليلاً

فقد جانس الشاعر جناساً تاماً بين "مولى" و"مولى".

كما نجد الجناس في قول ابن عمار: (4)

يا أيها الراضي وإن لم تلقني من صفحة الراضي بما أدريه

لقد جانس الشاعر بين كلمة "الراضي" الأولى ويقصد بها الراضي بن المعتمد، وكلمة "الراضي" الثانية بمعنى الرضا.

كما استخدم الشعراء الجناس الناقص في رسائلهم الشعرية كقول ابن عبدون (5):

وقد ضمت جوانحنا قلوباً أبت غير القصور أو القبور

فقد جانس الشاعر جناساً ناقصاً بين لفظتي "القصور، والقبور".

كما نجد ذلك عند المعتمد بن عباد، في رسالة شعرية بعث بها إلى أبيه، حيث

يقول: (6)

بقيت، ولا ملك إلا وقد غدا ملك كفاك قهراً وقسراً

ففي لفظتي "قهرأ وقسرا" جناس ناقص.

(1) انظر: ابن المعتز، البديع، ص 108 .

(2) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 34 .

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق، 2م2، ص 767 .

(4) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج 2، ص 151 .

(5) ابن عبدون، الديوان، ص 155 .

(6) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 40 .

وقول ابن عمار أيضاً مخاطباً الوزير ابن العزيز: (1)

وَصَلَتْ دُعَابُكَ الَّتِي أَهْدَيْتَهَا فِي خَاتَمِ التَّأْمِينِ وَالتَّأْمِيرِ

فقد جانس الشاعر جناساً ناقصاً بين لفظتي " التأمين، والتأмир " .

6- التكرار:

وهو اتفاق المعنى واللفظ، ويسميه السجلماسي "التكرير" والتكرار اللفظي هو " إعادة اللفظ " ويقال له أيضاً المشاكلة (2)، ويطلق عليه ابن الأثير اسم التكرير، ويشير "إلى أن له مواضع يقبح فيها ومواضع أخرى يستحسن فيها، وأكثر وقوعه في الألفاظ دون المعاني، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان" (3)، ونجد ذلك بشكل واضح في الرسائل الشعرية، ولعل ذلك يعود إلى رغبة منسئي الرسالة تأكيد المعاني التي يذهب، أو إظهار المقدرة اللغوية وسعة المعرفة، ومن ذلك قول ابن اللبانة (4):

حاش لله أن أجيح كريماً يتشكى فقراً وكم سداً فقراً

لا أزيد الجفاء فيه شقواً غدر الدهرُ بي لأن رمتُ غدرا

فقد كرر الشاعر كلمة "فقرا" في البيت الأول، كما كرر كلمة " غدر " مع أنهما تحملان المعنى نفسه في كلا البيتين.

ومن التكرار الحسن ما جاء في رسالة شعرية لأبي بكر بن رحيم خاطب بها أبا إسحاق إبراهيم بن يوسف بن تاشفين، يقول فيها (5):

سماحك "لا" انسجامُ المزن سكباً وبأسك "لا" اجترا الأسدُ المغيرة

وعزمك "لا" انحدار السيل ليلاً وحدك "لا" شبا البيض المبيرة

(1) ابن خاقان، القلائد، ص 191 .

(2) السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري السجلماسي (من نقاد القرن الثامن الهجري)، المنزوع البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علال الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، ط1، 1980 م، ص 477؛ أنظر أيضاً: ابن منقذ، البديع في البديع، ص 275 .

(3) ابن الأثير، كفاية الطالب، ص 208 .

(4) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص 44 .

(5) ابن خاقان، القلائد، ص 351 .

وعزتكَ التي رقت فراقك جمالا "لا" سنى الشمس المنيرة

وقول المعتمد بن عباد مخاطباً ابن عمار (1):

سلام، سلام، أنتما الأُسُ كلُّهُ وإن غبتما، أم الربيع هي الأُسُ

فقد جاء التكرار هنا في كلمتي "سلام، و الأُس "

كما نجد التكرار في قول ابن اللبانة الداني مخاطباً المعتمد بن عباد(2):

وعسى أراك بحيث ينبعث الندى فلقد رأيتك حيث ينبعث الدم

فقد كرر الشاعر أكثر من كلمة في الشطر الأول (أراك بحيث ينبعث) في الشطر

الثاني (رأيتك حيث ينبعث).

وكذلك قول الأديب أبي العباس أحمد بن قاسم، مما اندرج في رسالة نثرية:3

أو حين نور عارضي فتفتحت أنواره فكانها أنوار

وهنا نجد الشاعر كرر لفظ " نور " ومشتقاتها ثلاث مرات.

ومن التكرار أيضاً قول ابن اللبانة الداني(4):

أيها الماجدُ السמידُ قدراً صرفي البر إنما كان برا

جاء تكرار الشاعر هنا للفظه " البر "، بمعنى الإحسان في الموقعين.

وعلى هذا فاللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الصلة بالمعنى العام، وإلا فهو لفظ

متكلف لا سبيل إلى قبوله. (5)

8-الطباق: من الطباق ما نجده عند ابن شهيد، قوله: (6)

الوردُ عهداً ونشراً صنو عهدك، لا تُنسى أواخره طيباً أوائله

فقد طباق الشاعر بين لفظتي " أواخره، وأائله ".

ومن أنطباق قول المعتمد بن عباد: (7)

(1) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 19 .

(2) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص 93 .

(3) ابن بسام، الذخيرة، ق 1، م 2، ص 909 .

(4) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة ، ص 44 .

(5) الملائكة، قضايا الشعر المعاصر، ص 231 .

(6) ابن شهيد، الديوان، ص 146 .

(7) المعتمد بن عباد، الديوان، ص 32 .

ومن في كفه بُوسَى ونُعْمَى تَصَرَّفَ في العَدُوِّ وفي الحَبِيبِ
وقد طباق الشاعر بين "بُوسَى، ونُعْمَى" و"العَدُوِّ، والحَبِيبِ" فأضفى على البيت
الشعري رونقاً وجمالاً.

ومن الطبايق قول المتوكل بن الأفظس، وكان قد كتب به إلى ابن عبدون (1):

فحسبي عَمَّنْ نَأَى مِمَّنْ دَنَا فمن غَابَ كان فدا من حَضَرَ
لقد جاء الطبايق في هذا البيت بين لفظتي "نَأَى، دَنَا"، ولفظتي "غَابَ، حَضَرَ".
ومن الطبايق قول ابن عمار (2)

تَأَمَّلْتُ مِنْكَ البَدْرَ في لَيْلَةِ الخُطْبِ ونلتُ لَدَيْكَ الخُصْبَ في زَمَنِ الجَدْبِ
وجاء الطبايق بين لفظتي "الخصب، الجذب".

9- الأساليب الإنشائية:

لقد اعتمد أصحاب الرسائل الشعرية على الأساليب الإنشائية في توجيه خطابهم من
مثل النداء والأمر والاستفهام، وقد أكثر الشعراء من هذه الأساليب بشكل لافت للنظر،
ولعل ذلك يعود إلى أن الشاعر ينشئ رسالته ويوجهها إلى طرف آخر مخاطباً له
بالأمر أو النداء أو الاستفهام أو الاستفسار، والأمثلة على ذلك كثيرة جداً، من ذلك
ما جاء في شعر ابن اللبانة مستخدماً النداء: (3)

يا روضة أضحى النسيمُ لسانها يصفُ الذي تخفيه من آراجها
وقوله: (4)

يا من عليه من المكارمِ والعلَى بُردٌ بتطريزِ المحامدِ معمَّمٌ
ومن ذلك أيضاً قول المعتم
د بن عباد مخاطباً ابن زيدون: (5)

أيتها المنحطُ عني مجلساً وله في النفس أعلى مجلس

(1) ابن الأبار، الحلة السيرة، ج2، ص106.

(2) ابن الأبار، المصدر نفسه، ج2، ص139.

(3) ابن اللبانة، شعر ابن اللبانة، ص28.

(4) ابن اللبانة، المصدر نفسه، ص93.

(5) المعتمد بن عباد، الديوان، ص57.

وقول أبي علي الحسن بن الغليظ مخاطباً ابن السراج المألقي مستخدماً أداتي
النداء والاستفهام: (1)

يا خليلاً صفا وكدرَ يَوْمِي هل إلى الطيب في غدٍ من سبيل؟
ومن استخدام فعل الأمر قوله: (2)

سَكِنَ فُؤَادَكَ لَا تَذْهَبُ بِكَ الْفِكْرُ ماذا يُعِيدُ عَلَيْكَ الْبَيْتُ وَالْحَذَرُ
وقول الوزير الفقيه أبي أيوب ابن أبي أمية حيث يجمع بين الأمر والاستفهام: (3)
قُلْ لِلْوَزِيرِ: وَأَيْنَ الشُّكْرُ مِنْ مَنْنٍ؟ جاءتْ عَلَى سَنَنِ تُتْرَى وَتَتَّصِلُ
ومن استخدام الاستفهام قول أبي عبد الله بن أبي الخصال: (4)

فَهَلْ لَكَ فِي وَدِّ ذَوِي لَكَ ظَاهِراً؟ وباطنُهُ يَنْدَى صَفَاءً وَيَقْطُرُ
وقول الأديب أبي محمد غانم مخاطباً بعض إخوانه جامعاً بين الاستفهام والنداء
والأمر، حيث يقول: (5)

أمن لبيرة تسري الريحُ حاملةً رَوْحَ النَّسِيمِ فَأَحْيَانِي وَحْيَانِي؟
يا لائحَ البرقِ من أعلامِها غسقا جُدْ بِالتَّحِيَّةِ مِنْ حَيَا فَأَحْيَانِي

ومن استخدام النداء والاستفهام قول ابن عمار مخاطباً بعض إخوانه: (6)
إِخْوَانَنَا هَلْ حَالَ مِنْ دُونِنَا أَمْرُ تَرَاءَى لَكُمْ أَمْ وَحِشَةٌ جَرَّهَا الدَّهْرُ

10- لزوم ما لا يلزم:

أي أن يلزم الشاعر نفسه أكثر من حرف في روي الرسالة الشعرية، كأن يلتزم
الشاعر بأخر حرفين أو ثلاثة أحرف إلى نهاية الرسالة الشعرية، ويسمى النقاد القدماء
الإعانات، يقول ابن المعتز " من إعانات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما

(1) ابن بسام، الذخيرة ق1، م2، ص871 .

(2) المعتمد بن عباد، الديوان ص36، ابن خاقان، القلائد، ص83 .

(3) ابن خاقان، القلائد، ص463 .

(4) ابن خاقان، المصدر نفسه، ص530 .

(5) ابن بسام، الذخيرة، ق1، م2، ص856 .

(6) ابن بسام، المصدر نفسه، ق2، م1، ص401 .

ليس له " (1). وقد شاع مصطلح "لزوم ما لا يلزم" أكثر من مصطلح "الإعانات"،
والمصطلحان صحيحان لأن الإعانات هو إلزام الشاعر نفسه بما لا ينبغي (2) وقد سمي
بذلك لأنه لا يعد من الأحرف التي تجب المحافظة عليها، كحرف الروي في القصيدة
العربية، وقد ظهر هذا اللون من البديع لدى مجموعة من الشعراء في رسائلهم
الشعرية، ومن ذلك قول ابن زيدون في رسالته التي أرسل بها إلى ولادة: (3)

أضحى التنائي بديلاً عن تدانينا وناب عن طيب لقيانا تجافينا
بنتم وبنا فما ابتلت جوانحنا شوقاً إليكم ولا جفت مآقينا
نكاد حين تتاجيكم ضمائرنا يقضي علينا الأسى لولا تأسينا

حيث التزم الشاعر بثلاثة أحرف في روي أبيات الرسالة جميعها.

وقول ابن زيدون مراجعاً أبا بكر بن القصيرة: (4)

قد أحسنَ الله في الذي صنَّعه عارضُ كرهٍ بلطفه رَفَعَه
تَبَارَكَ اللهُ إنَّ عادةَ حسـ سناه مع الشكر غير مُنْتزَعَه

كما التزم أبو عبد الله بن أبي الخصال أربعة أحرف في روي الرسالة الشعرية التي

أرسل بها مهنئاً أبا بكر بن رحيم، حيث يقول: (5)

إذا ما شَرَّفَ الأشرافُ قوماً فإنَّ بني رُحيمٍ شَرَّفُوهُ
ومن يُعرَفَ به لهم قديماً وإن رَغمتْ أنوفَ عَرَفُوهُ
كُفَاةً للملوكِ على سبيلِ ودينِ نَصيحةٍ ما حَرَّفُوهُ
وما الأشرافُ إلا عبد قينِ لهم فمتى تولى استَصْرَفُوهُ

وقد برزت هذه الظاهرة بكثرة عند ابن عند ابن خفاجة، ومن الأمثلة على ذلك

قوله مخاطباً القاضي أبا إسحاق بن ميمون: (6)

بَرَعْتَ فَرُعْتَ فَمَنْ ذَا حَبِيبٍ لَهُ الوَيْلُ أَمْ مَنْ أَبُو الطَّيِّبِ

(1) ابن المعتز، البديع، ص 175 .

(2) مطلوب، معجم النقد العربي القديم، ج 1، ص 191 .

(3) ابن زيدون، الديوان، ص 141 .

(4) ابن زيدون، الديوان، ص 210 .

(5) ابن خاقان، القلائد، ص 531 .

(6) ابن خفاجة، الديوان، ص 246 .

وَلَوْ جَارِيَاكَ إِلَى غَايَةِ لَفُزْتَ وَكَانَا مِنَ الْخَيْبِ
أَجَدْتَ وَجَدْتَ فَمِنْ رَوْضَةٍ تَنْمُ وَمِنْ وَابِلِ صَيْبِ

حيث التزم الشاعر بثلاثة أحرف هي الياء المكررة والباء.

وله من رسالة شعرية أخرى التزم فيها الفتحة قبل الروي والميم الساكنة، وقد أرسل بها إلى القاضي أبي أمية، يقول فيها: (1)

وَيَهْجُرُ فِي اللَّهِ حَتَّى الْكَرَى وَيَأْلَفُ فِي اللَّهِ حَتَّى نَعَمْ
تُنَوِّرُ بِالْبَشْرِ أَخْلَاقَهُ وَيَجْرِي بِكَفَيْهِ مَاءُ الْكَرَمِ
وَيَهْتَزُّ لِلضَيْفِ خِدَامَهُ وَتُعَدِّي سَجَايَا الْمَوَالِي الْخِدْمِ

٦٣٣٨٣٣

من الملاحظ أن بعض الشعراء حاولوا الإكثار من هذا النوع، ولربما يكون السبب في ذلك محاولتهم إظهار قدرتهم على النظم، وإبراز تفوقهم على أقرانهم، ويحمد في هذا النوع ما ليس فيه كلفة؛ لأن التكلف يذهب برونق الصنعة، ويضعف هشاشة النفس له، وحينئذ يكون تركه أجود من ذكره " (2).

5.4 الخاتمة :

لقد سعت هذه الدراسة سعياً جاداً إلى محاولة بناء صورة واضحة للقسمات للرسائل الشعرية في الأندلس في القرن الخامس الهجري، وهي فترة شهدت شيوع فن الرسائل الشعرية وتطورها وازدهارها، وتشعب موضوعاتها تبعاً لتشعب أمور الحياة في المجتمع الأندلسي.

وقد استطاعت هذه الدراسة أن تحدد مفهوم الرسائل الشعرية تحديداً فنياً ونقدياً، وتوصلت إلى أن الرسائل الشعرية عبارة عن نصوص شعرية، يتبادلها الشعراء فيما بينهم متفاوتة في الطول متعددة في الأغراض، وتشتمل على الخطاب والجواب معاً، وأن الشعراء أطلقوا على هذه الرسائل مصطلحات عدة منها: الرسالة والكتاب،

(1) ابن خفاجة، المصدر نفسه، ص 46 .

(2) حسين، عبد القادر حسين، فن البديع، دار الشروق، بيروت، ط1، 1983 م، ص 132 .

والخطاب والطرس، الصحيفة وغيرها، وهي مصطلحات استعاروا أكثرها من مصطلحات الرسائل النثرية.

وكشفت الدراسة عن أسباب شيوع هذه الظاهرة وتطورها، فكان في مقدمتها روابط الصداقة القوية التي تجمع بين الشعراء وأقرانهم، وشيوع ظاهرة التشرّد والترحال وعدم الاستقرار التي عانى منها كثير من أبناء المجتمع الأندلسي، كما كان من أسباب ازدهارها اهتمام ملوك الطوائف بالشعر والشعراء، وما كان من دعوتهم إياهم لحضور مجالسهم أو القدوم عليهم مستخدمين الرسائل الشعرية في مخاطبتهم، كما كان للشعراء الجوالين أثرهم في ازدهار هذا الفن إذ كانوا يستخدمون الرسائل الشعرية لمخاطبة أقرانهم وولاة الأمر وغيرهم بالإضافة إلى كثرة السفارات التي نهض بأمرها كثير من الشعراء الذين استخدموا الرسائل الشعرية لتأدية مهامهم.

وقد تفنن الشعراء الأندلسيون في ألوان الرسائل الشعرية فجاءت في عدة ألوان: المطارحات الشعرية، وهي المراسلات الشعرية التي تتم بين الشعراء؛ وذلك بأن ينظم أحد الشعراء قصيدة ويبعث بها إلى شاعر آخر، فيرد عليه بقصيدة مراعيّاً فيها وزن القصيدة الأولى وقافيتها. أما اللون الثاني فهو المطيرات وهي رسائل شعرية تحمل أغازاً ترسل إلى الطرف الآخر لفك رموزها ومعمياتها، وجاء اللون الثالث في شكل قصائد شعرية كان يرسلها الشعراء في مناسبات سياسية أو اجتماعية أو إخوانية مختلفة.

وقد كشفت الدراسة عن مدى طواعية الرسائل الشعرية للتعبير عن كثير من القضايا الخاصة والعامة، فقد تناول الشعراء في رسائلهم كثيراً من القضايا العامة السياسية والاجتماعية والطبيعية والعسكرية التي كانت تشغل بال أبناء المجتمع الأندلسي، مثل الفتن والصراع الداخلي بين أمراء الطوائف، وأحداث الصراع مع الإسبان، والقضايا المتعلقة بالشخصيات العامة من أمراء الأندلس وأعيانه من مديح وهجاء، ونقد سياستهم الداخلية والخارجية، ووصف المدن والحصون والقلاع وعناصر الطبيعة المختلفة، ومجالس اللهو والمجون وغيرها.

إن تناول الشعراء في رسائلهم هذه القضايا العامة تؤكد علاقتهم الوثيقة بأحداث مجتمعهم، وتفاعلهم معها، ذلك أنها كانت محركاً أساسياً لعواطف الشعراء

وانفعالاتهم، فصاغوا ذلك في رسائل شعرية تميزت بدرجة عالية من الفنية والإتقان وقد أعانهم على ذلك ما لهم من موهبة شعرية وما أوتوا من مقدرة فنية عالية.

لقد كشفت الدراسة عن نواح كثيرة من آداب السلوك الاجتماعي الرفيع الذي يحظى بتقدير أبناء المجتمع الأندلسي، وانتشر بينهم على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية، مثل الاستئذان عند مغادرة البلاد أو القدوم على العظيم، واستقبال الضيف وتوديعه، وتقاسم المسرة والمضرة وغيرها، مما يدل على رقة الأندلسيين ورهافة حسهم وسمو ذوقهم ونقاء طبعهم.

فقد تنازل ملوك الأندلس وأمرأؤها عن كثير من أقدارهم الاجتماعية، ونزلوا عن عليائهم فراسلوا الشعراء من عامة الناس، وخاطبواهم مخاطبة الند للند، وشعر الشعراء من أبناء العامة بإذابة ما بينهم وبين خاصة قومهم من فروق اجتماعية، مما يعين في نهاية المطاف على تشكيل صورة عن المجتمع الأندلسي، وما يسوده من قيم وآداب السلوك الرفيع.

كما أبانت الدراسة عن أن الشعراء الأندلسيين اتخذوا من الرسائل الشعرية وسيلة للتعبير عن ذواتهم وانفعالاتهم وعواطفهم الذاتية، وتصوير استجاباتهم لكثير من المواقف الحياتية المتعلقة بذواتهم وإخوانهم وأصدقائهم؛ أي وسيلة للتعبير عن القضايا التي كان فيها لذات الشاعر دور كبير فيها، من مثل المودة والصدقة والعتاب واللوم والتهنئة والاستعطاف والشكوى والفخر والغزل والاستهداء وما إلى ذلك من موضوعات ذاتية وإخوانية.

كما كشفت الدراسة عن أن بعض الشعراء اتخذوا من رسائلهم وسيلة للتعبير عن بعض نظراتهم النقدية وانطباعاتهم الذاتية حول ما كانوا يتبادلونه من رسائل شعرية، فقد ظهر في ثنايا بعض هذه الرسائل الشاعر المخاطب أو المجاوب ناقدًا لما أرسل إليه أو خوطب به، مبدياً رأيه الشخصي والانطباعي في النص الشعري المرسل إليه، فقد أصدر بعض الرسائل كثيراً من الأحكام النقدية مثل وصف لغة الرسالة بالسلاسة والاتساق وحسن السبك والبعد عن الغريب والتعقيد، والبعد عن المعازلة والتكلف، وحسن استخدام التشبيه، كما وصفوا الأثر الذي تتركه الرسالة الشعرية في النفس، ونعوتوها بسحر القول وفصل الخطاب.

وبينت الدراسة أن الرسائل الشعرية جاءت في بناء شعري مميز، فقد جاءت الرسالة والجواب عليها على نفس الوزن والقافية والموضوع، مع عدم الالتزام في عدد الأبيات، وقد خلت أغلب هذه الرسائل من المطالع؛ لأن مقامها لا يحتمل ذلك.

ولقد وظف الشعراء موروثهم الثقافي والديني والأدبي ومن ذلك الآيات القرآنية والقصص القرآني، والأحاديث النبوية والأمثال العربية، والشعر المشرقي والإشارات التاريخية المختلفة، على مستوى الألفاظ والمعاني والأفكار؛ وذلك لتأكيد المعاني التي يذهبون إليها، والارتقاء بأساليبهم.

وقد اهتم الشعراء بالمحسنات البديعية و اللفظية كالتسجيع و التصريع والتدوير والاعتراض والجناس والطباق والتكرار، واستخدام الأساليب الإنشائية المختلفة ولزوم ما لا يلزم وغيرها من الفنون التي تسهم في الجمع بين متطلبات المعنى وجماليات التعبير.

المراجع:

- أبو الخطاب القرشي، أبو زيد محمد بن أبي الخطاب (ت170هـ/786م)، (د، ت) جمهرة أشعار العرب في الجاهلية والإسلام، تحقيق علي محمد البجاوي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.
- الأحدب، إبراهيم بن علي (ت 1308 هـ/1960م)، (د، ت) فرائد اللآل في مجمع الأمثال، 2ج، قدم له ووضع فهرسه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان .
- الأزدي، علي بن ظافر (ت613هـ/1261م)، 1992م بدائع البدائيه، تحقيق أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت .
- الأصفهاني، أبو عبد الله محمد بن حامد بن عبد الله، عماد الدين (ت 597هـ/1200م) (د، ت) خريدة القصر وجريدة العصر، 4ق، تحقيق عمر الدسوقي علي عبد العظيم، دار نهضة مصر، الفجالة، مصر.
- الأصفهاني، أبو الفرج علي بن الحسين بن محمد (ت356هـ/967م)، 1992م الأغاني، 24ج، لجنة نشر كتاب الأغاني، بإشراف محمد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصرية، القاهرة .
- الأعمى التطيلي، أبو جعفر أحمد بن عبد الله بن أبي هريرة (ت525هـ/1130م)، 1989م ديوان الأعمى التطيلي، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.
- ابن الأبار، أبو عبد الله محمد بن أبي بكر القضاعي (ت 658هـ/1259م)، 1958م الحلة السيرة، 2ج، تحقيق حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، ط2.
- ابن الأثير، أبو الفتح ضياء الدين نصر الله بن محمد الموصللي (ت637هـ/1239م)، 1939م المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، 4ج، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
- ابن الأثير، نصر الله بن محمد، ضياء الدين (ت637هـ/1239م)، (د، ت) كفاية الطالب في نقد كلام الشاعر والكاتب، تحقيق:نوري القيسي وحاتم الضامن وهلال ناجي، جامعة الموصل، (د ط).

ابن الجوزي، جمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي القرشي
البغدادي (597هـ/1201م)، 2003 م كتاب الأذكياء، بعناية بسام عبد الوهاب
الجابي، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط1.

ابن الحداد، أبو عبد الله بن الحداد الأندلسي (ت480هـ/1087م)، 1985م شعر
ابن الحداد، تحقيق منال منيزل، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد السلماني (ت776هـ/1374م)، 1974م
الإحاطة في أخبار غرناطة، 4م، تحقيق محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي،
القاهرة، ط1.

ابن الخطيب، لسان الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله السلماني (ت776هـ/
1374م)، (د،ت) كتاب السحر و الشعر، (د،ط).

ابن اللبانة، أبو بكر محمد بن عيسى (ت507هـ/1113م)، 1977م شعر ابن اللبانة
الداني، جمع وتحقيق محمد مجيد السعيد، جامعة البصرة.

ابن المعتز، أبو العباس عبد الله (ت299هـ/911م)، 1990م البديع، تقديم وشرح
وتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط1.

ابن بسام، أبو الحسن علي الشنتريني، (ت542هـ/1147م)، 1997م الذخيرة في
محاسن أهل الجزيرة، 4ق، 8م، تحقيق إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت.

ابن بشكوال، أبو القاسم خلف بن عبد الملك (ت578هـ/1182م)، 1989م الصلة
في تاريخ أئمة الأندلس، 3ج، تحقيق إبراهيم الإيباري، دار الكتاب المصري،
القاهرة، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1.

ابن حزم الأندلسي، أبو علي بن أحمد بن سعيد (ت456هـ/1063م)، (د،ت) طوق
الحمامة في الألفه والآلاف، ضبط نصه وحرر هوامشه الطاهر أحمد مكّي،
دار المعارف، القاهرة، 1985م.

ابن حزم، أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد الأندلسي (ت456هـ/1063م)، (د،ت)
جمهرة أنساب العرب، تحقيق وتعليق عبد السلام محمد هارون، دار المعارف،
ط5.

ابن حمديس، عبد الجبار بن حمديس الصقلي (ت 527 هـ/1132م)، (د،ت) ديوان
ابن حمديس الصقلي، صححه وقدم له إحسان عباس، دار صادر، بيروت.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد الإشبيلي (ت 529 هـ/1134م)، 1998م
قلائد العقيان ومحاسن الأعيان، حققه وعلق عليه: حسين يوسف خريوش،
مكتبة المنار، ط1.

ابن خاقان، أبو نصر الفتح بن محمد الإشبيلي (ت 529 هـ/1134م)، 1983م
مطمح الأنفس ومسرح التأنس في ملح أهل الأندلس، دراسة وتحقيق محمد
علي شوابكة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1.

ابن خفاجة، أبو إسحاق إبراهيم الأندلسي (ت 533 هـ/1138م)، 1979م ديوان ابن
خفاجة، تحقيق الدكتور سيد غازي، منشأة المعارف، ط2.

ابن دحية، أبو الخطاب عمر بن حسن (ت 633 هـ/1235م)، 1997م المطرب من
أشعار أهل المغرب، تحقيق إبراهيم الأبياري وآخرون، راجعه طه حسين،
مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

ابن دراج القسطلي، أحمد بن محمد (ت 421 هـ/1030م)، 1961م ديوان ابن دراج
القسطلي، حقق وقدم له وعلق عليه محمود علي مكّي، منشورات المكتب
الإسلامي، دمشق، ط1.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ/1063م)، 1988م
العمدة في محاسن الشعر وآدابه، ج2، تحقيق محمد قرقران، دار المعرفة،
بيروت، ط1.

ابن رشيق، أبو علي الحسن بن رشيق القيرواني (ت 456 هـ/1063م)، 1989م
ديوان ابن رشيق القيرواني، تحقيق عبد الرحمن ياغي، دار الثقافة، بيروت.

ابن زيدون، أبو الوليد أحمد بن عبد الله (ت 463 هـ/1070م)، 1957م ديوان ابن
زيدون ورسائله، شرح وتحقيق علي عبد العظيم، دار النهضة المصرية للطبع
والنشر، القاهرة.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت 685 هـ/1286م)، 1955م المغرب في
حلي المغرب، ج2، تحقيق شوقي ضيف، دار المعارف، القاهرة، ط4.

ابن سعيد، أبو الحسن علي بن موسى (ت 673 هـ/1274م)، 1973م المرقصات
والمطربات، دار حمد ومحيو، بيروت.

ابن شهيد الأندلسي، أبو عامر أحمد بن عبد الملك (ت 426 هـ/1034م)، (د،ت)-
ديوان ابن شهيد الأندلسي، جمعه وحققه، يعقوب زكي، راجعه محمود علي
مكي، دار الكاتب العربي، القاهرة.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد (ت 328 هـ/940م)، 1956م العقد الفريد،
شرحه وضبطه وصححه وعنون موضوعاته، أحمد أمين، أحمد الزين، إبراهيم
الأبياري، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ط2.

ابن عبدون، عبد المجيد بن عبدون الفهري (ت 529 هـ/1135م)، 1988م ديوان
عبد المجيد بن عبدون اليابري (الشعر والنثر) مع دراسة لأدبه، إعداد
وتحقيق سليم التتير، دار الكتاب العربي، دمشق، ط1.

ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل (ت 774 هـ/1372م)، 1987م قصص الأنبياء، تحقيق
وتعليق عبد القادر أحمد عطا، دار الفكر، عمان، ط1.

ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم (ت 630 هـ/1232م)، (د،ت)
لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ونخبة من المحققين، دار المعارف،
بيروت.

ابن منقذ، أسامة بن مرشد بن علي (ت 584 هـ/1188م)، 1987م البديع في
نقد الشعر، حققه وقدم له علي مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1.

امرؤ القيس، 1958م ديوان امرؤ القيس، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار
المعارف، مصر، (د، ط).

البطليوسي، أبو محمد عبد الله بن محمد بن السيد (ت 521 هـ/1127م)، 1986م
شروح سقط الزند، 4ق، تحقيق مصطفى السقا وعبد السلام هارون وآخرين،
بإشراف طه حسين، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط3.

بهنام، هدى شوكة، 1984م النقد الأدبي في كتاب نوح الطيب، دار الرائد العربي،
بيروت، ط2 .

الجزار السرقسطي، 1988م، روضة المحاسن وعمدة المحاسن (ديوان أبي بكر
حيى بن محمد وفصول من كتابه بادرة العصر وفائدة المصير)، تحقيق
ودراسة منجد مصطفى، مطبعة المجمع العلمي العراقي، بغداد.

الحسن اليوسي، الحسن بن مسعود أبو علي نور الدين (ت 1102هـ/1691م)،
1981 م زهر الأكم في الأمثال والحكم، 3ج، تحقيق محمد حجي ومحمد
الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط1.

الحسين، أحمد جاسم، 2000 م الشعرية (قراءة في تجربة ابن المعتز العباسي)،
الأوائل للنشر والتوزيع، ط1.

حسين، عبد الرزاق، 1994 م الأدب العربي في جزر البليار، دار الجليل للنشر،
عمان، ط1.

حسين، عبد القادر، 1983م فن البديع، دار الشروق، بيروت، ط1.
الخطيئة، جرول بن أوس العبسي (ت 45هـ/665)، 1987م ديوان الخطيئة برواية
وشرح ابن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1.
الحموي، تقي الدين أبو بكر بن علي بن محمد بن حجة (ت 837 هـ/1433م)،
1997م ثمرات الأوراق، تحقيق وتعليق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الجيل،
بيروت، لبنان، ط3.

الحميدي، أبو عبد الله محمد بن أبي نصر الأزدي (ت 488 هـ/1095م)، 1966م
جذوة المقتبس في ذكر ولاية الأندلس، الدار المصرية للتأليف والترجمة.
الحميري، أبو الوليد إسماعيل بن محمد بن عامر (ت 440 هـ/1048م)، 1997م
البديع في فصل الربيع، حققه وقدم له: إبراهيم علي الكردي، دار سعد الدين،
دمشق، ط1.

الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم، (ت 723 هـ/1323م)، 1984م
الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مكتبة لبنان، ط2.
حيدر، حسن، 1998م المجالس الشعرية في عصر ملوك الطوائف، رسالة ماجستير،
جامعة مؤتة.

خالص، صلاح، 1981م أشبيلية في القرن الخامس عشر الهجري، دار الثقافة، بيروت.

الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت276هـ/889م)، 1958م الشعر والشعراء، 2ج، تحقيق أحمد محمود شاكر، دار المعارف، القاهرة، (د،ط).

ديوان أبي نؤيب الهذلي، 1998م شرحه وقدم له ووضع فهرسة سوهام المصري، عني بمراجعة ياسين الأيوبي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط1.

الربيعي، أحمد حاجم، 2001م القصص القرآني في الشعر الأندلسي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.

الزمخشري، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر (ت538هـ/1143م)، 1987م المستقصى في أمثال العرب، 2ج، دار الكتب العلمية، بيروت، ط2.

السجستاني، أبو داود سليمان بن الأشعث الأزدي (ت275هـ/888م)، 1988م سنن أبي داود، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة.

السجلماسي، أبو محمد القاسم الأنصاري، (من نقاد القرن الثامن الهجري) 1980م، المنزح البديع في تجنيس أساليب البديع، تقديم وتحقيق علاء الغازي، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، ط1.

شلبي، سعد إسماعيل، (د،ت) البيئة الأندلسية في شعر عصر ملوك الطوائف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة.

شلبي، سعد إسماعيل، 1973م دراسات أدبية في الشعر الأندلسي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، مصر.

الشيبياني، أبو عبد الله (ت241هـ/855م)، 1993م مسند الإمام أحمد بن حنبل، 9ج، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، ط2.

شيخة، جمعة، 1994م الفتن والحروب وأثرها في الشعر الأندلسي، 2ج، تقديم محمد الطالب، المطبعة المغاربية للطباعة والنشر، تونس، ط1.

الصمادي، ساري علي، 1990م ظاهرة الحزن في الشعر الأندلسي في القرن الخامس للهجرة، الجامعة الأردنية.

- الضبي ، أحمد بن يحيى بن أحمد بن عميرة (ت599هـ/1202م) 1967م بغية الملتمس في تاريخ رجال أهل الأندلس ، دار الكاتب العربي ، القاهرة ، (د،ط).
- عباس، إحسان عباس وآخرون، 1978م دراسات في الأدب الأندلسي ، الدار العربية للكتاب، ليبيا، ط2 .
- عباس، إحسان، 1971م. تاريخ الأدب الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين)، دار الثقافة بيروت، لبنان، ط2.
- عتيق، عبد العزيز، 1976م الأدب العربي في الأندلس، دار النهضة العربية، بيروت.
- علي، سلمى سلمان، 1986م المرأة في الشعر الأندلسي " عصر الطوائف " رسالة جامعية، بغداد.
- عيسى، فوزي سعد، (د،ت) الهجاء في الأدب الأندلسي، دار المعارف.
- غرسية غومس، 1969م الشعر الأندلسي (بحث في تطوره وخصائصه)، ترجمة حسين مؤنس، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط3 .
- غريب ، جورج، 1983م العرب في الأندلس ، دار الثقافة ، بيروت ، لبنان، ط4.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد (ت 175هـ/791م)، (د،ت) كتاب العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد.
- القرطاجني، أبو الحسن حازم (ت684هـ/1285م)، 1981م منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تقديم وتحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط2.
- قناوي ، عبد العظيم علي، 1949م الوصف في الشعر العربي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي مصر، ط1 .
- القيسي، فايز، 1998م أدب الرسائل في الأندلس في القرن الخامس الهجري، دار البشير، عمان، ط1.
- القيسي، فايز، 2003م دراسات في الأدب الأندلسي، مركز زايد للتراث والتاريخ، العين ، الإمارات العربية المتحدة، ط1.

الكيلاني، حلمي إبراهيم، 1998م ابن شرف القيرواني (حياته وأدبه)، مؤسسة البلسم للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1.

مؤلف أندلسي مجهول، 1979م الحلل الموشية في الأخبار المراكشية، تحقيق سهيل زكار وعبد القادر زمانه، دار الرشاد الحديثة، الدار البيضاء، ط1.

المتنبي، أبو الطيب أحمد بن الحسين (ت 354هـ/965م)، (د،ت) ديوان أبي الطيب المتنبي، 2 ج، بشرح العلامة اللغوي عبد الرحمن البرقوقي، حقق النصوص وهذبها وعلق حواشيها وقدم لها الدكتور عمر فاروق الطباع، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت.

المراكشي، أبو محمد عبد الواحد بن التجيبي (ت 647هـ/1249م)، 1994م المعجب في تلخيص أخبار المغرب، تقديم وتحقيق وتعليق محمد زينهم محمد عزب، دار الفرجاني، القاهرة.

المراكشي، أبو العباس أحمد بن محمد بن عذارى (كان حياً عام 712هـ/1312م)، 1983م البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ومراجعة ج.س. كولان و إ. ليفي برونسال، دار الثقافة، بيروت، ط3.

المرزوقي، أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن (ت 421هـ/1030م)، 2002م الأزمنة والأمكنة، 2 ج، حققه وعلق عليه محمد نايف الدليمي، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط1.

المطليبي، عبد الجبار يوسف، 1986م الشعراء نقاداً، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1.

مطلوب، أحمد، 2001م معجم مصطلحات النقد العربي القديم، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، ط1.

مطلوب، أحمد، 1989م معجم النقد العربي القديم، 2 ج، دار الشؤون الثقافية العامة، ط1.

المعتمد بن عباد، أبو القاسم محمد بن عباد (ت 488هـ/1095م)، 1997م ديوان المعتمد بن عباد ملك أشبيلية، جمعه وحققه حامد عبد المجيد وأحمد بدوي، راجعه طه حسين، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

المقري، أحمد بن محمد التلمساني (1041هـ/1631م)، 1968م نفع الطيب من
غصن الأندلس الرطيب، 8 ج، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
الملائكة، نازك، 1965م قضايا الشعر المعاصر، مكتبة النهضة، بغداد، ط2.
الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد النيسابوري، (ت 518هـ/1124م)، (د،ت)
مجمع الأمثال، 2 ج، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الفكر، بيروت.
الهرامة، عبد الحميد عبدالله، 1999م القصيدة الأندلسية (خلال القرن الثامن
الهجري)، 2 ج، دار الكاتب، طرابلس، ط2.
الوائلي، عبد الحكيم، 2001م موسوعة شعراء الأندلس، دار أسامة للنشر والتوزيع
- عمان، ط1.